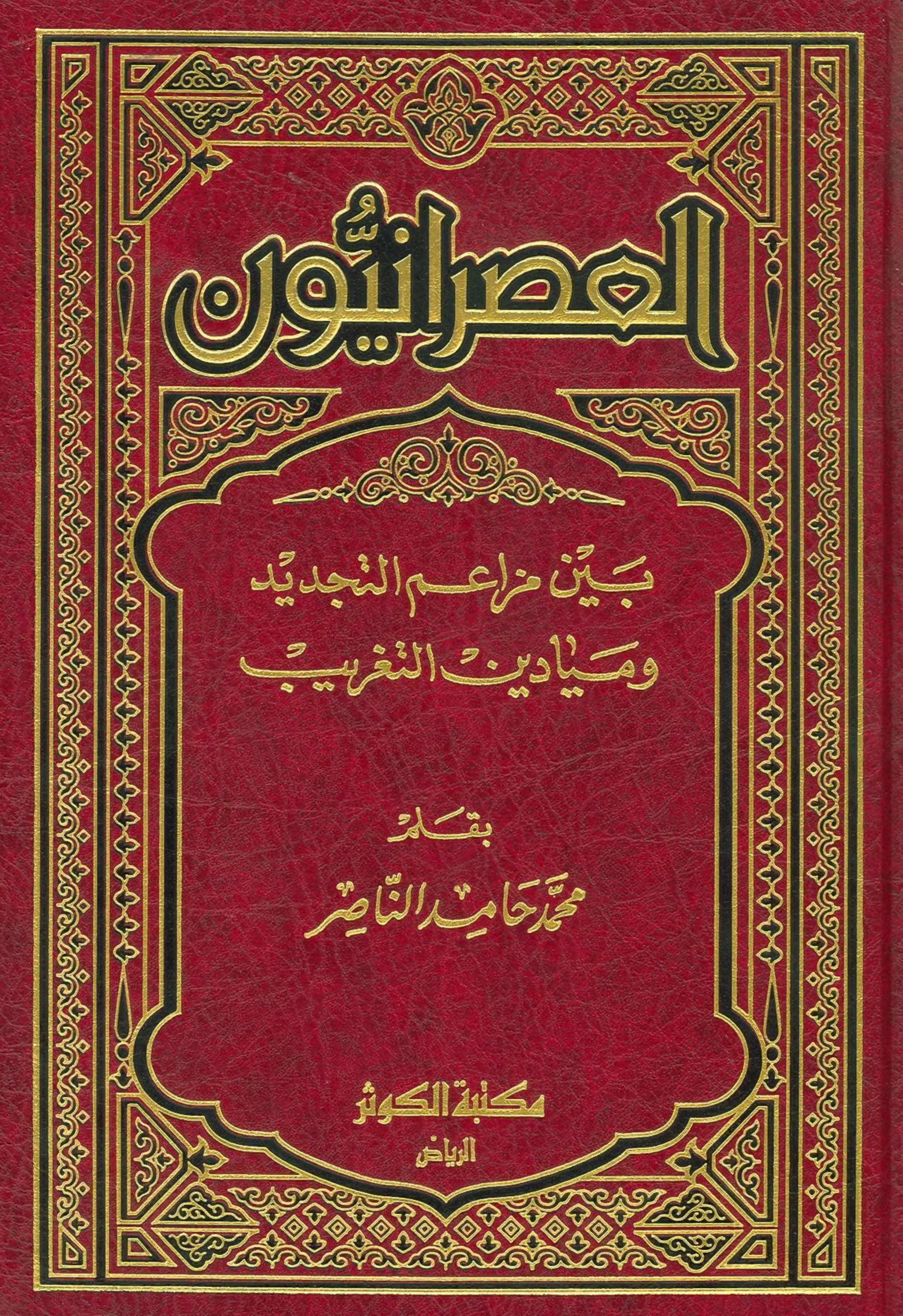

العصرانيون
بين مزاعم التجديد
وميادين التغريب
بقلم
محمد حامد الناصر
مكتبة الكوثر
الرياض

الطبعة الثانية

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

مكتبة الكوثر

للنشر والتوزيع

الرياض - شارع العليا العام - مقابل أسواق طيبة

هاتف : ٤٥٠٦٣٢٨

ص . ب : ١٦٨٦٣ - الرمز : ١١٤٧٤

العصرانيون

بين مزاعم التجديد وميادين التغريب

بقلم

محمد حامد الناصر

مكتبة الكوثر

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فإن هذا الكتاب قد جاء متمماً لما قبله[1] ومبيناً لانحراف فكري، يتحدث أصحابه المعاصرون فيه عن التجديد، والفكر المستنير، وقد خاض عدد من هؤلاء الكتاب في قضايا كثيرة تتعلق بتراث الأمة وعلومها المختلفة، وقد عابوا على الأمة جمودها، ودعوا إلى نهضتها من رقادها، وأن (علومها) وتراثها ما عاد يصلح لهذا الزمن. إلا أن هؤلاء ـ أصحاب التجديد ـ اعتمدوا على بدائل أخرى مستمدة من مصادر أشرنا إليها خلال بحثنا عن الجذور الفكرية والتاريخية لهذا التيار.

لقد قدسوا العقل وقدموه على نصوص الكتاب والسنة، ودعوا إلى تطوير الشريعة، ومفاهيم الإسلام على طريقة العصرانيين عند الغرب، فما العصرانية؟ وما المقصود بالعصرانيين؟!

● **العصرانية**: «حركة تجديد واسعة نشطت في داخل الأديان الكبرى: داخل اليهودية، وداخل النصرانية وداخل الإسلام أيضاً».

إن هذه الحركة التجديدية، عرفت في الفكر الديني الغربي باسم العصرانية (Modernism).

---

(١) بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة: مكتبة السوادي في جدة.

وكلمة عصرانية هنا لا تعني مجرد الانتماء إلى هذا العصر، ولكنها مصطلح خاص.

«العصرانية في الدين هي أي وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي، والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية، على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة»[١].

وهي الحركة التي سعت إلى تطويع مبادىء الدين لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، والتي هي ربيبة الثقافة اليونانية ومن ثم إخضاع الدين لتطورات هذه الحضارة، ووجهة نظرها في شئون الحياة[٢].

لقد كانت حركات التحرر الديني مستهجنة داخل اليهودية والنصرانية، حتى أن البابا «بيوس العاشر» قد أصدر منشورين عن هذه الحركة عام «١٩٠٧ م»، وأطلق عليها اسم: (العصرانية)، ودمغها بالكفر والإلحاد، ووصفها بأنها «مركب جديد لكل عناصر البدع والهرطقة القديمة»، وأعلن بأنه «لو حاول إنسان أن يجمع معاً جميع الأخطاء التي وجهت ضد الإيمان، وأن يعصر في واحدة عصارتها وجوهرها كلها، لما استطاع أن يفعل ذلك بأفضل مما فعل العصرانيون»[٣].

● «ومن المتناقضات العجيبة أن هذه القصة بكل فصولها نقلت إلينا من الغرب، فظهرت لها نزعات مشابهة في العالم الإسلامي، منذ القرن الماضي عند بعض المتغربين... فنادوا بتفسير بعض القضايا الإسلامية تفسيراً عقلانياً، وحاولوا إخضاع القرآن والسنة للمقاييس المادية حتى تتلاءم مع منهج الغرب، وقيم الحضارة الحديثة التي بهرت كثيراً من الذين كانوا

---

(١) انظر: منير البعلبكي، قاموس إنجليزي عربي / ص ٥٨٦/.
(٢) مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد / ص ٩٦ ـ ٩٧/.
(٣) انظر: تكوين العقل الحديث، راندال / ج ٢/ ص ٢٣٥/ وانظر تفصيلاً: عن العصرانية / الباب الثالث ص ١٧٥ وما بعدها/.

يرونها المقياس الوحيد لكل نهوض وتقدم»[1].

● والحقيقة إن العصرانيين يمثلون تياراً عاماً لم تكتمل ملامحه بعد، ولم تكن اجتهادات رجاله واحدة، وإنما يشتركون في ملامح عامة، وخصائص مشتركة عموماً.

والعصرانيون ليسوا سواء، في منطلقاتهم وأهدافهم وقد يلتقي معهم - في بعض المسائل - من ليس منهم ولا يوافقهم على كثير من غلوهم وجموحهم..

● لقد رجعت إلى ما نشر من كتابات العصرانيين في كتبهم أو في المجلات وما كتب عنهم من دراسات، وعانيت كثيراً من تكرار أقوالهم، وكثرة نقولهم عن المستشرقين مع عدم عزو النقل إلى أصحابه غالباً، وأحببت أن تكون دراستي شاملة ومستوعبة لهذا التيار، إحقاقاً للحق، وأداء للأمانة، مع حرصي على البعد عن تجريح الأشخاص، ولو خالفت ما هو معهود عن بعض الرموز والشخصيات الشهيرة.

● وقد جاء البحث موزعاً على مقدمة وأربعة أبواب.

● **الباب الأول**: الجذور التاريخية والفكرية للمدرسة العصرانية.

ومن أبرز هذه الجذور: أفكار المعتزلة، والمدرسة الإصلاحية، وأثر الغزو الفكري ممثلاً في الاستشراق والتنصير.

● **الباب الثاني**: دور دعاة التغريب خلال النصف الأول من القرن العشرين.

وكان لدعاة التغريب دور كبير في الهجوم على السنة النبوية والتشكيك في كتاب الله، والدعوة إلى فصل الدين عن شؤون الدولة والمجتمع، والمنهج التغريبي في مجالات الثقافة والأدب.

---

(١) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر: د. حمد بن صادق الجمّال / ص ٣٥٣/ .

● **الباب الثالث**: العصرانيون الجدد.

تحدثت فيه عن الخصائص العامة للمدرسة العصرانية، وفي مزاعم التجديد عندهم وتشمل سبعة مباحث، تدور حول محاولاتهم لتجديد أصول الفقه، وموقفهم من السنة النبوية، ودعوتهم إلى فصل الدين عن الدولة، ودأبهم على تزوير التاريخ الإسلامي، والدعوة إلى وحدة الأديان.

●**الباب الرابع**: المدرسة العصرانية في الميزان.

خصص للحديث عن مفهوم التجديد بين الهدم والبناء وأن تجديد العصرانيين بدعي، بعيد عن مفهوم التجديد الشرعي. وفيه بيان لغرابة أفكار العصرانيين وللصلات الأجنبية المريبة، وأن حقيقة العصرانية: أنها دعوة علمانية. وهنالك عرض للمواقف المنحرفة على ضوء الكتاب والسنة.

● والله أسأل أن يلهمنا الإخلاص والصواب، وأن يكون عملنا خالصاً لوجهه إنّه سميع الدعاء.

مكة المكرمة في ١٤١٦/٤/٢٩ هـ

محمد الناصر

الباب الأول
الجذور التاريخية والفكرية للمدرسة العصرانية

الفصل الأول: المعتزلة «المدرسة العقلية الأولى».

الفصل الثاني: المدرسة الإصلاحية: «المدرسة العقلية الثانية».

الفصل الثالث: مدرسة سيد أحمد خان والقرآنيون في شبه القارة الهندية.

الفصل الرابع: التغريب: الاستشراق والتنصير.

الفصل الأول

المدرسة العقلية الأولى: المعتزلة

- أبرز ملامح الاعتزال.

١ ـ تأثرهم بفلسفة اليونان.

٢ ـ ينبوع المعرفة عند المعتزلة.

٣ ـ التطاول على أصحاب رسول الله ﷺ.

٤ ـ الأصول الخمسة عند المعتزلة.

٥ ـ منهجهم في تفسير القرآن الكريم.

٦ ـ مذهبهم في الحديث النبوي الشريف.

- الرد على شبه المعتزلة حول الحديث النبوي.
- أسباب ردهم لأحاديث الآحاد.

الفصل الأول

المدرسة العقلية الأولى: المعتزلة

لا نريد أن نفصل الحديث عن هذه الفرقة، لأنها أصبحت في طيات التاريخ، وما عاد لها ذلك السلطان الذي ظهر خلال حقبة قصيرة، في العصر العباسي الأول.. ثم تلاشى.

إلا أن بعض مبادئهم قد عادت للظهور من جديد، عند بعض الفرق الحديثة، كالعصرانيين الجدد، الذين ظهر إنتاجهم في النصف الثاني من هذا القرن.. مما يدعونا للبحث عن الجذور الفكرية لهذه المدرسة، وبيان الروابط بين القديم والحديث.

لقد اعتمد المعتزلة على تقديم العقل على النصوص الشرعية، من الكتاب المبين والحديث الشريف، ومن أجل ذلك بدأوا في تأويل الآيات المحكمة لتناسب عقولهم، وما بنوه من نظريات حول أصولهم الخمسة[١].

ثم رفضوا أحاديث الآحاد، وكذا الأحاديث المتواترة، إذا تعارضت مع تلك العقول... وبنوا على ذلك تكذيبهم لبعض الصحابة، والقدح في عدالتهم...

وكانت الفرصة ذهبية للفرق التي أرادت تطوير الشريعة، أو تجديد الدين (بزعمها)، تحت ضغوط الاستشراق والتنصير، وأمام انهزام النفوس، التي خضعت للحضارة الغازية، خيرها وشرها.

وفي هذا الفصل سوف نقصر الحديث على أبرز ملامح الاعتزال، وخاصة ما يلقي الضوء على نقاط التشابه والتلاقي مع منطلقات الفرق الحديثة.

---

(١) الأصول الخمسة: هي أساس معتقدات المعتزلة، وسوف نتحدث عنها بعد قليل.

أبرز ملامح الاعتزال

١ ـ تأثرهم بالفلسفة اليونانية:

المعتزلة قوم فتنوا بالفلسفة اليونانية، وبالمنطق اليوناني، وبما نقل عن الفلسفة الهندية والأدب الفارسي، وقد كانوا ـ كلهم أو جمهورهم ـ ممن يمتون إلى الأصل الفارسي، فأولوا القرآن، لينسجم مع تلك الفلسفات، وكذبوا الأحاديث التي تتعارض مع هذه العقلية اليونانية الوثنية[١].

لقد شاعت الفلسفة اليونانية في القرن الخامس الهجري، شيوعاً كاد أن يهز النفوس، وأصبح أذكياء الأمة، يقبلون على الفلسفة ومباحثها، من غير تمييز للنافع عن الضار... وأدى هذا الموقف الانهزامي الذي تردى فيه هؤلاء، إلى أنهم حاولوا إخضاع الدين، وحقائق الدين، إلى نظريات الفلسفة وفرضياتها، تحت شعار التوفيق بين الدين والفلسفة، وكان الأحرى بهم أن يخضعوا الفلسفة للدين[٢].

وقد بين الشيخ محمد أبو زهرة، الأسباب التي أدت إلى وقوع المعتزلة في أحضان الفلسفة فقال:

«وقد دفعهم إلى دراسة الفلسفة أمران:

أحدهما: أنهم وجدوا فيها مراناً عقلياً، جعلهم يلحنون بالحجة في قوة.

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي ـ المكتب الإسلامي / الطبعة الثالثة ـ بيروت ـ / ١٤٠٢ هـ.

(٢) مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد / دار الدعوة الكويت ـ ١٤٠٥ هـ/ .

وثانيهما: أن الفلاسفة وغيرهم، لما هاجموا بعض المبادىء الإسلامية تصدى هؤلاء للرد عليهم، واستخدموا بعض طرقهم في النظر والجدل، وتعلموا كثيراً منها، ليستطيعوا أن ينالوا الفوز عليهم»[1].

٢ ـ ينبوع المعرفة عند المعتزلة[2]:

يتلخص في تقديم العقل على الأدلة الشرعية، وجعل العقل حاكماً لا محكوماً.

وقد اشتمل هذا المنهج العقلي على خطوتين.

الأولى: قصدوا بها تطهير الفكر، وضرورة تجرده عن الإلف والعادة... وفي هذا هدم لنظرية التقليد.

الثانية: تحكيم العقل تحكيماً مطلقاً، إذ آمن المعتزلة بالعقل ورفعوا شأنه.. وجعلوه الحكم الذي يحكم في كل شيء والنور الذي يجلو كل ظلمة، حكموه في إيمانهم، وفي جميع شؤونهم العامة والخاصة[3].

لقد حكَّموا العقل أكثر من تحكيمهم للشرع، بل جعلوا الأدلة العقلية مقدمة على الأدلة الشرعية، فكذبوا ما لا يوافق العقل، من الحديث الشريف ـ وإنْ صح ـ وأولوا ما لا يوافقه من الآيات وإن وضحت، بل حاولوا إخضاع عبارات القرآن لآرائهم وتفسيرهم لها تفسيراً يتفق مع مبادئهم[4].

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: الشيخ محمد أبو زهرة /ص ١٤٥/. الجزء الأول ـ دار الفكر العربي، القاهرة ـ طبعة دار الثقافة.

(٢) ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد بن عبد الرحمٰن الرومي ـ مؤسسة الرسالة / الطبعة الرابعة ـ ١٤١٤ هـ.

(٣) الفكر الإسلامي بين الأمس واليوم: محجوب بن ميلاد /ص ١١٤/ الشركة القومية للنشر والتوزيع / تونس/.

(٤) التفسير والمفسرون: الشيخ محمد حسين الذهبي، ج ١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

فقد كانوا يطرحون المسألة، ثم يعرضونها على العقل - عقل الواحد منهم بالطبع - فيستجمع لها الأدلة كما تتراءى له، لإثباتها على وجه من الوجوه، وحين يصل إلى نتيجة (ما)، يعمد إلى الأدلة السمعية فيؤول منها ما لا يوافق نتيجته، إن كان من آيات الكتاب، أو يرد الحديث بدعوى تناقضه مع العقل، أو أنه مبني على الظن...

وبسبب أنهم كانوا يتحاكمون إلى عقل الواحد منهم، لذلك اختلفت مناهجهم اختلافاً كبيراً، في كافة جزئيات مذهبهم، وتناطحوا وكفر بعضهم بعضاً[1].

وقد اتخذوا الجدل والمراء وسيلة للبحث في الدين، ذلك أن منهج علم الكلام أصلاً قد بني على «إن قالوا... قلنا» وذلك لازم مذهبهم وعليه بنيت أصولهم، ولا شك أن هذا مخالف للشرع المحمدي الذي جاء بحسم أسلوب الجدل والمراء، وأخبر بهلاك الأمم إذا أوتيت الجدل[2].

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[3].

وقال الإمام الأوزاعي: «إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل ومنعهم العمل»[4].

وقد أدى بهم منهجهم هذا إلى أن شطحوا بعقولهم، ووضعوا الرسل تحت مجهر العقل ناقدين لهم لأنهم بشر.

(١) المعتزلة بين القديم والحديث: محمد العبدة، طارق عبد الحليم (ص ٢٦ - ٢٨).
(٢) السابق: (ص ٣٠ وما بعدها).
(٣) أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، ١/ ١٤٥.

٣ ـ التطاول على أصحاب رسول الله:

رضي الله عنهم، بما تقشعر منهم جلود المؤمنين، وذلك لأنهم بشر، وأن أحاديثهم قد تناقض أصول المعتزلة، فهذا عمرو بن عبيد، أحد كبرائهم يقول: «والله لو أن علياً وعثمان وطلحة والزبير، شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزته»، وقال عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: «ما تصنع بسمرة قبّح الله سمرة»[١].

رضي الله عن صحابة رسول الله الذين حفظوا دينه، ونشروا سنة نبيّه، رغم أنف ابن عبيد وأمثاله من أهل البدع.

لقد طعن كبراء المعتزلة بالصحابة رضي الله عنهم، وشنعوا عليهم ورموهم بالكذب، ونسبوا إليهم التناقض.

فقد رمى إبراهيم النظّام ـ وهو شيخ المعتزلة المتقدم ـ أبا بكر رضي الله عنه بالتناقض، وطعن بمثل ذلك في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

وشددوا الحملة على الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه[٢].

مما فتح الباب على مصراعيه أمام تشكيك الحاقدين أمثال المستشرقين ومن شايعهم، مما سنذكره في الفصول القادمة.

ومن ثم فقد ولغ بعض ضالي المعتزلة في أعراض الصحابة خلال فتنة الجمل وصفّين.

إذ زعم كل من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد: «أن إحدى الطائفتين يوم الجمل فاسقة، ولا تقبل شهادتهم»[٣].

---

(١) تاريخ بغداد: لأبي بكر أحمد بن علي، الخطيب البغدادي جـ ١٢/١٧٦، ١٧٨/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

(٢) انظر تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة / ص ١٧ وما بعدها.

(٣) الفرق بين الفرق: للبغدادي / ص ١٢٠/.

رغم اتفاق العلماء على عدالة جميع الصحابة، أما ما شجر بينهم: فإن أهل السنة لا يخوضون فيه، بل يعتقدون أن كلهم مجتهد، مأجور يبتغي ثواب الآخرة.

ويلخص أبو منصور البغدادي موقف المعتزلة من الصحابة بقوله: «المعتزلة ما بين شاكٍّ بعدالة الصحابة منذ عهد الفتنة، كواصل بن عطاء، وما بين موقن بفسقهم، كعمرو بن عبيد، وما بين طاعن في أعلامهم، متهم لهم بالكذب والجهل والنفاق كالنظّام، وذلك يوجب ردهم للأحاديث التي جاءت عن طريق هؤلاء الصحابة، وأن النظّام كان ينكر حجية الإجماع والقياس، وقطعية التواتر»[١].

وقد أدّى ذلك إلى أن فتح رؤساء المعتزلة ثغرات في مكانة الصحابة، استطاع أن يلج المتعصبون من المستشرقين حمى أولئك الذادة الميامين من صحابة رسول الله، وأن يتجرءوا على رميهم بالكذب والتلاعب في دين الله، مستندين إلى ما افتراه النظّام وأمثاله عليهم، وقد تبع المستشرقين في هذا بعض الكتاب المسلمين، كأحمد أمين، ومحمود أبو رية[٢]. وقد ارتكبوا إثماً عظيماً وكبيرة لا نظير لها نتيجة هذا الطعن[٣].

٤ ـ الأصول الخمسة عند المعتزلة[٤]:

أجمع المعتزلة على أصول خمسة هي أساس معتقداتهم:

١ ـ التوحيد.

٢ ـ العدل.

٣ ـ الوعد والوعيد.

٤ ـ المنزلة بين المنزليتين.

---

(١)(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي (ص ١٤٠، ١٤٢).

(٣) انظر الباب الرابع ص ٣٤٥.

(٤) ينظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير: (ص ٤٤ ـ ٦٥).

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويعتبر الأصل الأول من أهم أصولهم، وقد سموا أنفسهم بأهل التوحيد.

وقد بنى المعتزلة على هذا الأصل أموراً عدة منها:

أ ـ تعطيل الصفات.

ب ـ القول بخلق القرآن.

ج ـ إنكار رؤية الله سبحانه يوم القيامة.

ويعتبر الأصل الثاني: **العدل**، من أهم أصولهم بعد التوحيد، ولذا فهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد.

وقد توصلوا إلى أن عدل الله يجعل الإنسان خالقاً لأفعاله، خيرها وشرها، وقد أفضى بهم هذا إلى إنكار القدر، ولا دخل لقدر الله في خلق أفعال الإنسان.

وقالوا: وأما من خالف في العدل، وأضاف إلى الله تعالى القبائح كلها من الظلم، وإظهار المعجزات على الكذابين، وتعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم فإنه يكفر أيضاً[١].

ومما يترتب (عندهم) على الأصل الثالث: الوعد والوعيد، أن الله وعد المحسن بالثواب، وأوعد المسيء بالعقاب، فيجب على الله أن يثيب المحسن، وأن يعاقب المسيء، فلو لم يعاقب لزم الخلف في وعيده، وهم بهذا جعلوا الثواب على الطاعات والعقاب على المعاصي، أمراً حتمياً، التزم الله تعالى به.

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين.

قالوا: إن هذه المنزلة لأهل الكبائر، فأهل الكبائر، ليسوا بمؤمنين، ولا بكافرين، وإنما هم في منزلة بين المنزليتن (الإيمان) و (الكفر) وهي

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار ص ٣٤٥.

منزلة (الفسق)، فصاحب الكبيرة فاسق وهو خالد في النار، ولو صدق بواحدنية الله، وآمن برسله، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ (النساء: ٩٣).

ولكنهم قالوا: إن عذابه يكون أخف من عذاب الكفار[١].

أما الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد رتبوا عليه أموراً في السياسة الشرعية، ليس هنا موضعها.

٥ ـ منهج المعتزلة في تفسير القرآن الكريم[٢]:

لقد اعتمد المعتزلة على العقل، وجعلوه هو الأصل... ثم رجعوا بعد ذلك إلى النصوص واختاروا منها ما يوافق رأيهم وبقي ما لم يوافق - وهو كثير - كعقبة كأداء في طريقهم، وعندها استنفروا كل العلوم والمعارف، وأبطلوا التفاسير الأخرى، إذا لم توافق آراءهم، حتى ولو كانت أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، خلال تلك التفاسير.

فقد كذبوا النصوص النبوية الصريحة، وجرحوا رواتها، ولجأوا إلى التأويل بأوسع أبوابه، وحرفوا الكلم عن مواضعه بغياً وعدواناً.

قال المعتزلة: «إن الله سبحانه لم يستو على عرشه كما أخبر، بل استولى عليه، فأولوا الاستواء بالاستيلاء، وأن معنى اليد المنسوبة إلى الله سبحانه هي النعمة، والعين تأولوها بمعنى العلم»[٣].

وأولوا الآيات الدالة على إثبات صفة الكلام. كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤). بأن لفظ الجلالة منصوب على أنه

---

(١) منهج المدرسة العقلية في التفسير: فهد الرومي ص ٤٤ ـ ٥٢.

(٢) للتوسع في ذلك: انظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد الرومي ص ٥٥ وما بعدها.

(٣) مقالات الإسلاميين: للأشعري، ص ١٩٥ وما بعدها.

مفعول، ورفع (موسى) على أنه فاعل، وبهذا أبطلوا صفة الكلام لله تعالى[1].

ومن انحرافاتهم في الوعد والوعيد: قولهم إنه لا يجب حمد الله على إدخاله المحسنين للجنة، لأنه إنما أعطاهم حقاً من حقوقهم، ووعدهم وعداً وجب عليه أن ينفذه، وأولوا قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (سورة سبأ: الآية الأولى) بأن الحمد في الآخرة ليس بواجب، لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها، إنما هو تتمة سرور المؤمنين، وتكملة اغتباطهم، يلتذون به، كما يلتذ العطاش بالماء البارد[2].

أهم مميزات منهجهم في هذا التأويل[3]:

أ ـ **تحكيم العقل في الأمور الغيبية تحكيماً مطلقاً**، إذ أنكروا حقائق كثيرة، أثبتها أهل السنة استناداً إلى النصوص، فأنكرها المعتزلة استناداً إلى العقل المجرد.

من ذلك: رفض النظّام الاعتقاد بوجود الجن، وإنكارهم أن للسحر حقيقة، وأنه لا تأثير له.

ب ـ **موقفهم من التفسير بالمأثور**: فهم يشككون في الأحاديث التي تصطدم بمبادئهم ويكذبونها، وإنْ علت درجتها في الصحة، أو يؤولونها تأويلاً باطلاً...، بينما يستشهدون بالأحاديث الضعيفة، بل الموضوعة لنصرة مذهبهم الاعتزالي، والحقيقة أن منهجهم يسيره الهوى قبل كل شيء.

جـ ـ **ومن الأحاديث التي أنكروها**، أو تأولوها، لا لضعف في سندها، بل لمخالفتها لمذهبهم في **إنكار الرؤية**، مع أنها متواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن ومنها حديث جرير بن عبد الله البجلي، رضي الله

---

(١) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري جـ ١/ ٥٨٢.

(٢) الكشاف: للزمخشري، جـ ٣/ ٢٧٨.

(٣) ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص ٦٠ ـ ٦٥.

عنه قال: «كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا لا تضامّون في رؤيته»[1].

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً[2]. ومع هذا كله لم تلق القبول لدى المعتزلة، مع علمهم بها، واطلاعهم عليها[3].

د ـ وتجاوزوا هذا إلى **تكذيب الصحابة وتجريحهم**، إذا كان ما رووه يخالف أصولهم. فقال النظّام المعتزلي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «وزعم أن القمر انشق وأنه رآه، وهذا من الكذب الذي لا خفاء به»[4].

هـ ـ **ويتمسك المعتزلة بأحاديث ضعيفة أو موضوعة**: لبيان أصل من أصولهم، فيستشهدون مثلاً بما روي عن علي رضي الله عنه: «وأفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[5].

● قال ابن تيمية رحمه الله في فساد هذا المنهج: «إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المفسرين لا في رأيهم ولا تفسيرهم»[6].

٦ ـ مذهبهم في الحديث النبوي الشريف[7]:

الحديث النبوي هو ثاني مصادر الشريعة الإسلامية ـ بعد القرآن ـ فهو

---

(١) متفق عليه.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ص ٢٠٩، ٢١٠.
(٣) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص ٦٣.
(٤) تأويل مختلف الحديث: لابن قتيبة، تحقيق محمد زهري النجار ص ٢١.
(٥) تفسير الكشاف: جـ ١/ ٤٥٢.
(٦) الفتاوى: جـ ١٣/ ص ٣٥٨ مقدمة التفسير/.
(٧) ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: ص ٨١ ـ ٨٥.
ومموقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: رسالة ماجستير / جامعة أم القرى/ ١٤١٤ ـ هـ، إعداد الطالب الأمين الصادق الأمين / ص ٩٢ ـ ١٣٠/.

المفسّر، والمبين الأول لكتاب الله تعالى، ولهذا عني به أئمة المسلمين وعلماؤهم على مر العصور، عناية تفوق الوصف.

ولما أطلت المبتدعة برؤوسها، واتخذوا وضع الأحاديث أهمّ طريق للتدليل على مذاهبهم الفاسدة، واهتم علماء الأمة بالسند، وعملوا على تمحيصه تمحيصاً دقيقاً، ووضعوا لذلك علوماً عديدة، تخدم هذا الغرض، كعلم الجرح والتعديل، وقد أدى ذلك إلى فرز الحديث، صحيحه من ضعيفه، وإلى تنقيته مما وضعه الوضّاعون من المبتدعة، فظل الحديث النبوي صافياً من الشوائب.

وكان لا بد للمبتدعة على اختلاف أهْوائهم، أن يحاولوا اختراق هذا الجدار المنيع، الذي يحمي أسس العقيدة، والشريعة ويصون تفاصيلها، ليتمكنوا من الزيادة أو النقص في الدين، حسبما يشاءون.

فذهب المعتزلة إلى أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين، بينما حكم العقل (عندهم) يقيني لأنه مناط التكليف.

وعلى ذلك يجب تقديم الحكم العقلي على خبر الآحاد مطلقاً سواء في العقائد، أو في الشرائع العملية، بل إنهم ردوا أخبار الآحاد في العقائد جملة، بدعوى أن العقيدة، يجب أن تثبت بطريق قطعي يقيني، لا بطريق ظني كخبر الواحد.

«ولا يجوز عندهم أن يعتبر حديث الآحاد من السنة، إلا على وجه التعارف، وذلك بعد موافقته للعقل، ولهذا لا يجوز في العقل أن يقال فيه قال رسول الله قطعاً، وإنما يجوز أن يقال: روي عنه ﷺ»[1].

وكان من جراء ذلك أن رد المعتزلة الكثير من العقائد الثابتة عن رسول الله ﷺ، كعذاب القبر، والإيمان بالحوض والصراط، والميزان

---

(١) انظر: فضل الاعتزال: ص ١٨٥ ـ ١٨٦، القاضي عبد الجبار.

والشفاعة، ورؤية الله في الآخرة، كما ردوا الكثير من الأحكام الشرعية الصحيحة إما بدعوى مناقضتها للعقل، أو تعارضها مع الكتاب، أو تعارضها مع أحاديث أخرى.

وقد ذكر ابن قتيبة نماذج كثيرة من هذا الانحراف[1].

أما الحديث المتواتر: فقد ذهب النظّام إلى جواز وقوع الكذب في الخبر المتواتر، وتعتبر الحجة العقلية عنده كفيلة بنسخ الأخبار.

وقد أنكر النظّام ما روي من معجزات نبينا محمد ﷺ من انشقاق القمر وتسبيح الحصى في يده ليتوصل من ذلك إلى إنكار نبوته، وقد ذكر البغدادي: «كيف دخل الفساد على عقيدة النظّام ممن خالطهم من الزنادقة والفلاسفة وغيرهم.. وقد أنكر بعد ذلك حجية الإجماع، وحجية القياس في الفروع الشرعية»[2].

وذكر البغدادي أيضاً قول أبي الهذيل العلاف: «إن الحجة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم السلام، وفيما سواها لا تثبتّ بأقل من عشرين نفساً، فيهم واحد من أهل الجنة، أو أكثر... وزعم أن خبر دون الأربعة لا يوجب حكماً»[3].

وهذا ما يؤكده الشاطبي حول مسلك أهل البدع أنهم «ربما قدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ـ وحاشاهم ـ وفيمن اتفق من الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم».

«وذهبت طائفة إلى نفي أخبار الآحاد جملة، والاقتصار على ما استحسنته عقولهم في فهم القرآن...»[4].

---

(١) في كتابه: تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة.

(٢)(٣) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي /مطبعة المدني في القاهرة /ص ١٢٧، ١٤٣/.

(٤) الاعتصام للإمام الشاطبي: ١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢/.

أمّا أهل السنة فقد وفقهم الله إلى المذهب الحق في كل تلك الأمور، فأما حجية خبر الآحاد فقد انعقد إجماع السلف من الأئمة، على وجوب العمل به، سواء في مجال العقيدة النظرية، أو الشريعة العملية، فما دل على عقيدة اعتقدوها ديناً، وما دل على شريعة عملية أطاعوها وعملوا بها[1].

● الرد على شبه المعتزلة حول الحديث النبوي[2]:

يعتبر الحديث النبوي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، وهو وإن كان دونه في المنزلة، إلا أنه مثله في الحجية...

وما أثاره المعتزلة حوله من شبه، إنما هي شبه واهية، لا تستند إلى دليل، ولا تؤيدها حجة.

من تلك الشبه: ذمهم لتعلم الحديث، وإنكار حجية أحاديث الآحاد، ورفض الأحاديث التي تتعارض مع عقولهم وأصولهم.

● **أما ذمهم لتعلم الحديث وأهله:** فهو معروف عنهم، إذ حذروا من تعلمه، وقللوا من فائدته والاستدلال به، ونصوا على أنه لا حاجة إليه، إذ اعتبروا أن العقول تغني عنه، والأذهان تكتفي بغيره.

«وذكروا أنّ الواحد من أصحاب الحديث يحب الاستكثار من طريق واحد، ولا يكون فيه كبير فائدة، إلاّ تخير الزيادات فيه..

(ومعلوم) أنّ المعتزلة لم يشتهروا بالفقه والحديث، لأنهم توفروا (اكتفوا) على ما عندهم، وهو أجدى في الدين، من طلب الفقه والحديث»[3].

---

(١) منهج المدرسة العقلية في التفسير / ص ٨٥/.

(٢) ينظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، (ص ١٠٠ ـ ١٣٠) الأمين الصادق الأمين / ١٤١٤ هـ/ جامعة أم القرى.

(٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: القاضي عبد الجبار، (ص ١٩٣ ـ ١٩٤) ـ الدار التونسية للنشر.

هذا وإن ذمهم لتعلم الحديث، ينبىء عن جهلهم بحديث رسول الله ﷺ وقلّة معرفتهم به، وعدم الاعتناء والاهتمام به، ولذلك قل استدلالهم بالحديث في كتبهم.

قال عبد الله بن المبارك: «وجدت الدين لأهل الحديث، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة، والحيل لأهل الرأي»[1].

● **أما حجية أحاديث الآحاد:** فلو ترك الاحتجاج بها، لتهاوت أركان الشريعة الإسلامية، واندثر الحق، وغاب الهدى، وصار للباطل صولة..

والأدلة كثيرة من كتاب الله وحديث الرسول ﷺ وأقوال السلف، بل وإجماعهم على الاحتجاج وقبول الاستدلال به كثيرة لا تحصى.. وسوف نورد فيها ما يناسب المقام:

- قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2]. أورد الإمام البخاري هذه الآية، في ترجمة أول باب من كتاب: «أخبار الآحاد»، ليدلل بها على جواز العمل به والقول بأنه حجة[3].

ولفظ ﴿طَآئِفَةٌ﴾ في الآية يتناول الواحد فما فوقه، ولا يختص بعدد معين، وذلك منقول عن ابن عباس وغيره[4].

- وفي السنة النبوية: روى البخاري بسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله ﷺ، قَدْ أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة: (ص ٤٧١).

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ٤/ ١٣٢، وفتح الباري: ١٣/ ٢٣٣ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي /ط دار الفكر.

(٤) السابق: ١٣/ ٢٣٤.

الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»[1].

والحجة في هذا الحديث بيّنة ظاهرة، فإن أهل قباء كانوا على قبلة، فرض الله عليهم التوجه إليها، وهي بيت المقدس، فتحولوا عنها بخبر الذي أخبرهم بأن النبيّ أُمرَ أن يستقبل الكعبة[2].

● وقد قبل أبو طلحة ومن معه خبر المخبر لهم في تحريم الخمر، وهو واحد، إذ أخبرهم في تحريم ما كان حلالاً عندهم، وأكد أبو طلحة رضي الله عنه ذلك بإتلاف الجرار وهي مال، وإراقة الخمر وهي سرف، فلو لم يكن الخبر عندهم حجة لما أقدم على ذلك.

«والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصر، وقد بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الأرض، المجاورين لبلاد العرب، وكانوا آحاداً، وأمرهم بتعليم من أسلم، شرائع الدين، كما بعث كثيراً من أصحابه إلى جهات متعدّدة ليعلموا الناس شعائر الإسلام. فبعث معاذاً إلى اليمن، وأبا موسى إلى زبيد، وأبا عبيدة إلى نجران، وبعث إلى كل طائفة معلماً يعلمهم دينهم، ويبلغهم أحكام الشرع، وكانت الحجة قائمة بتبليغ كل واحد من هؤلاء على من بلغهم، وهم ملزمون بقبول ما أمرهم به»[3].

«وقد أجمع الصحابة والتابعون لهم من سلف الأمّة، بل والأمة بأسرها على قبول خبر الواحد الثقة، عن النبيّ ﷺ، حتى حدّث متكلمو المعتزلة بعد المائة، فخالفوا الإجماع»[4].

وقد نقل جماعة من العلماء هذا الإجماع[5].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، ١/ ١٠٥، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر/ استانبول/ ١٣١٥ هـ.

(٢) انظر فتح الباري: ١٣/ ٢٣٧.

(٣) (٤) ينظر الإحكام في أصول الأحكام: لابن حزم، ١/ ١١٠، ١١٣ ـ ١١٤.

(٥) انظر: الرسالة للإمام الشافعي، (ص ٤٥٣)، فتح الباري: ١٣/ ٢٣٤، وإرشاد الفحول للشوكاني / ص ٤٩/ مطبعة البابي الحلبي / ١٩٣٧ م.

أسباب ردهم لأحاديث الآحاد[1]:

من أبرز الأسباب التي جعلتهم يقفون هذا الموقف، أنّ الأحاديث هذه كانت تتعارض مع ما قرروه في نظرياتهم العقدية، وأصولهم المنحرفة.

ـ من ذلك قولهم في صفات الله تعالىٰ، وتسليط عقولهم على نصوص الوحي بالتأويلات التي لا ضابط لها.

ـ ومن ذلك نفيهم الأحاديث في رؤية الله تعالىٰ يوم القيامة، رغم أن أحاديث الرؤية كثيرة بلغت حد التواتر في الصحاح والسنن والمسانيد، وقد رواها عن النبيّ ﷺ نحو ثلاثين صحابياً[2].

ومن تلك الأحاديث ما رواه البخاري بسنده إلى جرير قال:

«كنا جلوساً عند النبي ﷺ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا»[3].

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «من كذب بالرؤية فهو زنديق»[4].

ـ ومن ذلك: توسعهم في موضوع القدر، حتى جعلوه أصلاً من أصولهم الخمسة، وقد زعموا أن العقل هو الذي قادهم إلى ذلك، أما نصوص الكتاب والسنّة، فلا دخل لها بشأن العدل، وما ورد من أحاديث الآحاد دالاً على ذلك، فهو ضرب من ضروب الخطأ[5].

---

(١) ينظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ص ١٣٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٥٥.

(٢) انظر: شرح الطحاوية / ١٩٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التوحيد (٩٧)، ٨/ ١٧٩.

(٤) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ٢٤٦، محمد أحمد السفاريني، مكتبة أسامة / الرياض/ المكتب الإسلامي/ بيروت.

(٥) انظر: فضل الاعتزال للقاضي عبد الجبار ص ٢٨٦، ص ٢١٠.

ـ وفي قضية مرتكب الكبيرة: فالمعتزلة لا يعتمدون على نص من القرآن أو السنّة في إطلاقهم الأحكام على صاحب الكبيرة، وإنما كان جل اعتمادهم على العقل، إذ تجاوزوا الأحاديث وحكموا على صاحب الكبيرة بالخلود في النار كالكافر[1].

ـ ورد المعتزلة أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر يوم القيامة، وأنكروها أيما إنكار، وقالوا: إنّ النبيّ لا يشفع لصاحب الكبيرة ولا يجوز له ذلك؟! لأنّ إثابة من لا يستحق الثواب قبيحة.

والفاسق إنما يستحق العقوبة على الدوام، فكيف يخرج من النار بشفاعته ﷺ؟[2].

والأحاديث التي وردت في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر ثابتة، منها أحاديث متعدّدة في الصحيحين، ومنها ما يكثر عدده في السنن والمسانيد[3].

● وقد بارك المستشرقون موقف المعتزلة من السنّة النبوية، ورأوا أن وجهتهم في رد الأحاديث بالعقل هي الوجهة الصحيحة التي يجب أن تناصر وتؤيد ضد المتشدّدين الحرفيين الجامدين على النصوص.. فهم أهل العقل الحر والمنهج القويم، الذي يجب أن يبقى ويستمر[4].

---

(١) انظر: فضل الاعتزال للقاضي عبد الجبار ص ٢٨٦، ص ٢١٠.

(٢) شرح الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار ص ٦٨٨ ـ ٦٨٩.

(٣) انظر الفتاوى لابن تيمية، ١/٣١٤، وصحيح البخاري: كتاب الإيمان.

(٤) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ص ٣٥٥ الأمين الصادق الأمين.

الفصل الثاني

المدرسة الإصلاحية
«المدرسة العقلية الحديثة»

المبحث الأول: مؤسسوها وأبرز رجالها.

المبحث الثاني: منهج المدرسة في التفسير.

المبحث الثالث: موقفها من السنّة النبوية والحديث الشريف.

المبحث الرابع: أثر المدرسة الإصلاحية في الفكر الإسلامي الحديث.

المبحث الأول

مؤسسوها وأبرز رجالها

لقد اختلفت الآراء في رجال هذه المدرسة منذ القديم، وتضاربت فيهم الأقوال تضارباً شديداً.

فبينما يعتبر بعضهم أن مؤسس هذه المدرسة ـ جمال الدين الأفغاني ـ هو باعث نهضة الشرق، وزعيماً من زعماء الحركات الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر، ومقاوماً للاستعمار الغربي، ومفجراً لروح العزّة والحرية في الشرق الإسلامي، ومحارباً شديداً للاستعمار البريطاني في مصر والهند[١].

يرى آخرون أن الأمر يختلف عن هذا الرأي، وأن واقع الرجل كان غريباً مريباً.

ولقد قارن الدكتور البهي بين الأفغاني وكل من ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والسنوسي، واعتبر أن الأفغاني كان أكثر اطلاعاً على مفاسد الغربيين وحضارتهم، ولذلك كان أكثر نجاحاً في حربه للاستعمار البريطاني[٢].

وكان الشيخ محمد عبده تلميذ الأفغاني، قد سار على طريق الإصلاح في المجالات المختلفة: التعليم والقضاء، وأصلح الأزهر، وعمل على إحياء كتب الأوائل، و... إلخ.

---

(١)(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البهي، ط ٩/ ١٩٨١ م/مصر. (ص ٦٨ ـ ٧٤، ص ٩٧ وما بعدها).

إلاّ أن الكتابات الحديثة، والدراسات المحققة، جاءت مخالفة لما كان سائداً حول منشأ هذه المدرسة، وهذا ما سوف نلقي عليه الضوء في الصفحات القادمة.

جمال الدين الأفغاني[1] (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧ م):

مما لا شك فيه أن حياة هذا الرجل مليئة بالأسرار، ويحيطها الغموض من كل جانب، وتلتبس فيها الحقائق بالأكاذيب، وزاد بعض تلاميذه الأمر سوءاً فأخفى بعض أعماله، زاعماً أن الطريقة الماسونية لا تسمح بذكرها.

ويزيد الأمر غموضاً عندما نعلم أنّ أكثر نشاطه كان سرياً، وأن الاختلاف في أصله، أهو إيراني أم أفغاني، وأن أكثر تلاميذه والمحيطين به كانوا خليطاً من اليهود والنصارى، فسليم النقاش من نصارى الشام وهو ماسوني، وأديب إسحق من أكثر الدعاة إلى الماسونية حماساً وقف نشاطه الصحفي على هذا، وهو من نصارى الشام كذلك. وكان من المحيطين به من النصارى أيضاً: جورج كوتجي، وكان طبيبه الخاص (هارون) يهودياً، ولم يحضر وفاته إلا كوتجي النصراني، وهارون اليهودي.

وعندما قدم مصر سكن في حارة اليهود.

والخلاف والغموض يلف اسمه ومذهبه، فهو جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني، وصفدر لفظ فارسي من ألقاب الإمام علي رضي الله عنه (عند الشيعة)[2].

---

(١)(٢) انظر: خاطرات جمال الدين ص ١٨: محمد المخزومي /الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين ص ٦٥ و ٦٩، تاريخ الأستاذ الإمام: محمد رشيد رضا جـ ١/ ٤٤، منهج المدرسة العقلية في التفسير فهد الرومي /ص ١٠٨ ـ ٢٢٢، ٧٥ ـ ١٢٣/ دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام: مصطفى فوزي غزال، الطبعة الأولى /دار طيبة/ ١٤٠٣ هـ ص ١٦١ ـ ١٩٦، ١٩٩ ـ ٢٢٧.

وقد كتب معاصر لجمال الدين، وهو أبو الهدى الصيادي من الآستانة إلى السيد رشيد رضا قائلاً:

«إني أرى جريدتك طافحة بشقاشق المتأفغن جمال الدين ـ الملفقة ـ، وقد تدرجت به إلى الحسينية التي كان يزعمها زوراً، وقد ثبت في دوائر الدولة رسمياً، أنه مازندراني من أجلاف الشيعة...»[١].

وكان قد أوعز إلى عدد من نصارى الشام لإنشاء الصحف في مصر منهم: أديب إسحق وسليم نقاش، وسليم عنحوري. فقد مكنهم من أجهزة الإعلام وفتح لهم المطابع وحصل على الامتيازات ليسلمها لهم[٢].

وقد كثرت رحلاته في أنحاء العالم: الهند ومصر فالآستانة، حيث ألقى محاضرة وقال فيها: «ولا حياة لجسم إلا بروح، وروح هذا الجسم، إمّا النبوّة أو الحكمة»[٣] مما أهاج عليه شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي وعدداً من العلماء، وأشير عليه بالسفر إلى مصر، وفي مصر اختلط بعلية القوم، وانخرط في الماسونية.

فقد قدم في ٢٢/ربيع الثاني/١٢٩٢ هـ طلباً للانضمام إلى المحفل الماسوني، ثم تمّ اختياره بعد ثلاث سنوات رئيساً لمحفل كوكب الشرق في ٧/ جنايو/١٩٧٨ م/ بأغلبية الآراء ثم اعتزل هذا المحفل، وأنشأ محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسي[٤].

ولم يزل يبذل جهوده في هذا الميدان، حتى صدر الأمر بنفيه في ٦/ رمضان/١٢٩٦ هـ من مصر، وجاء في القرار: «أنه رئيس جمعية سرية من

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده: محمد رشيد رضا جـ ١/ ص ٩٠ طبعة المنار بمصر، ١٣٥٠ هـ.
(٢) السابق: جـ ١/ص ٤٥ ـ ٤٧/.
(٣) المرجع السابق: جـ ١/ ٣٠ ـ ٣١.
(٤) خاطرات جمال الدين: محمد المخزومي ص ٢٠، ط ٢/ ١٣٨٥ هـ دار الفكر الحديث/ لبنان.

الشبان ذوي الطيش، مجتمعة على فساد الدين والدنيا»[1].

ولم ينقطع نشاطه الماسوني أينما حلّ في إيران أو في فرنسا، أو مصر وغيرها[2].

ويقول السيد محمد رشيد رضا: «وفي خلال عام (١٨٧٨ م) زاد مركزه خطراً في البلاد، وسما مقامه، لأنه تداخل في السياسات، وتولى رئاسة جمعية الماسون العربية»[3]، أي أصبح رئيس محافل البلاد العربية قاطبة، ونال الشيخ محمد عبده رتبة «البلح والصدف» من المندوب الأمريكي، الذي حضر إلى محفل لبنان[4].

ومعظم نشاط الأفغاني كان سياسياً، وكانت عداوته للإنجليز واضحة، إلا أن الدكتور محمد محمد حسين يتساءل: لماذا كانت عداوته للإنجليز شديدة، دون الاستعمار الفرنسي والهولندي؟!

والواقع أن سياسته كانت مضطربة، فقد لا يجد مانعاً من التعاون مع الإنجليز ضد الخلافة الإسلامية. قال السلطان عبد الحميد في مذكراته. «وقعت في يدي خطة أعدها في وزارة الخارجية الإنجليزية، كل من مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني وإنجليزي يدعى بلند (بلنت) قالا فيها؛ بإقصاء الخلافة عن الأتراك، واقترحا على الإنجليز إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين»[5].

أما بلنت هذا، فهو وزوجته كانا من أصدقاء الأفغاني، وكان وزوجته

---

(١) جمال الدين الأفغاني: عبد الرحمٰن الرافعي ص ٤٦/ سلسلة أعلام العرب/ دار الكاتب العربي.

(٢) انظر: المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي ص ١٠٠.

(٣) تاريخ الأستاذ الإمام: محمد رشيد رضا، ٤٦/١.

(٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٣٣٩/١.

(٥) مذكرات السلطان عبد الحميد/ ترجمة محمد حرب عبد الحميد (ص ٦٧) دار الأنصار ـ القاهرة/ مكتبة الخانجي/ ١٩٥٥ م.

ذوي نشاط مريب في بلاد العرب، ويكفي نشاطهما ريبة، دعوتهما إلى إنشاء دولة عربية حليفة لإنجلترا، وكتب (بلنت) كتاباً في ذلك سماه: «مستقبل الإسلام»[١].

كما أن الأفغاني وقف ضد ثورة المهدي في السودان بدعوى أنها فتنة وليست ثورة، وراح يرسل أخبار الثورة إلى بريطانيا للقضاء عليها[٢].

ـ هذه ملاحظات عامة حول سيرة جمال الدين الأفغاني، ولا تهمنا كثيراً إلا بقدر ما تلقي الضوء على سيرة من تأثر به في مصر من رجال هذه المدرسة، وعلى رأسهم المؤسس الحقيقي الفكري لها، وهو الشيخ محمد عبده، وتلامذته من بعده.

الشيخ محمد عبده[٣] (١٨٤٩ هـ ـ ١٩٠٥ م):

يعتبر هو المؤسس الحقيقي، والأب الفكري والروحي لجيل الإصلاحيين من بعد جمال الدين.

فقد اهتم بإصلاح التعليم، وخاصة بعد أن استقل عن أستاذه الأفغاني، إذ صار يعتقد بعد الثورة العرابية وعودته من المنفى، أنّ النهضة الإسلامية لن تكون إلا بإصلاح التعليم، وخالف أستاذه الأفغاني، الذي كان يرى أنّ السبيل إلى ذلك «الثورة السياسية». وفي هذا الصدد يقول الدكتور الوردي:

«ويُظن أنّ من أسباب توقف العروة الوثقى، ما وقع من خلاف بين الأفغاني والشيخ محمد عبده حول توجيه سياستها، فقد بدأ الشيخ محمد عبده يسأم من الاشتغال بالسياسة، ويميل إلى مثل منهج السيد أحمد خان

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية: محمد محمد حسين /ص ٦٨، ط ١، دار الإرشاد/ بيروت والمكتب الإسلامي بيروت أيضاً.

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام: محمد رشيد رضا: ١/٧٨.

(٣) ينظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير: فهد الرومي (١٢٤ ـ ١٦٩).

في مهادنة الاستعمار البريطاني، والاتجاه نحو إصلاح الناس عن طريق التعليم والتهذيب، وقد عرض الشيخ محمد عبده على الأفغاني محاولاً إقناعه فلم ينجح في ذلك»[1].

وقد بلغ كره محمد عبده للسياسة أوجه حين قال: «أعوذ بالله من السياسة، من لفظ السياسة، ومن معنى السياسة، ومن ساس ويسوس، وسائس ومسوس»[2].

والحقيقة أنه ترك السياسة ولم تتركه، بل استغلته واتخذته مطية لها عن طريق المعتمد البريطاني كرومر الذي يقول: «إن أهمية الشيخ ـ محمد عبده ـ السياسية ترجع إلى أنه يقوم بتقريب الهوّة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين، وأنه هو وتلاميذ مدرسته، خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربي».

«لقد كان محمد عبده يبذل للإنجليز النصيحة خالصة ويرشدهم إلى ما يوطد احتلالهم، وقد صرح كرومر بأن الشيخ سيظل مفتياً في مصر ما ظلت بريطانيا العظمى محتلة لها»[3].

وقدم له الإنجليز الحماية، فصدر العفو عنه بسبب الضغط البريطاني وفي الآستانة كثرت الدسائس ضده. يقول محمد رشيد رضا:

«كان المراد من الدسائس أن يحبس الأستاذ الإمام أو يهان، وهم لا يجهلون أنّ السفارة البريطانية كانت بالمرصاد، وأنها لا تسكت للحكومة الحميدية على ذلك لو أقدمت عليه، والسلطان ورجاله لا يجهلون هذا أيضاً»[4].

---

(١) دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام: مصطفى غزال ص ٣٠ ـ ٣١ ولمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث: ٣/٢٨٨، د. علي الوردي.

(٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده/ ص ١١١ ط: سابعة، دار المنار /١٣٦٧ هـ.

(٣) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام: محمد رشيد رضا، جـ ١/ ٩٢٢، ٥٠١.

(٤) السابق: جـ ١/ ٨٦٠.

ومما يؤخذ على الشيخ محمد عبده أيضاً: اشتراكه مع أستاذه الأفغاني في المحافل الماسونية، ونشاطه فيها، وتعاونه مع أستاذه في نشر مبادئه.

وكان الشيخ محمد عبده، هو الذي صاغ بونامج الحزب الوطني المصري، وجاء فيه: «الحزب الوطني حزب سياسي ديني، وإنه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذاهب، وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم لغتها منضم إليها»[١].

منهجه وآراؤه: للشيخ محمد عبده منهجه وآراؤه الإصلاحية: إذ يتجلى منهجه في التفسير بأنه يتناسب مع المعارف الغربية السائدة في العصر، فهو يفسر الطير الأبابيل بأنها جراثيم الجدري، أو الحصبة يحملها نوع من الذباب أو البعوض، والنفاثات في العقد بأن المراد فيها: النمامون المقطعون لأوامر الألفة[٢].

٢ ـ وفي بعض فتاوى الشيخ، نجد محاولة لتأويل أحكام الفقه تأويلاً عصرياً يبرر لواقع الحضارة الغربية، ومن أهم فتاواه في ذلك: حل إيداع الأموال في صندوق التوفير، وأخذ الفائدة عليها، وفي رأيه في تعدد الزوجات، إذ يرى أن الظروف والملابسات السائدة في المجتمع تجعل من المستحيل العدل بين النساء، ولا بد من منع تعدد الزوجات إلا في حالات استثنائية يقررها القاضي[٣].

٣ ـ دعا إلى تحرير الفكر من التقليد، وأن يفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف، ذلك أنه عاصر شيوخاً في مصر جمدوا على التقليد وتنكروا للدليل، وحاربوا كل جديد، ولو كان نافعاً للمسلمين، وآمنوا بالخرافة والشعوذة، فجاءت المدرسة الإصلاحية لتطفىء النار بالنار، وتدفع الغلو بغلو آخر.

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمد عبده: جـ ١/١٠٧ د. محمد عمارة.

(٢) انظر الأعمال الكاملة لمحمد عبده: جـ ٥/٥٢٩، محمد عمارة/بيرت المؤسسة العربية للدراسات والنشر/١٩٧٦ م.

(٣) تاريخ الإمام محمد عبده: جـ ٣/٨٤، ٩٠ ـ ٩٥ للشيخ محمد رشيد رضا.

كما أن الشيخ قد تأثر في هذه الفترة ببعض المستشرقين خلال إقامته في فرنسا، واستمرت صلاته بهم بعد عودته من منفاه فكان يزورهم ويراسلهم، ومن الجدير بالذكر أن العالم الغربي كان قد فتن بالعقل البشري وجعله نداً للوحي في هداية الإنسان، ومع هجوم المستشرقين على التصور الإسلامي وعقيدة القضاء والقدر فيه، أراد الشيخ إثبات قيمة (العقل) تجاه (النص)، وإحياء فكرة الاجتهاد، فاصطدم مع الواقع، ومال إلى الغلو عندما أراد أن يثبت لأصدقائه المستشرقين أنّ أصول الإسلام لا تتعارض مع المنطق والعقل[١].

٤ ـ تقديم العقل على نصوص النقل: بل يعتمد الإسلام في نظره على الدليل العقلي، وبه يحتج، لا بالمعجزات، بل يعتقد الإمام أن الإيمان بالله لا يؤخذ من الرسول ولا من الكتاب ولا يصح أخذه منهما، بل من العقل. «وقد اتفق المسلمون إلا قليلاً منهم، ممن لا يعتد برأيه، على أنّ الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات، وأنه لا يمكن الإيمان بالرسل إلا بعد الإيمان بالله، فلا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله من كلام الرسل، ولا من الكتب المنزلة...»[٢].

٥ ـ وقد اهتم بالتقريب بين الأديان، إذ أنشأ جمعية سياسية دينية سرية هدفها التقريب بين الأديان الثلاثة: «الإسلام والمسيحية واليهودية» وذلك في بيروت، بعد أن توقفت العروة الوثقى، واشترك معه في تأسيسها: ميرزا باقر، وعارف أبو تراب، والقس إسحق تيلر، وبعض الإنجليز واليهود، وكان الإمام صاحب الرأي الأول فيها[٣].

---

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب (ص ١٨ ـ ١٩) ط ٢ ١٩٦٥/ القاهرة/ دار إحياء الكتب العربية، ودراسات في السيرة النبوية محمد سرور زين العابدين / ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧، ط: دار الأرقم / ١٤٠٧ هـ.

(٢) الإسلام والنصرانية: محمد عبده، ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) تاريخ الأستاذ الإمام: السيد رشيد رضا، طبعة أولى جـ ٨١٩/١.

● **ومن رواد هذه المدرسة وتلاميذ الشيخ محمد عبده: محمد رشيد رضا** الذي بدأ يتحول تدريجياً من منهج المدرسة العقلية إلى منهج السلف ولعل بداية التحول، أعقبت وفاة أستاذه محمد عبده، فقد صار يهتم بطبع كتب السلف في مطبعة المنار، مثل كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب ونحوهم.

كان رحمه الله ـ خلافاً لأستاذه ـ يهاجم الاستعمار بجميع أشكاله الإنجليزي والفرنسي والإيطالي[1].

ومن أعلام هذه المدرسة، الشيخ **محمد مصطفى المراغي**، شيخ الجامع الأزهر، وكان من أكبر تلاميذ الإمام محمد عبده.

ومنهم: الشيخ محمود شلتوت، وأحمد المراغي، وعبد العزيز جاويش، ومحمد فريد وجدي وغيرهم.

هذا وإن اجتهادات الشيخ وكبار تلاميذه، مما خالفوا فيه الجمهور مع فتح باب الاجتهاد العصراني، أدت إلى ظهور طبقة من تلامذة الشيخ، كان لها انحرافات حادة في مجال الأسرة: مثل قاسم أمين في كتابيه «المرأة الجديدة» و «تحرير المرأة». وعلي عبد الرازق في السياسة الشرعية، إذ دعا إلى فصل الدين عن الدولة على غرار النصارى[2]. وفي أمور أخرى ـ كما سيأتي بيانه.

وسوف نتحدث عن أبرز توجهات الإصلاحيين، وآرائهم ومن أهمها: منهجهم في التفسير، ثم موقفهم من السنّة النبوية.

---

(١) انظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير: (ص ١٧٠ ـ ١٨٧).

(٢) انظر مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد ص ١٤٣ ـ ١٤٦ (وص ١٤٧ ـ ١٥٠).

المبحث الثاني

● ـ منهج المدرسة الإصلاحية في التفسير[1]

يحدد رجال هذه المدرسة أنّ المطلوب من التفسير هو: «فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا، وحياتهم الآخرة.. وما وراء ذلك من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله»[2].

ويرى السيد رشيد رضا «أنه كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير، يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية... فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب، وقواعد النحو، ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين، واستنباط الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين... وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات...»[3].

والحقيقة إنّ هؤلاء قد يتفقون مع منهج السلف في بعض أسس منهجهم، وقد يخالفونه، كما أنهم قد يتفقون معهم في بعضها، من ناحية تقرير الأساس والتسليم به، لكنهم يتطرفون في تطبيقه، ويتجاوزون حدود السلف فيه»[4]. مما جعلهم يخلطون الصحيح بالسقيم.

---

(١) انظر بحثاً مفصلاً في: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د. فهد الرومي،(ص ٢١٥ ـ ٣٨٠)، وقد اعتمدت عليه في هذا المبحث.

(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، جـ ١/ص ١٧، فاتحة الكتاب للشيخ محمد عبده (ص ٥)، ط ٤/ دار المنار بمصر / ١٩٥٤ م/ ١٣٧٣ هـ.

(٣) تفسير المنار: جـ ١/ ص ٧/ محمد رشيد رضا.

(٤) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

ومن أبرز أصولهم في التفسير:

١ ـ القرآن هو المصدر الأول للتشريع[1]:

ماذا يعني ذلك في مفهومهم؟!

هذا الأصل حق إلا أنهم يقصدون من ذلك نبذ السنّة ومن ثم فصلها عن الشريعة، وقد تسرب هذا إليهم من بعض الفرق كالشيعة والمعتزلة والخوارج.

واستغل المبشرون والمستشرقون هذا الأمر أبشع استغلال، وربوا عليه تلاميذهم.

ويرد على هؤلاء جميعاً كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحشر: الآية ٧].

وقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا إني: أوتيت هذا الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه...»[2].

إنّ الإصلاحيين يأخذون بالقرآن، أما إذا تعارض مع الحديث حسب معطيات عقولهم فإنه يرد، ويرد عموماً إذا تعارض مع عقولهم، من ذلك حديث سحر رسول الله ﷺ على يد يهودي، ولو كان الحديث في صحيح البخاري.

---

(١) المرجع السابق: (ص ٢٤٦ وما بعدها).

(٢) رواه أبو داود في السنة وسنده صحيح، والترمذي في العلم وقال: حديث حسن.

ويوضح هذا الأمر الشيخ محمد عبده فيقول: «وعلى أي حال فلنا، بل علينا أن نفوض الأمر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل»(١).

والحقيقة أن إنكار حجية السنة، والادعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده، لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة»(٢).

٢ ـ المنهج العقلي في التفسير:

يضخم الإصلاحيون دور العقل شأن المعتزلة، ويتخذونه حكماً ودليلاً في أمور الدين كلها، ومنها علم التفسير، وقد وجدوا بعض التفاسير السابقة مليئاً بما يناقضه العقل من الأقوال فنقدوه وأبطلوه، ووجدوا في معظمها إيماناً وتسليماً بما لا يدركه العقل فأوّلوه وحرّفوه، وكان لهم صولات وجولات، كان الصواب حليفهم حيناً، وكان التحريف سبيلهم أحياناً كثيرة(٣).

يقول الشيخ محمد عبده: «الأصل الأول للإسلام النظر العقلي، لتحصيل العلم، وهو وسيلة الإيمان... والأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض»(٤).

ومن نماذج تفسيرهم وتأويلهم: أن الشيخ محمد رشيد رضا يفسر (الإمداد) في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝﴾ [الأنفال: ٩] بقوله: «إن هذا الإمداد أمر روحاني، يؤثر في القلوب فيزيد في قوتها المعنوية...» وقال: «وظاهر نص القرآن أنه إنزال الملائكة، وإمداد المسلمين بهم فائدة معنوية، وأنهم لم يكونوا

---

(١) تفسير جزء عم: الشيخ محمد عبده، ص ١٨٠ ـ ١٨١، مكتبة محمد علي صبيح / ١٣٨٧ هـ.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ص ١٦٥/السباعي.

(٣) منهج المدرسة العقلية في التفسير: د. فهد الرومي ص ٢٩٢/٢٩٣.

(٤) الإسلام والنصرانية: محمد عبده ص ٧٤ ـ ٧٥، ط ٧ دار المنار ١٣٦٧ هـ.

محاربين» وقال: «وما أدري أين يضع بعض العلماء عقولهم عندما يغترون ببعض الظواهر، وببعض الروايات الغريبة التي يردها العقل، ولا يثبتها ما له قيمة من النقل»[1].

ونجد أنّ هذه النظرة في التأويل، وتحكيم العقل مبثوثة في تفاسير أصحاب هذه المدرسة، كالشيخ عبد القادر المغربي، والشيخ عبد العزيز جاويش، وإمامهم الشيخ محمد عبده.

ويرى الإمام ابن تيمية رحمه الله: «أنّ الرسل إنما جاءت بما يعجز العقل عن إدراكه، ولم تأت بما يعلم العقل امتناعه لكنّ المسرفين فيه، قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها بحجج عقلية زعموها حقاً، وهي باطل، وعارضوا بها النبوّات..» و «هؤلاء لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنّة، على نقيض قولهم، لظنهم أن العقل عارض السمع، فيجب تقديمه عليه.. وهم عند التحقيق لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنّة إلاّ على وفق عقولهم»[2].

٣ ـ التقليل من شأن التفسير بالمأثور:

ويشمل هذا النوع من التفسير: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنّة النبوية، وبأقوال الصحابة والتابعين.

وقد أشاد السلف بهذا النوع من التفسير، فأفرد المحدّثون منهم، كالبخاري ومسلم وغيرهما أبواباً للتفسير، جمعوا فيها ما صح عندهم من التفسير المأثور عن النبيّ ﷺ.

أما المدرسة الإصلاحية، فهم يقبلون المنهج السابق، ولكن بغير الحماس الذي يظهرونه لقبول المنهج العقلي.

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، جـ ٢/ ٥٦١، جـ ٩/ ٥٦٦.

(٢) الفتاوى لابن تيمية: جـ ٣/ ٣٣٩، ص ٨٨/ .

لهذا فهم حين يشكل عليهم حديث، لا يترددون في تأويله، فإن قبل التأويل، وإلا أبطلوه وكذبوه وطعنوا في رواته، ولو كان في الصحيحين[١].

ويوضح هذا المنهج الشيخ محمد رشيد رضا بقوله: «وأما الروايات المأثورة عن النبيّ ﷺ وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير، فمنها ما هو ضروري أيضاً، لأن ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء، ويليه ما صح من علماء الصحابة، مما يتعلق بالمعاني اللغوية، أو عمل عصرهم، والصحيح من هذا وذاك قليل، وأكثر التفسير المأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس، ومسلمة أهل الكتاب»[٢].

والحق أنّ السيد محمد رشيد رضا، لم يستمر في سلوكه هذا المنهج، فقد خالفه بعد موت أستاذه إذ يقول: «هذا وإني لما استقللت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه رحمه الله تعالىٰ؛ بالتوسع فيما يتعلق بالآية، من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها»[٣].

إلا أن التفسير بالمأثور هو أحسن طرق التفسير، يقول ابن تيمية رحمه الله: «فإن قال قائل، فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن.. فإن أعياك ذلك، فعليك بالسنّة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»[٤].

فمنهج المدرسة الإصلاحية: أنهم يستدلون بما يفسر الآية أو يتعلق بها من الأثر، بما لا يخالف ما ذهبوا إليه... وكثيراً ما يردون السنّة النبوية التي تفسر بعض آيات القرآن الكريم، فردوا أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث[٥].

---

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: الرومي، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٦ وانظر تفصيلاً لذلك: من (ص ٣٣٦ ـ ٣٥٥).

(٢)(٣) تفسير المنار: ج ١/٧ ـ ٨، وج ١/ص ١٦.

(٤) الفتاوى: ج ١٣/٣٦٢.

(٥) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير الرومي (ص ٣٤٤).

ـ من ذلك ما ورد في السنّة عن الكوثر، الذي أعطيه الرسول ﷺ، لقد روى البخاري رحمه الله، عن أنس رضي الله عنه قال: «لما عرج بالنبيّ ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً فقلت، ما هذا يا جبريل؟! قال: هذا الكوثر»[١].

إلا أن الشيخ محمد عبده يقول في تفسيره الكوثر أقوالاً أخرى منها: أن المراد به النبوّة، أو العلم والحكمة، أو نور القلب. ثم يقول: يجب الاعتقاد بوجود النهر على وجه عام، دون تفصيل أوصافه، لكثرة الخلاف فيها»[٢].

ـ ومن ذلك إنكار سحر الرسول ﷺ، رغم أنه ورد في صحيح البخاري، ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، أنّ الرسول سحر، من قبل لبيد بن الأعصم، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما فعله»[٣] يقول الشيخ محمد عبدة: «ذلك أن الحديث على فرض صحته، فهو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، وعصمة النبيّ من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد، لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين»[٤].

«فهؤلاء ـ خلفاء المعتزلة ـ لا يفرقون بين ما رواه البخاري ومسلم، وما رواه غيرهما من حيث القبول والرد، فيرفضون من ذلك ما لا يتفق مع مما ذهبوا إليه، أو يزعمون أنه خبر آحاد، لا يثبت إلا الظن، وهذا هدم للجانب الأكبر من السنّة»[٥].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، جـ ٦/ص ٢١٩.
(٢) تفسير جزء عم: الشيخ محمد عبده / ص ١٦٥/ مكتبة محمد علي صبيح الأزهر/ ١٣٨٧ هـ.
(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الطب/ باب السحر، جـ ٧/ص ١٧٧، ومسلم في كتاب السلام/باب السحر.
(٤) تفسير جزء عم: محمد عبده، (ص ١٨٠ ـ ١٨١).
(٥) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، جـ ٣/ ٢٤١.

٤ ـ التحذير من التفسير بالاسرائيليات:

المقصود بالاسرائيليات: الروايات المنسوبة إلى بني إسرائيل ومنها أيضاً ما نسب إلى النصارى وأهل الكتاب عامة، وللسّلف منها موقف يتلخص في:

أ ـ أن ما وافق شريعتنا تجوز روايته للاستشهاد، لا للاعتقاد.

ب ـ أن ما خالف شريعتنا لا تصح روايته.

جـ ـ أن ما ليس في شريعتنا من الأمور التي لا توافقها ولا تخالفها، فلا بأس من حكايتها من غير تصديق ولا تكذيب.

إلا أن أصحاب المدرسة العقلية، شنوا حملة شعواء على الإسرائيليات وحذروا من الخوض فيها، وذموا على المفسرين السابقين تناولهم لها.

وكعادتهم في مجاوزة حد الاعتدال المحمود إلى التطرف والإسراف، فإنهم تطرفوا في التحذير من هذه الإسرائيليات، وأدى بهم هذا التطرف إلى تكذيب بعضها، مع موافقتها لما صح من شريعتنا، بل ردوا بعض الأحاديث التي توافقها، وإن صحت، حتى ولو رواها البخاري ومسلم.

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل تناولوا بعض الصحابة بالتجريح، وشككوا في إيمان بعض التابعين الذين شهد لهم السلف الصالح بالعدالة، وروى لهم البخاري ومسلم، ونسبوا مَنْ وثقهم من علماء الحديث إلى الغفلة[1].

ومن أشد رجال المدرسة العقلية حرباً للإسرائيليات ورفضاً لها، هو الأستاذ محمد رشيد رضا، حيث يقول:

---

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد الرومي ص ٣١٦. وانظر تفصيلاً لهذا الموضوع: (ص ٣١٢ ـ ٣٣٢) من نفس المرجع.

«وأكثر التفسير المأثور، قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب»[1].

وقد نسب أباطيل الروايات الإسرائيلية إلى «مقاصد كعب الأحبار وأمثاله»، وقال عن كعب أخيراً: «كعب الأحبار الذي أجزم بكذبه، بل لا أثق بإيمانه»[2].

وقال عن كعب ووهب بن منبه: «إن بطلي الإسرائيليات وينبوعي الخرافات، كعب الأحبار، ووهب بن منبه»[3].

والحقيقة أنّ هذا تطاول، لا يعتمد إلا على الهوى، والبعد عن التقيد بالسنّة، وآراء الصحابة ومن تبعهم بإحسان... «يقول رشيد رضا ما سبق بيانه، رغم أن أبا هريرة وابن عباس رضي الله عنهما، وغيرهما من الصحابة، قد رووا عن كعب، فهل يرى هؤلاء أنّ الصحابة رضي الله عنهم، يروون عن كذاب وضاع؟! ألا نقبل نقد هذا بتزكية صحابة رسول الله ﷺ، ورضي عنهم؟

كما أنّ الإمام مسلم رحمه الله، خرّج لكعب في صحيحه في مواضع في أواخر كتاب الإيمان، وخرج له أيضاً أبو داود والترمذي والنسائي، مما يدل أنّ كعباً كان ثقة عند هؤلاء»[4].

أما وهب بن منبه فقد روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. قال الذهبي في الميزان: «كان ثقة صادقاً كثير النقل من كتب الإسرائيليات».

وإذا كان فيما رواه هذان العالمان من كذب ما يخالف شرعنا، ولا يقره العقل، فقد يكون ذلك من غيرهما، أو أنهما نقلاه على أنه مما في

---

(١)(٢)(٣) تفسير المنار: جـ ٨/١، وجـ ٩/مجلد (٢٧) ص ٦٩٧، وجـ ٩/ص ٤٣٨.

(٤) التفسير والمفسرون: الشيخ محمد حسين الذهبي، جـ ١٨٩/١، دار الكتب الحديثة، ط ١٣٨١/١ هـ.

كتبهم، وهما يعتقدان صحته، وذلك لخفاء الثابت والمحرف في كتب أهل الكتاب»[1].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «إن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب قد يكون كذباً، لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من الأحبار»[2].

ومثال هذا يقال في وهب أيضاً...

«وقد وقع أصحاب المدرسة العقلية فيما حذروا منه، فقد رووا من الإسرائيليات، ورجعوا بأنفسهم إلى المصادر التي كان يأخذ منها كعب ووهب بن منبه، فأباحوا لأنفسهم ما لم يبيحوه لسواهم...»[3].

٥ ـ إنكار التقليد والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد:

من خلال ما تقدم تبيّن لنا أن الشيخ محمد عبده وصحبه، كانوا يعرضون عن الأدلة والروايات الصحيحة، ويتمسكون بالروايات الضعيفة، أو الموضوعة إذا وافقت هواهم، وهذا هو أسلوب المستشرقين.

ثم تراهم بعد ذلك ينكرون التقليد في مجالات الفقه ـ خاصة ـ ويزعمون لأنفسهم حقاً في الاجتهاد، ويخالفون فيه النصوص القطعية الشرعية ـ كما سنرى ـ محاولة لفصل الدين عن الحياة. ولا خلاف بين العلماء يذكر، في النهي عن التقليد في جانب العقائد ويبقى أمر التقليد في الأحكام الشرعية الفقهية..

«والتقليد في عرف الفقهاء، هو قبول قول الغير من غير حجة».

ولا يسمى الأخذ بالكتاب والسنّة أو الإجماع تقليداً، لأنّ ذلك هو الحجة في نفسه.

---

(١) منهج المدرسة العقلية في التفسير: (ص ٣٢٥).
(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج ١٣/ ٣٣٥.
(٣) التفسير والمفسرون: الشيخ محمد حسين الذهبي، ج ٣/ (ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

ومن المعلوم أنّ كل ما نص عليه الكتاب والسنّة نصاً صريحاً لا يجوز العدول عنه إلى ما يؤدي إليه الاجتهاد، وكذلك ما أجمع عليه علماء المسلمين، لا يصح أن يخالف فيه... وانحصر الخلاف (في الاجتهاد أو التقليد) في الأحكام الشرعية التي لم ينص عليها في كتاب ولا سنّة، ولم يجمع على حكمها علماء الأمة في عصر من العصور، وقد صرح الأئمة الأربعة بالنهي عن التقليد، وبتقديم النص على آرائهم»[١].

ومن الاجتهادات الغريبة:

- أن الشيخ محمد عبده يشترط الخشوع في الصلاة، ليحصل بها أداء الفرض مخالفاً في ذلك المذاهب الأربعة.

● يقول الشيخ محمد عبده: «ومن العجيب أنّ فقهاء المذاهب الأربعة - وربما غيرهم أيضاً - قالوا: إن الصلاة بلا حضور ولا خشوع، يحصل بها أداء الفرض... ما هذا الكلام؟ إنه لباطل...».

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: «أصرح مع هذا بأن الشيخ كان كثيراً ما يجمع بين صلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى في الحضر، إذا لم يتيسر له صلاة الأولى بالخشوع والحضور الذي يعتقد وجوبه»[٢].

وصرح في موضع آخر أنه «خالف فيه المذاهب الأربعة، ولكنه وافق حديثاً صحيحاً أخذ به غيرهم من الأئمة؟!»[٣].

ومن اجتهاداته: إباحة الوضوء بماء الزهر والورد، إذ يقول: «ومن أين جاءهم أنّ ماء الزهر والورد لا يصح الوضوء به؟ وماء الكولونيا أحسن شيء للوضوء فإنه يمنع آثار المرض أيضاً، وكان الشيخ الأنبابي يقول بنجاسته لأن فيه سبيرتو، وهل يوجد شيء مطهر كالسبيرتو؟»[٤].

---

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: (ص ٣٥٦ وما بعدها).
(٢)(٣) تاريخ الأستاذ الإمام: للسيد رشيد رضا، جـ ١/ ٩٤١، ١٠٤٣ وجـ ١/ ص ٥.
(٤) المرجع السابق: جـ ١/ ٩٤١. «والسبيرتو: كحول مطهر».

وقد **أباحوا الربا**: ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

«قال السيد رشيد رضا: إن المحرم هو ما كان أضعافاً مضاعفة وأن المراد بالربا فيها، ربا الجاهلية المعهود عند المخاطبين عند نزولها، لا مطلق المعنى اللغوي الذي هو الزيادة، فما كل ما يسمى زيادة ربا»[(١)].

وهذا استجابة منه لدعوة أستاذه الذي دعا إلى إباحة الربا حفاظاً على اقتصاد البلاد حيث يقول: «إن أهل بخارى جوزوا الربا لضرورة الوقت عندهم، والمصريون قد ابتلوا بهذا فشدد الفقهاء على أغنياء البلاد، فصاروا يرون أن الدين ناقص، فاضطر الناس إلى الاستدانة من الأجانب بأرباح فاحشة استنزفت ثروة البلاد.

والفقهاء هم المسؤولون عند الله عن هذا... كان عليهم أن يعرفوا حالة العصر والزمان، ويطبقوا عليه الأحكام بصورة يمكن للناس اتباعها!!!... لا أنهم يقتصرون على المحافظة على نقوش هذه الكتب ورسومها ويجعلونها كل شيء»[(٢)].

وكان قد سبقهم إلى هذا أستاذهم الأفغاني الذي قال: «بجواز الربا المعقول الذي لا يثقل كاهل المديون، ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال، ويصير أضعافاً مضاعفة»[(٣)].

لقد هاجم أعلام هذه المدرسة الفقه والفقهاء، ليسهل لهم تنفيذ ما تراه

---

(١) تفسير المنار: جـ ٤/ ١٢٣.

١ ويقول أيضاً: «وأكثر معاملات البنوك لا ظلم فيها، بل فيها ما فيه رحمة للمتعاملين، فإن العاجز عن الكسب إذا ورث مالاً وأودعه بربا الفضل، يستفيد هو والبنك معاً». المنار جـ ١٠/ ٤٣٤.

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام: جـ ١/ ٩٤٤.

(٣) نابغة الشرق جمال الدين الأفغاني: محمود أبو رية ص ٩٨.

عقولهم باسم الاجتهاد. ومن هؤلاء الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر الذي يقرر[1]: «أن الدين في كتاب الله غير الفقه!! وأن من الإسراف في التعبير أن يقال عن الأحكام التي استنبطها الفقهاء، وفرعوا عللها واختلفوا فيها... أنها أحكام الدين. إنما الدين هو الشريعة التي أوصى الله بها إلى الأنبياء جميعاً، أما القوانين المنظمة للتعامل والمحققة للعدل، فهي آراء للفقهاء مستمدة من أصولها الشرعية، تختلف باختلاف العصور والاستعدادات، وتبعاً لاختلاف الأمم ومقتضيات الحياة فيها، وتبعاً لاختلاف البيئات والظروف».

وقد علق الشيخ مصطفى صبري على هذا القول بقوله:

«ويحاول الأستاذ الأكبر المراغي بقوله السابق ترويج آخر آمال لهم، وتمزيق آخر أوصال للإسلام، وهو فصل الدين عن الحكومة، فقد رام أن يتوسل إليه بفصل الدين عن الفقه، وقطع صلته به»[2].

وعندما أمر الشيخ المراغي شيخ الأزهر، بتشكيل لجنة تنظم الأحوال الشخصية أوصاهم بقوله: «ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان، وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتم»[3].

هذا هو الاجتهاد الذي يدعون إليه، وقد فتح باباً لمن جاء بعدهم من العلمانيين ودعاة التغريب، والعصرانيين الجدد.

وقد أعجب المستشرقون بهذا الاتجاه.. من أجل هدم التراث يقول

---

(١) من مقال له في مجلة الرسالة: العدد (٣٩٦) السنة التاسعة (ص ١٢٨).

(٢) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين: جـ ٤/ ٣١٤ الشيخ مصطفى صبري / المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ/ ١٩٥٠ م، (وهو تحكيم للهوى وليس اجتهاداً شرعياً).

(٣) الفتح المبين في طبقات الأصوليين: عبد الله مصطفى المراغي، جـ ١٩٨/٣ عن منهج المدرسة العقلية في التفسير ص ٣٧٧.

المستشرق جيب: «وبات المجددون يدعون إلى رأي معقول إذ يطالبون بحق الاجتهاد، وبحق القضاء على أبنية القرون الوسطى المتصدعة، وبإعادة تفسير المصادر على ضوء التفكير العصري»[١].

٦ ـ موقفهم من المعجزات وأخبار الغيب:

وقف الإصلاحيون من أخبار الغيب موقفاً متناقضاً غريباً، إذ سلطوا على آيات القرآن وأخبار السنّة الصحيحة التأويل أو الإنكار، إرضاءً لترهات عقولهم، ودعاوى الإفرنج وآراء المستشرقين.

«فقد حمل هؤلاء النصوص القرآنية الصريحة حول أحوال يوم القيامة، على أنها تمثيل وتصوير، لا حقيقة واقعة، فحمل عرش ربك، تمثيل لكمال عزته وأخذ الكتب باليمين أو الشمال، برأيهم، من باب التمثيل والتصوير لا الحقيقة. والتناول باليمين يراد به الاستبشار والابتهاج، والتناول بالشمال يراد به العبوس، وكذلك فإن النفخ في الصور هو تمثيل وتصوير لما سيجري ـ وهذا التأويل عندهم كثير جداً ـ وهم لا يقصرونه على أخبار المستقبل، بل عمموا به الأخبار القرآنية في الماضي أيضاً، وهي القصص القرآنية، وهذا ولا شك منهج ضال»[٢].

أما المعجزات: فهم لا ينكرون وقوعها، وإنما ينكرون حجيتها ودلالتها على الرسالة... لأنها لا تصلح لذلك ـ برأيهم ـ. ويرى السيد رشيد رضا: أنه لولا حكاية القرآن لآيات الله التي أيد بها موسى وعيسى عليهما السلام، لكان إقبال أحرار الإفرنج عليه أكثر واهتداؤهم به أسرع وأعم، لأن أساسه قد بني على العقل والعلم وموافقة الفطرة البشرية»[٣].

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام: تأليف المستشرق جيب ص ٣٨ ترجمة هاشم الحسيني/ منشورات دار مكتبة الحياة /بيروت ١٩٦٦ م.

(٢) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: ص ٥٣٢.

(٣) انظر تفسير المنار، محمد رشيد رضا، جـ ١١/ص ١٥٥، والوحي المحمدي، (ص ٦٢)، لنفس المؤلف.

أحرار الإفرنج الذين بني دينهم المحرف على التثليث وخرافات لا يرضى بها أطفال المسلمين، يخشى السيد رشيد رضا من عدم اقتناعهم بالإسلام لمجرد نقل القرآن لبعض معجزات موسى وعيسى عليهما السلام.. إنه لأمر عجاب!

ويرى الشيخ محمد عبده: أنّ المعجزات إنما هي لأولئك الأقوام الذين لم ترتق عقولهم إلى فهم البرهان، ولا يضر الإسلام أن يروي تلك المعجزات، فمجرد روايته لها، لا ينفي عنه أنه دين العقل، ما دام لم يرد فيه شيء منها»[(١)].

إنها الهزيمة النفسية أمام تأليه العقل عند أوروبا، وأحفاد المعتزلة السابقين واللاحقين.

أما معجزات محمد ﷺ: فلهم فيها رأي آخر أشد خطراً مما سبق إذ أنكروا معجزاته كلها، سوى معجزة القرآن الكريم، وجردوا نبوّته من أي معجزة أخرى، وسلكوا في ذلك سبلاً، إما بإنكار صحتها، وإما بتفسيرها بأمر لا تكون به معجزة[(٢)].

وقد أرجع الدكتور رمزي نعناعة هذا السلوك من السيد رشيد رضا ورجال المدرسة العقلية إلى المبالغة في تحكيم العقل. يقول:

«ولا أدري كيف خفي عليه - وهو المدافع عن الإسلام - أنه يوجد في هذا الزمان نوع من الإلحاد الخفي المآل، وهو تأويل كل آية أو حديث صحيح يدل على معجزة رسول من الرسل، حتى يكون مفادها أمراً غير خارق للعادة، وهذا النوع أخطر أنواع الإلحاد لأنه سبيل إلى إنكار الأديان السماوية، وإلى هدمها من أساس، لأن أساس إثباتها المعجزات التي أجراها الله على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام»[(٣)].

---

(١) تفسير المنار: جـ ١/ ٣١٥.

(٢) فهد الرومي: ص ٥٥٦ من كتابه منهج التفسير عند المدرسة العقلية.

(٣) الإسرائيليات: رمزي نعناعة ص ٣٦٦، نقلاً عن الدكتور: فهد الرومي في منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص ٥٧٦.

لقد ردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة، لتساير أهواءهم ونظرياتهم من ذلك: حادثة انشقاق القمر رغم وروده في البخاري ومسلم.

«عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، بشقتين، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا، وفي رواية: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين، فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ اشهدوا»[1].

فقد شكك السيد رشيد رضا في تواتر الحديث ثم أورد الشبهات العقلية والعلمية على تلك المعجزة، وقد أوّل الآية الكريمة: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ أي طلع وانتشر نوره[2].

ـ ومن تلك المعجزات ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه. فقال: ما لكم؟! قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلاّ ما بين يديك، فوضع يديه في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كان مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة»[3].

«ومن معجزاته ﷺ هطول المطر فور استسقائه، والبركة في طعامٍ في غزوة تبوك، وفي غزوة الخندق، وانقياد الشجر بأمره وغيره كثير».

«ويؤمن أهل السنّة والجماعة بالمعجزات والخوارق كما روتها الأخبار الصحيحة، دون تحريف أو تأويل، أو تعطيل لأن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) مجلة المنار: مجلد (٣٠) جزء: ٥/ ٣٧٢ وما بعدها.

(٣) فتح الباري: ٧/ ٣٩٨.

أما الخوارق التي ينسبها الخرافيون والقبوريون والباطنيون إلى شيوخهم وقادتهم فهي إن صحت أحوال شيطانية»[1].

أما الجن: فيرون أنه قد يكون نوعاً من الميكروبات الخفية. يقول رشيد رضا: «وقد قلنا في المنار غير مرة أنه يصح أن يقال أن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة، وتسمى «الميكروبات»، يصح أن تكون نوعاً من الجن، وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض، قلنا ذلك في تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن» (تفسير المنار: جـ٣/ ٩٦). يشير إلى حديث أبي موسى: «الطاعون وخز أعدائكم الجن، وهو لكم شهادة»[2].

ومن ذلك تأويله للحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم. وجاء فيه: «أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم» يقول فيه: ولا شك أن الجراثيم تلك تجري في خلايا جسم الإنسان وفي دمه، حيث تنقل الأمراض، وحيث تسري في البدن، مع أنّ المراد به في الحديث وسوسة الشيطان في صدر بني آدم ولكنّ لفظه عام.

ومن تأويلاتهم المرفوضة في أمر الجن ما زعموه في أمر رؤيتهم وحملهم، أنها من قبيل التخييل والوهم، وأولوا من أجلها الأحاديث الصحيحة[3].

● وقد أعجب المستشرقون بهذا الاتجاه عند الإصلاحيين. يقول

---

(١) دراسات في السيرة النبوية: محمد سرور زين العابدين، (ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥).
وانظر كتابنا: بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة (ص ٢٢٦ ـ ٢٣٤) باب التصوف: فصل الأولياء والكرامات وفيه بيان الفرق بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية.

(٢) رواه الحاكم وصححه، وانظر تفسير المنار: جـ ٧/ ٣١٩.

(٣) انظر تفسير المنار: جـ ٧/ ٥٢٦ ـ ٥٢٨، وبحث مفصل حول الجن، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد الرومي (ص ٦٣١ ـ ٦٤٩).

المستشرق جيب: «لكن حرفية هذا الاتجاه، ولا سيما فيما يتعلق بأوصاف الجنة والنار، وكذلك الإسهاب في الحديث عن العجائب يشكل مانعاً لدى الروح التحررية الجديدة»[1].

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام: جيب ص ١٠٤.

المبحث الثالث

موقف المدرسة الإصلاحية من السنة النبوية

لقد تأثر رجال هذه المدرسة بالمعتزلة وآرائهم في الحديث النبوي الشريف، رداً وتشكيكاً، وتأثروا كذلك بالشبه التي أثارها المستشرقون، ورددوها في مواقفهم وانحرافاتهم.

فعلى طريق المعتزلة[1]: مجدوهم ودافعوا عنهم، هم وتلامذتهم كأحمد أمين والنشار وأبي رية.

وذموا أهل الحديث وطعنوا في نهجهم. يقول الشيخ محمد عبده: «..اللهم إلا فئة زعمت أنها نفضت غبار التقليد، وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها وبين النظر في آيات القرآن، ومتون الأحاديث، لتفهم أحكامَ الله منها، ولكن هذه الفئة أضيق عطناً، وأحرج صدراً من المقلدين وإن أنكرت كثيراً من البدع..»[2].

وينقل محمود أبو رية عن شيخه قوله: «ورحم الله أستاذنا الإمام محمد عبده حيث قال: في رجل.. قد حفظ متن البخاري كله، لقد زادت نسخة في البلد» «حقاً والله ما قال الإمام ـ أي أنّ قيمة هذا الرجل ـ الذي أُعجب الناس جميعاً به لأنه حفظ البخاري لا تزيد عن قيمة نسخة من كتاب البخاري، لا تتحرك ولا تعي»[3].

---

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: إعداد الطالب الأمين الصادق الأمين، رسالة ماجستير /أم القرى/ ١٤١٤ هـ (ص ٦٢٨ وص ٧١٤).

(٢) الإسلام والنصرانية: الشيخ محمد عبده، مطبعة محمد علي صبيح/ ١٩٥٤ م.

(٣) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية، ص ٣٢٩، مطبعة التأليف بمصر، ط أولى /١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م/.

أهكذا بلغ الأمر بحفظة حديث النبيّ ﷺ، وحملة سنّته حتى يسخر بهم أفراخ المعتزلة وتلامذة الغرب، وما الذي قدموه للإسلام غير الطعن فيه والإساءة إليه؟!

وأحاديث الآحاد[1]: ردها الإصلاحيون، كما ردها سلفهم من أهل الاعتزال، وطعنوا فيها، لأنها تفيد ظناً، ولا مجال للظن في أمور العقائد.

قال الشيخ محمد عبده: «وأما ما ورد في حديث مريم وعيسى، من أنّ الشيطان لم يلمسهما، وحديث إسلام شيطان النبي ﷺ، وإزالة حظ الشيطان من قلبه، فهو من الأخبار الظنية، لأنه من رواية الآحاد، ولما كان موضوعها عالم الغيب، والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخذ فيها بالظن، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨] كنا غير مكلفين بالإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا»[2].

والأحاديث صحيحة وردت في البخاري ومسلم، فحديث شق صدره ﷺ وإزالة حظ الشيطان أخرجه مسلم[3] (كتاب الإيمان ١/ ١٤٧).

وحديث مس الشيطان لعيسى ابن مريم وأمه رواه البخاري[4] وحديث إسلام شيطان النبيّ أخرجه مسلم كذلك[5].

وأكد هذا المنهج السيد محمد رشيد رضا بقوله: «أصول العقائد وقضايا الإيمان التي يكون بها المرء مؤمناً... لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد»[6].

---

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ص ٦٣٨ ـ ٦٤٣.
(٢) تفسير المنار: ٣/ ٣٩٢، محمد رشيد رضا، دار المنار/ ١٩٦٧ م مصر.
(٣) وانظر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة ١/ ٩١ ـ ٩٣، وكتاب الحج ٢/ ١٦٧.
(٤) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء ٤/ ١٣٨، ومسلم كتاب الفضائل.
(٥) صحيح مسلم: باب تحريش الشيطان، رقم ٢٨١٤.
(٦) مجلة المنار، المجلد (١٩)، ص ٢٩.

وهنالك كثير من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبيّ ﷺ، ردّها الإصلاحيون بعقولهم وطعنوا فيها بحجة أنها أحاديث آحاد، مفادها الظن، فلا تبنى على مثلها العقائد الثابتة منها:

١ ـ حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

٢ ـ أحاديث الدجال والجساسة.

٣ ـ حديث سحر النبيّ ﷺ.

٤ ـ حديث المعراج.

٥ ـ حديث وقوع الذباب في الإناء.

٦ ـ حديث إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة.

٧ ـ حديث موسى عليه السلام وملك الموت.

٨ ـ حديث إسلام شيطان النبيّ، وحديث عدم مس الشيطان لعيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام[١].

هذا وإن شيخ المدرسة الإصلاحية (محمد عبده) كان قليل البضاعة من الحديث، وكان يرى في الاعتماد على المنطق والبرهان العقليين خير سلاحٍ للدفاع عن الإسلام، ومن هذين العاملين، وقعت له آراء في السنّة ورواتِها، وفي العمل بالحديث والاعتداد به، ما صح أن يتخذه (تلاميذه) ومنهم أبو رية تكأة يتكىء عليها، ليخرج على المسلمين بمثل الآراء الشاذة التي خرج بها. (وخبر الآحاد عند الجمهور حجة يجب العمل بها، وإن أفادت الظن»[٢].

وقد أثبت الشافعي رحمه الله في الرسالة تحت عنوان: «الحجة في

---

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ص ٦٤٤ ـ ٧١٤ ففيها تفصيل لموقف الإصلاحيين والردود المناسبة على افتراءاتهم.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي ص ١٦٧.

تثبيت خبر الواحد» ببيان قوي وأدلة ناهضة من الكتاب والسنّة وعمل الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين وفقهاء المسلمين، وجوب العمل بخبر الواحد والأخذ به»[١].

* * *

تأثر الإصلاحيين بالمستشرقين في إثارة الشبه حول السنة:

لقد تحامل المستشرقون على السنّة النبوية ـ الركن الثاني من قواعد هذا الدين ـ وأثاروا الشبه والشكوك، وأشاعوا أن فيها كثيراً من الوضع، وأن تدوينها قد تأخر، ولذلك فلا صحة لكثير من الأحاديث المتداولة، كما شككوا في كبار رواة الحديث من الصحابة كأبي هريرة رضي الله عنه، رغم أنه لم يلق علم من العلوم ما لقي علم الحديث من العناية والاهتمام، منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا.

وقد تأثر الإصلاحيون بشبه المستشرقين، وآراء المعتزلة، وكانوا جسراً يسير فوقه العصرانيون الجدد في إثارة الشبه نفسها حول السنة النبوية، كما سيتضح لنا ذلك في الأبحاث القادمة.

١ ـ التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف:

قال بعض تلامذة الاستشراق: «وخلاصة القول في هذا الموضوع أننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف، أو بعبارة أخرى (الكتاب والقياس)، أما السنّة فما زاد منها على الكتاب، إن شئنا عملنا به، وإن شئنا تركناه»[٢].

---

(١) انظر: الرسالة للإمام الشافعي (ص ٤١) تحقيق أحمد شاكر، طبعة البابي الحلبي بمصر.
وانظر: موقف المعتزلة من أحاديث الآحاد «الفصل الأول من هذا الكتاب».

(٢) مجلة المنار في العددين (٧ ـ ١٢) من السنة التاسعة، أعلن د. توفيق صدقي في مقالين تحت عنوان «الإسلام هو القرآن وحده».

وقد تحدثنا عن منهج المدرسة الإصلاحية في التفسير وناقشنا هذه المسألة، وأن القول بعدم وجوب العمل بالأحاديث مخالف للحق، مجانب لآيات القرآن والأحاديث الصحيحة.

قال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله: «وقصارى القول أن إنكار حجية السنّة والادعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة، وهو يصادم الواقع، فإن أحكام الشريعة إنما ثبت أكثرها بالسنّة، وما في القرآن من أحكام إنما هي مجملة وقواعد كلية في الغالب، وإلا فأين نجد في القرآن أن الصلوات خمسة، وأين نجد ركعات الصلاة ومقادير الزكاة، وتفاصيل شعائر الحج وسائر أحكام المعاملات والعبادات؟!»[١].

وقال ابن حزم رحمه الله: «ولو أنّ امرءاً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن، لكان كافراً بإجماع الأمّة، وكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر، وإنما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة ممن اجتمعت الأمة على كفرهم»[٢].

وعندما استدل بعضهم بحديث: «إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فخذوه، وما خالف فاتركوه». وهو حديث موضوع مختلق كما بين علماء الحديث، وضعه الزنادقة بغرض إهمال الأحاديث، وقالوا: عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله، فوجدناه مخالفاً له، لأنا وجدنا في كتاب الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر: الآية ٧].

وقد أجمعت الأمّة، على أنّ الحديث الصحيح لا يخالف القرآن أبداً

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلام: ص ١٦٥.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: لابن حزم، جـ ٧٩/٢ ـ ٨٠ مطبعة السعادة بمصر.

لأنه بيان للقرآن، وهو وحي من عند الله فلا يمكن أن يخالف القرآن وإلا فسد الدين بالمعارضة[1].

قال الشافعي رحمه الله: «إن سنّة رسول الله لا تكون مخالفة لكتاب الله بحال، ولكنها مبينة، عامة وخاصة»[2].

ومن المعلوم أن معارضة السنّة بالقرآن مذهب رديء تبناه أهل البدع والضلالة من المعتزلة ومن سار على منوالهم، وأما السلف رحمهم الله، فكانوا منزهين عنه، وقد رد العلماء قديماً على من عارض السنّة بالقرآن، وبينوا فساد منهجه وضلاله[3].

٢ ـ وقد شككوا في بعض ما في الصحيحين:

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «ودعوى وجود أحاديث موضوعة في أحاديث البخاري المسندة بالمعنى، لا يسهل على أحد إثباتها، ولكنه لا يخلو من أحاديث قليلة في متونها نظر، قد يصدق عليه بعض ما عدوه من علامات الوضع، وإن في البخاري أحاديث في أمور العادات والغرائز ليست من أصول الدين ولا فروعه... فإذا تأملتم هذا وذاك، علمتم أنه ليست من أصول الإيمان، ولا من أركان الإسلام أن يؤمن المسلم بكل حديث رواه البخاري مهما يكن موضوعه... فالعلماء الذين أنكروا صحة بعض تلك الأحاديث، لم ينكروها إلا بأدلة قامت عندهم، قد يكون بعضها صواباً، وبعضها خطأً، ولا يعد أحدهم طاعناً في دين الإسلام»[4].

وإذا كانت دعوة السيد رشيد رضا مغلّفة، فقد جاء من أنكر كثيراً مما

---

(١) انظر: السنة، حجيتها ومكانتها في الإسلام: د. محمد لقمان السلفي ص ٨٠ دار البشائر الإسلامية /ط ١، بيروت /١٤٠٩ هـ.

(٢) الرسالة للإمام الشافعي: ص ٢٢٨.

(٣) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الصادق الأمين /ص ٧٤٣/.

(٤) مجلة المنار: المجلد (٢٩) ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

في الصحيحين من أتباع هذه المدرسة، كأحمد أمين ومحمود أبي رية، مما سنبينه في فصول لاحقة.

ولرد هذه الضلاله ننقل بعض أقوال العلماء.. قال الإمام النووي رحمه الله: «اتفق العلماء رحمهم الله على أنّ أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمّة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة»[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن»[٢].

وقال الدهلوي رحمه الله: «أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما، وأن كل من يهون من أمرهما فهو متبع غير سبيل المؤمنين»[٣].

٣ ـ التشكيك في تدوين الحديث النبوي:

زعم هؤلاء جرياً وراء ترهات المستشرقين أن الحديث لم يكتب في عهد الرسول ﷺ، مما يدعو إلى التلاعب والفساد، ما قد حصل. ولذا طرأ على السنّة من التبديل والزيادة، كما طرأ على أهل الكتاب، لعدم كتابتها في عهده، وعدم حصر الصحابة لها في كتاب معين، وعدم تبليغها للناس بالتواتر، وعدم حفظها لهم جيداً في صدورهم[٤].

قال الشيخ محمد أبو زهو: «فهذه الدعوى من الشيخ ـ يقصد محمد

---

(١) شرح النووي على مسلم: ١/ ١٤.

(٢) الفتاوى لابن تيمية: ١٨/ ٧٤.

(٣) حجة الله البالغة: ولي الله الدهلوي/ تحقيق السيد سابق/ دار الكتب الحديثة/ القاهرة/ ومكتبة المثنى/ بغداد.

(٤) انظر مجلة المنار: المجلد (٩) (ص ٥١٥، ٩١١).

رشيد رضا ـ عفا الله عنه، لا أساس لها، بل تخالف نصوص القرآن الكريم وتتعارض مع ما تواتر من سنّة الرسول ﷺ الأمين، ولا تتفق وما أجمع عليه المسلمون في كافة الأزمان من عهد النبي إلى اليوم»[1].

وقال: «الحق أن الصحابة فهموا أنّ السنة دين عام دائم كالقرآن، وكان هذا أمراً بدهياً عندهم لا يحتاج إلى استدلال، بل هو ضرورة من ضرورات الدين وبدهي عند عامة المسلمين في جميع الأزمان حتى اليوم»[2].

٤ ـ تقسيم السنّة إلى عملية وغير عملية:

لا يلتزم الإصلاحيون إلا بالسنّة العملية دون القولية.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «إن سنته التي يجب أن تكون أصل القدوة هي ما كان عليه هو وخاصة أصحابه عملاً وسيرة، فلا تتوقف على الأحاديث القولية»[3] وقال: «فالعمدة في الدين هو القرآن، وسنة الرسول المتواترة، وهي السنة العملية كصفة الصلاة، والمناسك مثلاً، وبعض الأحاديث القولية التي أخذ بها جمهور السلف، وما عدا هذا من أحاديث الآحاد التي هي غير قطعية الرواية، أو غير قطعية الدلالة فهي محل اجتهاد»[4].

وقال محمود أبو رية: «وسنة الرسول المتواترة ـ وهي السنة العملية ـ وما أجمع عليه مسلمو الصدر الأول، وكان معلوماً عندهم بالضرورة، كل ذلك قطعي لا يسع أحد رفضه أو جحده بتأويل ولا اجتهاد... أما إطلاق السنّة على ما يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث»[5].

«ولو قصرت السنّة على السنة المتواترة العملية لفُرط في كثير من

---

(١)(٢) الحديث والمحدثون: الشيخ محمد أبو زهو ص ٢٤٢، ٢٣٧.
(٣)(٤) مجلة المنار: مجلد (١٠) ٨٥٢، ومجلد (٢٧) ص ٦١٦.
(٥) أضواء على السنة المحمدية: (ص ٣٥١).

الأحاديث القولية التي نقلت عنه ﷺ في جوانب الدين في الأحكام والأخلاق والمواعظ»[1].

هذا وإن السنّة تشمل أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته. «وهذا الذي عليه أهل العلم قديماً وحديثاً، كما تطلق على الأحاديث المتواترة والآحاد، والقول بأن السنّة هي السنّة العملية المتواترة فقط، قول لا صحة له، بل هو اصطلاح حادث لا يخفى بطلانه»[2].

٥ ـ القدح في عدالة الصحابة رضي الله عنهم[3]:

قد شكك بعض الإصلاحيين وتلامذتهم بعدالة الصحابة، رواة الحديث. قال محمود أبو رية: «إنهم ـ أي العلماء ـ قد جعلوا جرح الرواة وتعديلهم واجباً تطبيقه على كل راو مهما كان قدره، وإنهم قد وقفوا دون عتبة الصحابة، فلم يتجاوزوها، إذ اعتبروهم جميعاً عدولاً لا يجوز عليهم نقد، ولا يتجه إليهم تجريح ومن قولهم في ذلك «إن بساطهم قد طوي»، ومن العجب أنهم يقفون هذا الموقف، على حين أنّ الصحابة أنفسهم قد انتقد بعضهم بعضاً»[4].

قال أبو حاتم بن حبان رحمه الله: «فإن قال قائل: فكيف جرحت مَنْ بعد الصحابة؟ وأبيت ذلك في الصحابة، والسهو والخطأ موجود في أصحاب رسول الله ﷺ، كما وجد فيمن بعدهم من المحدّثين؟ يقال له: إن الله عزّ وجلّ نزه أقدار أصحاب رسوله عن ثلب قادح، وصان أقدارهم عن وقيعة منتقص، وجعلهم كالنجوم يقتدى بهم... ومن شهد التنزيل وصحب الرسول، فالثلب لهم غير حلال، والقدح فيهم ضد الإيمان،

---

(١) انظر: دفاع عن السنة (ص ٢٩)، للدكتور محمد أبي شهبة/ دار اللواء لنشر/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٧ هـ الرياض.

(٢) انظر: الأنوار الكاشفة: (ص ٢١، ٥٧).

(٣) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية (ص ٧٥٤ ـ ٧٦٨).

(٤) أضواء على السنة المحمدية: (ص ٣١٠).

والتنقص لأحدهم نفس النفاق، لأنهم خير الناس قرناً بعد رسول الله ﷺ...»[١].

وممن ألصقوا بهم مجموعة من التهم الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، متابعين في ذلك من أكل الحقد قلوبهم من المستشرقين يهوداً أو نصارى، وذلك كله افتراء وبطلان[٢].

وسوف نفصل اتهامات المستشرقين للصحابي الجليل في فصل: الاستشراق والتنصير[٣].

---

(١) معرفة المجروحين من المحدثين، لابن حبان/ تحقيق محمد إبراهيم زايد، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع.

(٢) انظر: مجلة المنار: مجلد ٤٣/٢٩، ومجلد ٩٩/١٩، فجر الإسلام ص ٢١٩، أضواء على السنة المحمدية/ ص ١٥٤، ١٩٦.

(٣) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: السباعي ص ٣١٠ - ٣١٩.

المبحث الرابع

أثر المدرسة الإصلاحية في الفكر الإسلامي الحديث

لقد كان لاجتهادات الشيخ محمد عبده، وآراء تلامذته، الأثر الكبير في تطور الفكر الإسلامي خلال أجيال خلت، وحتى الآن.. إلا أن دعوة هؤلاء قد استُغلت في تطوير الإسلام ـ حسب زعمهم ـ ومن ثم الاقتراب به من قيم الحضارة المادية الغربية.

● **وكان من أبرز المسائل التي فتح الشيخ محمد عبده بابها:**

ـ «الحديث عن الوطنية والإقليمية، والعناية بالتاريخ السابق للإسلام ومن ثم الدعوة إلى الحرية والحياة النيابية، وكذلك دعوتهم إلى إعادة النظر في وضع المرأة الاجتماعي، وقضية الحجاب وتعدد الزوجات، وتقييد حرية الطلاق»[(١)].

ـ «لقد أراد الشيخ محمد عبده أن يقيم سداً في وجه الاتجاه العلماني ليحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية، عبرت عليه إلى العالم الإسلامي، لتحتل المواقع واحداً تلو الآخر.

ثم جاء فريق تلاميذ محمد عبده وأتباعه، فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى طريق العلمانية»[(٢)].

---

(١) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، ص ٨٦ ـ ٨٧ بإيجاز، ط: دار الرسالة ـ مكة المكرمة ـ ١٤١٣ هـ/ التاسعة.

(٢) السابق: (ص ٨٧).

وقد تستر وراء الإصلاحيين عدد من أصحاب الدعوات الهدامة والمبادىء المنحرفة، ومن هؤلاء دعاة تحرير المرأة.

● ويرى بعض الباحثين أنّ الشيخ محمد عبده كان وراء قاسم أمين، في كتابه «تحرير المرأة»، وأن الكتاب قد جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده وقاسم أمين، وكانت الصياغة النهائية بقلم الشيخ محمد عبده[1].

بل يرى بعضهم أنّ الشيخ محمد عبده هو الذي ألفه، ووضع اسم قاسم أمين عليه دفعاً للحرج، وكان ذلك بإشارة من (اللورد كرومر)، والأميرة نازلي[2] إذ كان هؤلاء يترددون على صالونها باستمرار.

● وتحت مظلة المدرسة الإصلاحية، ظهر كتاب الشيخ علي عبد الرازق، (الإسلام وأصول الحكم) يدعو فيه صاحبه إلى فصل الدين عن الدولة، وذلك عام (١٩٢٥ م).

● وظهر كذلك دعاة التحرر الفكري في الأدب والثقافة، وكان على رأسهم: أحمد لطفي السيد، مدير الجامعة، وطه حسين عميد حركة التغريب.

ومن ذلك حركة إنكار السنة جزئياً أو كلياً، أمثال أحمد أمين ومحمود أبو رية.

● ومن دعاة التضليل: محمد أحمد خلف الله في كتابه «الفن القصصي في القرآن» إذ زعم فيه أن ورود الخبر لا يقتضي وقوعه، وعندما رفضت الجامعة المصرية (جامعة فؤاد) هذه الرسالة، دافع عنها المشرف عليها (أمين الخولي) قائلاً: «إنها ترفض الآن ما كان يقرره الشيخ محمد عبده بين جدران الأزهر منذ اثنين وأربعين عاماً»[3]. لقد ساهم

---

(١)(٢) الأعمال الكاملة لمحمد عبده: جـ ١/٢٥٢، ٢٤٧، ٢٤٨ محمد عمارة.

(٣) الفن القصصي في القرآن: محمد أحمد خلف الله، (ص ١٨٠)، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢ م/القاهرة، مع تقديم أمين الخولي.

الشيخ في التقريب بين الثقافة التقليدية وثقافة أوربا، ومن هنا فإن المستشرق جيب يقول:

«إن تلامذته هم أولئك الذين تعلموا على الطريقة الأوروبية، إذ أن ما كتبه الشيخ كان بمثابة درع واقية للمصلحين الاجتماعيين والسياسيين، وإن عظمة اسمه قد ساهمت في نشر أخبار لم تكن تنشر من قبل، ثم إنه قد أقام جسراً من فوق الهوّة السحيقة بين التعليم التقليدي، والتعليم العقلي المستورد من أوروبا، الأمر الذي مهد للطالب المسلم أن يدرس في الجامعات الأوروبية دون خشية من مخالفة معتقده، وهكذا انفرجت مصر المسلمة بعد كبت»[1].

وقد كانت آراء المدرسة الإصلاحية، وآراء الاستشراق والمعتزلة، هي المنهل الثرّ للعصرانيين الجدد أيضاً، الذين دفعوا بمقولات هؤلاء أشواطاً بعيدة في التحرر وتطوير الدين، والتفلت من ثوابته الأساسية.

●ولعل **آراء المعاصرين للشيخ محمد عبده** تلقي ضوءاً على خطورة هذه المدرسة ومُؤسسها:

يقول الشيخ مصطفى صبري: «أمّا النهضة المنسوبة إلى الشيخ محمد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر عن جموده على الدين، فقرب كثيراً من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات، ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين، كما أنه هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر»[2].

ويقول في موضع آخر من كتابه: «فلعل الشيخ محمد عبده، وشيخه جمال الدين، أرادا أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكلفن زعيمي البروتستانت

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام: جيب (ص ٧٠).

(٢) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين لشيخ الإسلام مصطفى صبري، جـ ١/١٣٣ ـ ١٣٤ مصر مطبعة الحلبي.

في المسيحية، فلن يستنّ لهما الأمر لتأسيس دين حديث للمسلمين، وإنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد»[1].

ويرى أحد معاصري الشيخ محمد عبده، أن المآخذ على هذه المدرسة تنحصر في أمرين[2]:

أولهما: هو دعوى الاجتهاد المطلق، مع عدم الكفاية من الناحية الروحية العلمية، وفساد الاستعداد من الناحية الروحية والسلوكية.

وثانيهما: هو أنهم مع ترفعهم عن الاقتداء بالأئمة الأعلام من فقهاء المسلمين، تراهم يقتدون بالبروتستانت في تنقيح الإسلام، وباتخاذ قرارات تعمل على تطوير الإسلام حسب زعمهم، مقتدين بالمجامع المسيحية المقدسة»[3].

وقد تتبع النبهاني زعماء هذه المدرسة في قصيدته الرائية الصغرى التي بلغت «٥٥٣ بيتاً»[4].

ويرى الدكتور محمد محمد حسين أنّ «الماسونية والاستعمار، قد نجحا في تدعيم الزعامة الفكرية والدينية (للأفغاني ومحمد عبده) في المجتمع الإسلامي كله، وفي إضعاف أثر أعدائهما الكثيري العدد من علماء الإسلام المعاصرين، وحجب ما كتبوه عن جمهور القراء...»[5].

أما موقف الاستعمار البريطاني من هذه المدرسة: فنقتطف منه بعض الأقوال.

---

(١) المرجع السابق: للشيخ مصطفى صبري. ج ١/ ١٣٤.

(٢) هو يوسف النبهاني ت ١٩٣٢ م، شاعر أديب من رجال القضاء، عمل في القضاء في بلاد الشام، وخاصة في بيروت.

(٣) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٤) انظر كتابه: العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية وفيه الرائية الصغرى، في ذم البدعة ومدح السنة الغرّا.

(٥) الإسلام والحضارة الغربية: ص ٨٨ ـ ٨٩.

قال كرومر حاكم مصر البريطاني: «جئت إلى مصر لأمحو ثلاثاً: القرآن والكعبة والأزهر»[1].

وقال مشيداً بالشيخ محمد عبده: «كان لمعرفته العميقة بالشريعة الإسلامية ولآرائه المتحررة المستنيرة أثرها في جعل مشورته، والتعاون معه عظيم الجدوى»[2].

وقال أيضاً: «أتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف، وتنشيط من الأوروبيين»[3].

ويقول كرومر في تقرير (١٩٠٦) عن أتباع المفتي الشيخ محمد عبده: «وفكرتهم الأساسية تقوم على إصلاح النظم الإسلامية المختلفة، دون إخلال بالقواعد الأساسية للعقيدة الإسلامية.. ويتضمن برنامجهم التعاون مع الأوربيين لا معارضتهم، في إدخال الحضارة الغربية إلى بلادهم» ثم يشير إلى أنه تشجيعاً لهذا الحزب، وعلى سبيل التجربة، قد اختار أحد رجاله وهو سعد زغلول، وزيراً للمعارف[4].

أما «ولفرد بلنت وهو جاسوس بريطاني»، فصلته بمحمد عبده قديمة، ترجع إلى صلته بأستاذه جمال الدين، وكذا صلته بالثورة العرابية، ثم سكن بجوار محمد عبده بعد عودته من المنفى. يصف بلنت الدعوة الإصلاحية بأنها «الإصلاح الديني الحر» ويصف مدرستهم: بأنها «تلك المدرسة الواسعة التقنية»[5].

---

(١) الخنجر المسموم: أنور الجندي (ص ٢٩)، دار الاعتصام.
(٢) في تقرير كرومر السنوي لعام (١٩٠٥) م، والإسلام والحضارة الغربية: ط أولى - بيروت ١٩٦٩ م.
(٣) تاريخ الأستاذ الإمام: محمد رشيد رضا، ج ٣/٤٢٦.
(٤) الإسلام والحضارة الغربية: محمد محمد حسين ص ٨٣.
(٥) السابق: ص ٨٤، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة نقلاً عن التاريخ السري لاحتلال مصر ص ٧٦.

ويقول عن الأفغاني: «إن الفضل في نشر الإصلاح الديني الحر بين العلماء في القاهرة... يعود إلى رجل عبقري غريب، يدعى السيد جمال الدين الأفغاني[1].

وبذلك فقد اصطنع كرومر ورجال الاستعمار والماسونية، غطاء من الدعم والمكانة المرموقة لمؤسس هذه المدرسة، لتتسرب مبادئها إلى المجتمعات الإسلامية.

(١) السابق: ص ٨٤، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة نقلاً عن التاريخ السري لاحتلال مصر ص ٧٦.

الفصل الثالث

حركة السيد أحمد خان والقرآنيون في شبه القارة الهندية

وفيه مبحثان:

الأول: مدرسة أحمد خان الفكرية.

أ ـ ولاؤه للإنجليز.

ب ـ أبرز انحرافاته:

ـ القرآن وحده هو الأساس لفهم الدين.

ـ إنكاره حجية السنّة النبوية.

ـ توسعه في الاجتهاد العصراني في ميادين الفقه المختلفة.

جـ ـ خلفاؤه.

الثاني: القرآنيون على خطا حركة السيد أحمد خان.

١ ـ آراؤهم الاعتقادية.

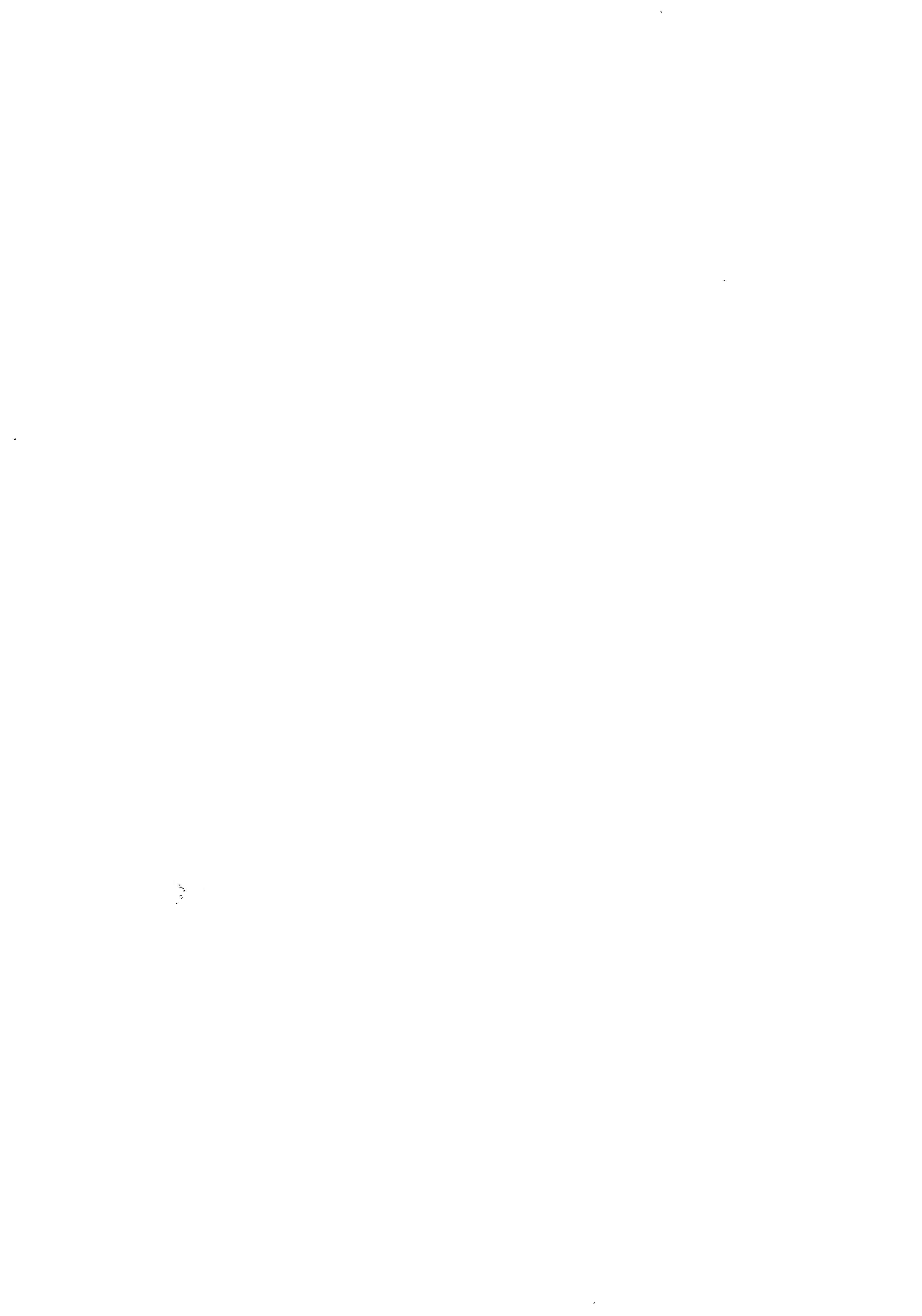
٢ ـ آراؤهم التشريعية في:

أ ـ العبادات: الصلاة ـ الزكاة ـ الصيام.

ب ـ المعاملات:

ـ موقفهم من الحدود.

ـ موقفهم من تعدد الزوجات والميراث.



المبحث الأول

مدرسة سيد أحمد خان

حياته:

يمثل هذا الرجل الاتجاه الفكري الممالىء للغرب، والاستعمار الإنجليزي على وجه الخصوص.

وتقوم حركته على الافتتان بحضارة الغرب المادية، ومن هنا فقد أنكر المعجزات وخوارق العادات، واعتبر أنّ النبوّة غاية تكتسب عن طريق الرياضة النفسية[1].

لقد أنكر سيد أحمد خان ما تنكره الثقافة الغربية، ولو كان ديناً، وأثبت ما تثبته ولو كان مخالفاً للدين، وإجماع المسلمين.

«لقد قامت مدرسته الفكرية على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية، واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها، وعلى علاتها، وتفسير الإسلام والقرآن تفسيراً يطابق ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة - في آخر القرن التاسع عشر المسيحي - ويطابق هوى الغربيين وآراءهم، ومن ثم الاستهانة بما لا يثبته الحس والتجربة»[2].

وتبلغ التبعية أوجها، إذا عرفنا أن أحمد خان، كان يعارض في إنشاء دراسات علمية تجريبية في الجامعة التي أنشأها في الهند - وهو ممن قضوا

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البهي/ الطبعة التاسعة - ١٩٨١ م - مصر /ص ٣٣ - ٣٧.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: أبو الحسن الندوي (ص ٧١)، الطبعة الثالثة - القاهرة - مطبعة التقدم / ١٩٧٧ م.

حقبة في بلاد الإنجليز ـ، قال في مقال له نشر في مجلة «عليكرة» في ١٩/ فبراير/ ١٨٩٨ م.

«إن الهند نظراً إلى حالتها الراهنة، ليست في حاجة إلى تعليم الصنائع، إن الأهم المقدم هو الثقافة الفكرية من المستوى الأعلى»[١] هذا رغم حاجة البلاد إلى العلوم التطبيقية.

ومن المعلوم أنّ حركة أحمد خان في الهند كانت معاصرة للمدرسة الإصلاحية وشيخها محمد عبده، وسوف نلاحظ أنّ المنطلقات متشابهة والانحرافات واحدة، والإعجاب بالغربيين واحد.

ظروف حياته[٢]: نشأ أحمد خان في أسرة فقيرة، وفي جو مشبع بالتصوف، وعاش في شبابه حياة مرح فحضر حفلات الرقص والغناء، ثم التحق بخدمة الحكومة الإنجليزية في سلك القضاء، وبعد فترة ثاب إلى رشده، وأقبل على إصلاح نفسه وتعليمها...

وكان لإخفاق الثورة الهندية أثر في حياته، وكان يدرك أنّ مآل الثورة الفشل، ولذلك كان يناصر الإنجليز ويساعد في حمايتهم ونجاة بعض عائلاتهم من القتل...

وأيقن بعدها أنّ ولاء المسلمين للحكم الإنجليزي هو السبيل الوحيد لإنقاذهم، وكان ذلك نابعاً من إعجابه المفرط بالإنجليز وحضارتهم، ولذلك جعل هدفه طول حياته أن يقلد المسلمون الإنجليز ويتبعوا حضارة الغرب في كل شيء.

وبعد زيارته لبريطانيا/ ١٨٦٩ م/ التي استمرت سبعة عشر شهراً وكان قد نزل ضيفاً مبجلاً على الأوساط الإنجليزية (الراقية) ونال الوسام الملكي، ولقب الشرف، قابل الملكة وولي العهد، والوزراء الكبار...

---

(١) الابتعاث ومخاطره: الأستاذ محمد الصباغ، المكتب الإسلامي ط ٢/ ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م/ .
(٢) انظر مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد ص ١٢٠ ـ ١٢٣.

وعاد إلى بلاده وقد أخذ على عاتقه أن يفتح أعين المسلمين إلى عظمة الحضارة الغربية، ويشق لهم طريقاً للاقتباس منها، وكانت وسيلته إلى ذلك: التعاون في المجال السياسي، واستيعاب علوم الغرب في المجال الثقافي، وتكييف وإعادة تأويل الإسلام في المجال الفكري.

آراء سيد خان:

اعتمد سيد خان على معطيات العقل، وإيحاء الغربيين فيما سماه تجديداً عصرياً.

- فقد اعتبر أنّ **القرآن وحده هو الأساس** لفهم الإسلام:

ذلك أنه في ضوء الظروف الجديدة وتوسع المعرفة الإنسانية، لا يمكن الاعتماد في فهم القرآن على التفاسير القديمة وحدها، تلك التي اشتملت على كثير من الخرافات، ولكن ينبغي الاعتماد على نص القرآن وحده[1].

«وقد هيج الرأي العام ضده، وزاد في هياج الرأي العام المسلم وتشديد النكير عليه من العلماء حتى حكموا بكفره، لما قرره في تفسيره من أنّ القرآن نزل على الرسول ﷺ، بالمعنى فقط، ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده»[2].

وقد أكثر من التأويل في الغيبيات في مقالاته الدينية، مثل تأويله في تعريف الشيطان بأنه: «القوى العدائية التي لا يملك الإنسان السيطرة عليها»، ومثل إنكاره للأمر الخارق للعادة، فما كان منه في القرآن نفاه على أنه لم يقع، كنفيه إلقاء إبراهيم في النار، وولادة عيسى عليه السلام من غير أب، وابتلاع الحوت ليونس... وما كان من الخوارق في السنّة أنكره

(١) مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد ص ١٢٣ وما بعدها.
(٢) كفاح المسلمين في تحرير الهند: د. عبد المنعم نمر، طبعة أولى نشر مكتبة وهبة/ القاهرة/ ١٣٨٤ هـ.

استناداً إلى أنه مخالف للقوانين الطبيعية..»[1].

● **ويشكك في السنّة النبوية**: إذ يقول: «إن ما دوِّن من الأحاديث في كتب السنّة، إنما هو ألفاظ للرواة، ولا نعرف ما بين اللفظ الأصلي والمعبر به من وفاق أو خلاف». وبناءً على ذلك جعل الأحكام المستنبطة من السنة بوجه عام أحكاماً لا يجب على المسلمين اتباعها، ثم عاتب المحدثين محملاً إياهم التقصير في عدم تمحيص متون السنّة مثل اهتمامهم في السند[2].

وهو يقبل من الأحاديث فقط ما يتفق مع نص وروح القرآن، وما يتفق مع العقل والتجربة البشرية، وما لا يناقض حقائق التاريخ الثابتة.. ولا يقبل من الأحاديث إلا المتواتر، أما أحاديث الآحاد فهو لا يميل إلى قبولها مطلقاً.

وحتى الأحاديث المقبولة لديه فهو يقسمها إلى قسمين: أحاديث خاصة بالأمور الدينية، كالعقيدة والعبادة، وأحاديث خاصة بالأمور الدنيوية: كقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع. فالأولى ملزمة في نظره، أما الثانية فغير ملزمة لأنها من أمور الدنيا المتغيرة[3].

● **أما الفقه وأصوله: فهو لا يرى أنّ الإجماع من مصادر التشريع**، ويرى أن باب الاجتهاد مفتوح في كل المسائل، ولا يجب تقييده بآراء مجموعة من الفقهاء، اتفقت على شيء في عصر معين، يمكن تغيير ظروفه، ويرفض كذلك تلك الهيمنة لإجماع الصحابة، لأن المشاكل التي تواجهنا اليوم يمكن حلها بصورة أفضل، إذا أخذنا في

---

(١) مقالات سرسيد: سيد أحمد خان، جمع وترتيب محمد إسماعيل، جـ ١/١٢٨، طبع لاهور (الأولى)، نقلاً عن: القرآنيون، خادم حسين إلهي بخش، مكتبة الصديق / الطبعة الأولى/١٤٠٩ هـ.

(٢) السابق: ص ١٠٥.

(٣) مفهوم تجديد الدين: ص ١٢٦. ويلاحظ أن ما يزعمه أحمد خان تجديداً عنده، هو ترداد لأقوال المستشرقين كما سيأتي بيانه في الفصل القادم.

الاعتبار النظرة الشاملة لحالتنا الراهنة فقط، دون الاعتماد على أحكام سابقة، يعتقد أنها نهائية[1].

أما الفقه: فيرى أن أحكام الفقهاء لا تعدو أن تكون من صنع البشر المعرض للخطأ، وهي صالحة لزمانهم، ولا بد أن تعدل حتى تتكيف مع ظروفنا وحاجاتنا الحاضرة. ثم يقول: «إن أحكام هؤلاء الفقهاء غير ملزمة لنا، والأحكام الملزمة الوحيدة هي ما جاءت به النصوص».

أما مسائل الفقه: فقد كانت نظرته فيها تسير وفق منهجه، لتقريب أمور الدين من مفاهيم الحضارة الغربية:

ففي فقه العبادات كان منهجه يتمثل في تفسير ممارسات العبادة بمنطق عقلي بحت، فغسل الأعضاء ـ عنده ـ في الوضوء نظافة ورمز للطهارة المعنوية، ويقصد من الصلاة توجيه انتباه المرء لخالقه، أما الإحرام والطواف ورمي الجمرات، فهي عادات باقية من الأديان الأولى في طفولة البشرية، واحتفظ بها الإسلام مع أنها عادات بدائية، مثل لبس الثوب من غير مخيط[2].

- **أما الربا المحرم:** فهو عنده يقتصر على الربح المركب، ولا يعتبر الفائدة البسيطة ـ في البنوك والمعاملات التجارية ـ رباً، ولا حراماً.

ويناقش سيد أحمد خان **قضية تعدد الزوجات**، الذي أبيح بنص القرآن، ويرى أن الأصل فيه زواج الواحدة، أما التعدد فهو حالة استثنائية. وفي **دائرة الحدود:** يرفض إقامتها كما أوجب الشرع، وينكر عقوبة الرجم للزاني، ويعتبر أنّ عقوبة قطع الأيدي والأرجل عقوبات وحشية، ينبغي الكف عنها، لأنها تنافي التمدن والحضارة.

---

(١) مفهوم تجديد الدين: (ص ١٢٦ ـ ١٢٧).
(٢) المرجع السابق: (ص ١٢٩ ـ ١٣٠).
هذا ادعاء يتعارض مع موقفه من القرآن ونصوص السنة النبوية.

أما الجهاد: فيرى أنه مشروع (فقط) للدفاع عن النفس، وفي حالة واحدة، هي اعتداء الكافرين على المسلمين إذا أرادوا حملهم على تغيير دينهم!! أما إذا كان الاعتداء من أجل أمر آخر، كاحتلال الأراضي، فالجهاد غير مشروع عنده، وذلك حتى يجد مبرراً لمسالمة الإنجليز المحتلين لبلاده[١].

ومن الملاحظ أنّ أحمد خان يكرر نفس المسائل التي قال بها الإصلاحيون، ومن ثم المستشرقون، وإن كان أكثر صراحة في الإعلان عن بعضها من الإصلاحيين.

خلفاء سيد أحمد خان[٢]:

لقد تكون من هذا الفكر المريض مدرسة عمقت الانحراف لمصلحة سادتهم من الإنجليز وبني جلدتهم، ومن أشهر تلاميذه: **شراغ علي**، ويعتبر أحد أعمدة هذه المدرسة، وله انحرافات كثيرة تتلخص في:

أ ـ نفي أن يكون الحجاب مما أمر به الإسلام.

ب ـ حروب النبي كلها دفاعية، وأنه ﷺ لم يخض حرباً هجومية في حياته.

جـ ـ لم يعيّن القرآن المقصود من الزكاة، وإنما أمر بإعطاء الفقراء ما زاد عن الحاجة.

ومن **أشهر مؤلفاته**: «الإصلاحات السياسية القانونية، والاجتماعية المقترحة للإمبراطورية العثمانية والدول الإسلامية الأخرى».

وفي هذا الكتاب تظهر الدعوة إلى التوفيق بين الإسلام والعصر، بالطريقة المفضلة لهذه المدرسة، وخلاصة ما فيه: «أنه يرى ضرورة الفصل بين الدين والدولة، لأن النبي لم يوحد بين الدين والدولة مطلقاً»[٣].

---

(١) مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد/ ص ١٣٠ ـ ١٣١/.
(٢) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة (ص ١٠٦ ـ ١٠٩).
(٣) مفهوم تجديد الدين (ص ١٣١ وما بعدها).

● **ومنهم أمير علي**: وهو من طائفة الشيعة، ومن كتبه «روح الإسلام». وقد أشاد المستشرق **جيب** بهذا الكتاب فقال عنه في فصل «نظام المرأة في الإسلام»: «صحيح أنّ المؤلف شيعي، وأنه ينظر إلى القرآن نظرة عقلية، إلا أنه يشرح عملياً مجمل المذهب العصري والتبريري حول القضية، وبصورة أشد إقناعاً من غالبية الكتّاب والمعلقين الذين أتوا من بعده... ويسر من قوله: «بما أنّ المساواة المطلقة في مجال العاطفة مستحيل، فإن القرآن قد حرم في الواقع تعدد الزوجات»؟!![1].

● ومن أعلام هذه المدرسة: **مولانا محمد علي**، وهو من طائفة القاديانية، وتراه يكرر آراء أستاذه (سيد أحمد خان) بتطرف شديد، إذ يحل زواج المسلم من الهندوسية باعتبار أنّ لهم ديانة وكتباً مقدسة قياساً على الصابئة، ويرى أن الاختلاط بين الجنسين مباح، بدليل إباحة الحج والصلاة؟! وأن ذلك يعتمد على التقاليد الاجتماعية وحدها[2].

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام: المستشرق جيب / ١٣٢ ـ ١٣٣/.

(٢) مفهوم تجديد الدين: (ص ١٣٥).

المبحث الثاني

شبهات القرآنيين

اتفقت المصادر التي بحثت عن نشأة القرآنيين وخروجهم إلى حيز الوجود، وإدلائهم بالآراء المخالفة في الدين، على أنهم الثمرة الطبيعية التي بذر بذورها أعضاء حركة السيد أحمد خان(١).

وهم ينتشرون في شبه القارة الهندية، ولهم وجود حتى الآن.

● ومن أبرز دعاتهم وقادة طوائفهم المختلفة.

١ ـ عبد الله جكرالوي.

٢ ـ الخواجة أحمد الدين.

٣ ـ الحافظ محمد أسلم.

٤ ـ غلام أحمد برويز.

وأبرز فرقهم المعاصرة:

أ ـ فرقة أمّت مسلم «أهل الذكر والقرآن».

ب ـ فرقة أمة مسلمة.

جـ ـ فرقة طلوع إسلام.

د ـ فرقة تحريك لتعمير إنسانيت.

ويتلخص رأيهم بأنّ القرآن المجيد كاف لتنظيم الحياة الإسلامية في

---

(١) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش ص ٢١.

جميع شؤونها، أما السنّة فقد أثاروا حولها الشبهات التي أثارها قبلهم المستشرقون وحركة أحمد خان وزادوا عليها.

● من ذلك أن السنة ليست وحياً من الله، وأن القضاء وفقها يؤدي إلى الإشراك بالله في الحكم، وأنّ السنة لم تكن شرعاً في عهد النبوّة، وأنّ السنة تزرع الفرقة بين المسلمين، وأنها رويت بالمعنى، وقد كثر فيها الوضع[1]. وقد نتج عن هذه المنطلقات آراء خاصة لهم في الاعتقاد والعبادة والتشريع.

١ ـ آراء القرآنيين الاعتقادية[2]:

لقد بالغ القرآنيون بالانحراف، لأنهم أنكروا السنّة، واضطروا للتأويل في آيات كتاب الله.

فقال بعضهم: إن العمل بالسنّة والنزول عند أحكام النبي الواردة في الحديث شرك، وقد أجمعوا على إنكار المعجزة «خرق العادة»، على يد الرسول محمد ﷺ وأمّته من بعده، ما عدا معجزة القرآن[3].

ولم يختلف المسلمون من السلف وغيرهم في صدور خوارق العادات من النبيّ ﷺ، ومن جملتها القرآن، وقد أوصلها بعضهم إلى ما يزيد على ألف خارق[4].

ومنها ما هو مذكور في الصحيحين كنبع الماء بين أصابعه ﷺ وتكثير الطعام القليل، وحنين الجذع...

وقد أنكر القرآنيون الشفاعة يوم القيامة، وأنكروا حياة البرزخ، وما يلقاه الإنسان في قبره بعد موته، من نعيم أو عذاب حتى يوم القيامة...

---

(١) ينظر السابق: (ص ١٧ ـ ٦٥).
(٢) ينظر السابق: (ص ٢١٣ ـ ٢٥٥).
(٣) انظر: القرآنيون، خادم حسين بخش (ص ٢٩٥ ـ ٣٦٣).
(٤) الجواب الصحيح لابن تيمية، ج ١/ ١٤٠.

وقد ساروا في ذلك على طريق بعض المعتزلة والروافض والخوارج، وكذلك بعض رجال المدرسة الإصلاحية، معتمدين على أدلة عقلية فقط.

ويرى بعض القرآنيين أنّ الجنة والنار وما وصفتا به ما هما إلا صورتان تمثيليتان.. ولا يلزم من إحراق النار احتراق حسي للجسم، بل المراد من ذلك المشقة والكرب التي تجعل الإنسان يحس بالاحتراق داخل نفسه... إلخ[1].

٢ ـ آراء القرآنيين التشريعية[2]:

مما يلفت النظر أنّ آراء هؤلاء في التشريع كثيرة جداً، وسوف نعرض فيما يلي نماذج مختصرة من آرائهم في العبادة والمعاملات.

أ ـ ففي العبادات: خرجت بعض فرقهم على أركان الصلاة عند المسلمين، وتوصلوا إلى شذوذوات عجيبة قد تخرجهم من الملة والعياذ بالله.

ففي الصلاة: لهم اختلافات في كيفيتها ـ حسب طوائفهم ـ من ذلك وصفها كما وردت في كتاب «صلاة القرآن كما علم الرحمن» لمحمد رمضان أحد دعاتهم، وقد سموها: «صلاة أهل الذكر والقرآن» وتتلخص في:

١ ـ أن المفروض من الصلوات ثلاث، وأن أداء العصر والمغرب هو اتباع لهوى النفس.

٢ ـ ولكل صلاة ركعتان، وما زاد على ذلك فهو تعيين من الناس، لا من رب الناس.

٣ ـ تكبيرة الإحرام هي: «إن الله كان علياً كبيراً».

٤ ـ الرفع من الركوع مخالف لتعليم القرآن، فيجب أن يخرّ المصلي من الركوع إلى السجود مباشرة، دون الرفع منه.

---

(١) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: (٣٤٣ ـ ٣٦٣).

(٢) ينظر تفصيلاً لذلك: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة خادم حسين إلهي بخش / ص ٣٦٥ ـ ٤٤٠/.

٥ ـ لكل ركعة سجدة واحدة لا غير.

٦ ـ حين الانتهاء من أذكار السجود تنتهي الصلاة[١].

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الصلاة تطبق حتى الآن عند أصحاب «مجلة بلاغ القرآن» جملة وتفصيلاً. ويقول المؤلف خادم حسين إلهي بخش: «وقد شهدت لهم صلاة بمركزهم في لاهور حيث تطبق صلاتهم، وكان الإمام يقرأ القرآن من آيات حددها لهم (محمد رمضان) وهي (٢٥) آية من مختلف سور القرآن»[٢].

● وترى طوائف أخرى أنّ هنالك وقتين للصلاة: الفجر والعشاء، وما عدا ذلك فلا يجوز القيام به، ولا يرى إمام هذه الطائفة وهو: «الخواجة أحمد الدين» استقبال القبلة في الصلاة، بل تجوز الصلاة عنده إلى الشرق والغرب.

ولا شك أنّ هذا الانحراف قد جاء نتيجة طبيعية لإنكار السنة، وعدم الاعتراف بها في شرع الله[٣].

● ومن شذوذات القرآنيين: أن بعضهم لا يجيز المسح على الخفين لأنّ القرآن أمر بمسح القدمين، ويرون أنّ الأحاديث الواردة في المسح باطلة لا أساس لها من الصحة ولا يرون أن للصلاة أذاناً، لأن القرآن لم يأمر به، فالمنبه الحقيقي عندهم (للصلاة) هو دخول الوقت وليس الأذان. ولا يرون تفضيل بقعة على أخرى في الصلاة، ولذلك فهم يكذّبون ما ورد عن المعصوم في المساجد الثلاثة وفضلها... أما صلاة التراويح، فيرى بعضهم أنها بدعة وضلالة مفضية إلى النار[٤].

---

(١) ينظر تفصيلاً لذلك: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة خادم حسين إلهي بخش / ص ٣٦٥ ـ ٤٤٠/.

(٢) القرآنيون: خادم حسين إلهي بخش (ص ٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٣) السابق: ينظر (ص ٣٧٣، ٣٧٨).

(٤) هذه الآراء منسوبة إلى طائفة عبد الله جكرالويه، وينظر القرآنيون (ص ٣٦٧) وما بعدها.

وفي الزكاة: نلخص آراء فرقهم بما يأتي[1]:

أ ـ يجب إعطاء نصف الخمس للزكاة سواء كانت كسباً من عمل يد، أو مما أنتجته أرض زراعية.

ب ـ ثم تحدثوا عن المقدار الذي يجب إعطاؤه للزكاة، دون أن يكون لها نصاب مقدر في المال الذي تجب فيه الزكاة، فقالوا: «على المسلمين أن يجتمعوا لصلاة الصبح في مسجد حيهم كل يوم، عند فقدان الحكومة الإسلامية، ويقدموا إلى أميرهم عشر ما اكتسبوه في اليوم السابق زكاة مفروضة، ليضمه الأمير إلى خزانة بيت المال، وليصرف الأمير منه على تبليغ القرآن وعلى الأفراد التعساء[2].

ج ـ ويرى آخرون رأياً آخر في وقت وجوب الزكاة فقالوا:

«صاحب الأجر يجب أخذ الزكاة منه يوم تسلم أجره... وأنه لا داعي للانتظار سنة كاملة، ولا جدوى منه»[3].

أما الصوم[4]: فقد وافق أعيان الحركة القرآنية المسلمين على صيام الشهر القمري لأن القرآن صرح بقيامه. ولم يشذ عنهم إلا الخواجة أحمد الدين، والسيد محمد رفيع الدين، حيث يرى الأول: «أن المطلوب هو صيام شهرين من أشهر السنة، دون التقيد برمضان... وللمسلم أن يتقدم أو يتأخر في صيام الشهر حسب حاجته».

ويرى الثاني: «أنه يجب صيام ثلاثين يوماً، بالشهر الشمسي لأنه لا يختلف من سنة إلى أخرى».

وقد انضم إلى قائمة الشذوذ كل من السيد مقبول أحمد والخواجة عباد الله أختر إذ يريان: أن الصيام المفروض على المسلمين وفق روح

---

(١) ينظر: القرآنيون: ص ٣٨٣ ـ ٣٩٥، خادم حسين إلهي بَخْش.

(٢) هذا الرأي ينسب لعبد الله جكرالوي وأصحاب بلاغ القرآن.

(٣) هذا رأي الخواجة أحمد الدين وأتباعه.

(٤) ينظر: القرآنيون (ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧).

القرآن يبدأ بالحادي والعشرين من رمضان، وينتهي بصباح يوم العيد لقوله تعالىٰ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ فالأيام جمع يوم، وهي إحدى صيغ جمع القلة، يبدأ إطلاقها من ثلاث إلى تسع.

ب ـ وفي المعاملات: خالف القرآنيون كذلك ما أجمع عليه المسلمون في كثير من القضايا.

● **ففي الحدود**[1]: أنكروا حد الرجم للزاني المحصن، لأنه لم يرد في القرآن، وعقوبة الزنا ـ برأيهم ـ في جميع صوره مائة جلدة لا غير، والشهود لا يثبت بهم الزنا عند بعض دعاتهم.

وأنكروا حد الخمر بتاتاً لأنه لم يذكر في القرآن، وقد سبقهم إلى ذلك أحد رؤساء الخوارج «نجدة بن عامر الحنفي»، فقد أسقط حد الخمر عن أصحابه لعدم ذكره في القرآن، وكذلك فعل بعض المعتزلة، إذ اعتبروا أن إجماع الصحابة على حد شارب الخمر كان خطأً[2].

وفي حد السرقة: كان يرى أحد دعاتهم «برويز» أنه ليس المراد من قطع اليد بترها، بل معاقبة المجرم بما يمنعه من ارتكاب هذا الجرم، ويقول أصحاب بلاغ القرآن: إن المقصود بقوله عزّ وجلّ «فاقطعوا أيديهما» هو بتر تلك القوى التي أجبرته على السرقة، وبمعنى آخر هو تنبيه الحكام لسد حاجات المجتمع المسلم. مع أن النصوص واضحة في الكتاب والسنة على قطع يد السارق، أي بترها من مفصل الكف.

أما حد الردّة: فقد شذ «برويز» بتصريح إنكار عقوبة المرتد، إذ يعتبر أن الإنسان لا يجبر على الإيمان أو الكفر، وللإنسان أن يختار من الأديان ما يراه مناسباً معقولاً، وما جاء في قتل المرتد، إنما هو حكم الروايات التي تخالف منهج القرآن.

---

(١) ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: (ص ٤٠٢ ـ ٤١٧).

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق (ص ٨٩).

● **وفي تعدد الزوجات**[1]: قد أباح الإسلام تعدد الزوجات ووضع له قيد العدل، إلا أن بعض القرآنيين لا يرى التعدد مطلقاً، وتطاولوا كالعادة ضد الشرع الحنيف.

يقول عبد الله جكرالوي: «إنّ ما نسب من التعدد إلى الأنبياء كذب وافتراء على أولئك الأطهار... وما يسند من ذلك إلى النبيّ ﷺ، فهو بهتان عليه أيضاً، لأنه أول المخاطبين بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

ويرى (برويز) ومن تبعه، أنّ التعدد لا يباح إلا إذا ازداد عدد اليتامى النساء، سواء كنّ أرامل، أو غير متزوجات.

● **وفي الميراث**[2]: خالفوا إجماع أئمة المسلمين، فيقول الخواجة أحمد الدين: إنّ اختلاف الدين بين الوارث والموروث لا يمنع من الميراث.

ويقول الحافظ أسلم: «إنّ اسم الولد يطلق على الذكر والأنثى ولا فرق بين الابن والبنت، وولد الابن وولد البنت في الميراث».

وقد جاء في الحديث الشريف أنّ النبيّ ﷺ قال: «لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم»[3].

والحديث عام يشمل الزوجة وغيرها، ولذا أجمع العلماء على عدم إرث الكافر من المسلم.

ولكنها التبعية للأمم الضالة من اليهود والنصارى، هي التي أخرجت هؤلاء عن حدود النصوص القطعية من الكتاب والسنّة، وأردتهم في هوّة الضلال.

---

(١)(٢) ينظر: القرآنيون، (ص ٤١٩ ـ ٤٣٠).

(٣) رواه البخاري: جـ ٨/ ص ١١، ومسلم: جـ ٥/ ص ٥٩.

● وهكذا فإنّ الحرب المعلنة على السنّة النبوية في شبه القارة الهندية، وتأليه العقل وتقديمه على النصوص الشرعية، مع اتباع الهوى، والهزيمة أمام تيار الحضارة الغربية، كل ذلك ساهم في حلقات الانحراف، لتستلمه أجيال لاحقة، تدعو إلى إكمال المشوار باسم التجديد والتطوير، لفصل الدين عن الحياة العامة.

«وقد كان للحركة القاديانية وأفكار القرآنيين وحركة السيد أحمد خان تأثير في الحياة العامة عند المسلمين.

فبعد استقلال باكستان استولى على مراكزها الحساسة كثير من القاديانيين وأصحاب الأفكار القرآنية، وفي عام ١٩٥٨ م، عقد مؤتمر عالمي تحت إشراف الدولة لقادة الفكر الإسلاميين، ولإعطائهم الجرعات الأولية للدعوة إلى الأفكار القرآنية. غير أن علماء الشام ومصر والمغرب، صاحوا في وجه (برويز) معلنين تكفير تلك الأفكار. . .

وعلى أثر إخفاق هذا المؤتمر، عقد مؤتمر آخر، أقامته إحدى الشركات الأمريكية، غير أنّ مصيره لم يختلف عن مصير صاحبه، ثم كثف العلماء جهودهم لمقاومة هذه الحركات في الأوساط الشعبية، وقد أثمرت هذه الجهود ـ آنذاك ـ والحمد لله.

والغريب أن كثيراً من علماء باكستان حينما يتحدثون عن هذه الحركات، لا يذكرون عنها سوى أنها تنكر السنة، أما ما يترتب على هذا الإنكار من نتائج، فقلما يذكرون عنها شيئاً»[1].

---

(١) ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي ص ٤٦٠/ والقرآنيون: خادم حسين بخش ص ٦٥/٦٦.



الفصل الرابع

التغريب: الاستشراق والتنصير

المبحث الأول: مفهوم التغريب.

المبحث الثاني: مخططات التنصير في بلاد المسلمين.

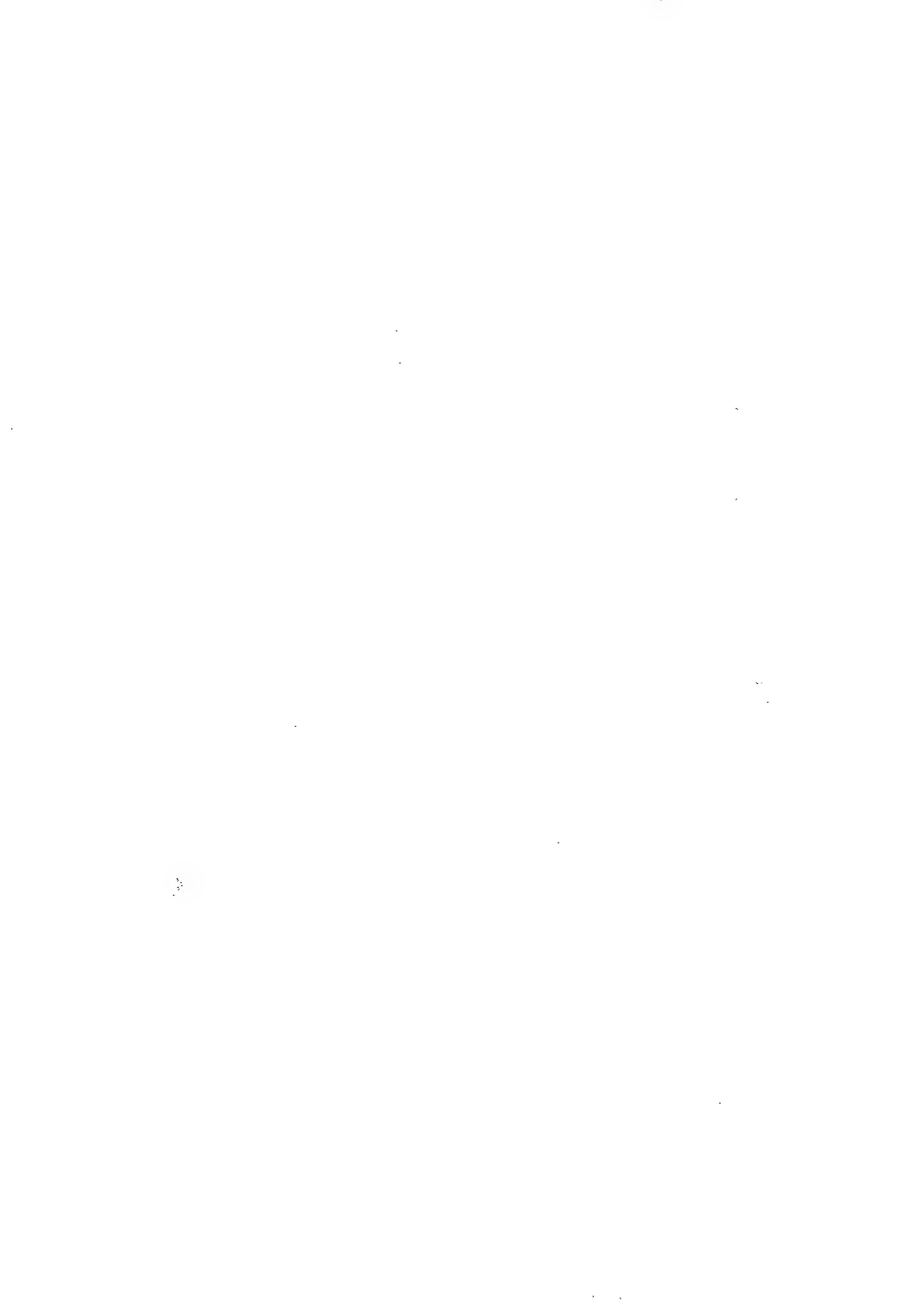
المبحث الثالث: الاستشراق ومخاطره على بلاد المسلمين.

١ ـ لمحة عن المستشرقين وأبحاثهم.

٢ ـ الصلة بين الاستشراق والاستعمار.

٣ ـ أساليبهم في حرب الإسلام.

- مطاعنهم في السنة النبوية.
- إحياء الآثار التاريخية.
- مساعيهم من أجل تطوير الشريعة الإسلامية.



المبحث الأول

مفهوم التغريب

حركة التغريب هي دعوى كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها تخدمها مؤسسات كثيرة أهمها: التنصير «ويسمونه التبشير» والاستشراق.

«وقد قامت هذه الحركة أساساً، كمحاولة لتغيير المفاهيم في العالم الإسلامي، والفصل بين هذه الأمّة وبين ماضيها وقيمها، والعمل على تحطيم هذه القيم، بالتشكيك فيها، وإثارة الشبهات حول الدين واللغة والتاريخ ومعالم الفكر، ومفاهيم الآراء والمعتقدات جميعاً».

«وما تزال مؤامرة التغريب من أخطر المؤامرات التي واجهت الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجري، وما تزال آثارها ممتدة إلى اليوم»[١].

وترجع هذه الحملة إلى نصيحة ذاك الصليبي العجوز، (لويس التاسع) ملك فرنسا، عندما سجن في المنصورة بعد هزيمة جيوشه خلال الحملة الصليبية الثانية. وبعد طول تأمل كتب مذكرة خطيرة، أشارت إليها مراجع عديدة يحدد فيها الموقف من العالم الإسلامي بعد الحروب الصليبية.

وأشار لويس التاسع في وثيقته إلى أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب والقوّة، وذلك بسبب عامل الجهاد في سبيل الله... وأن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولاً من تزييف عقيدتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد والمقاومة... ولا بد من التفرقة بين العقيدة والشريعة...

---

(١) الصحوة الإسلامية: الأستاذ أنور الجندي، دار الاعتصام ص ٣٧٧، ص ١٤٣.

ومن هنا بدأت معركة أطلق عليها: التبشير، والاستشراق أو التغريب والغزو الثقافي.

لقد أنجز الأعداء عن طريق الكلمة، ما عجز أجدادهم الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف[١].

وما تزال الأحقاد تعمل عملها في مجال الفكر والثقافة، ويتعاون رجال الدين مع أقطاب السياسة، لتعميق هذا العداء والتشويه، حتى عصرنا الحاضر.

وهذا ما أكده صاحب كتاب: «الإسلام على مفترق الطرق»، إذ يصور عمل المستشرقين قائلاً: «لا تجد موقف الأوروبي موقف كره في غير مبالاة فحسب، بل هو كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صدود من التعصب الشديد. وهذا الكره ليس عقلياً فقط، ولكنه يصطبغ أيضاً بصبغة عاطفية قوية!!

«وقد لا تقبل، أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية، أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن مبني على التفكير «إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي في التسرب.. ويظهر في بحوث المستشرقين، كما لو كان الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل متهم يقف أمام قضاته»[٢].

هذا وقد سلك التنصير والاستشراق في عدائهم وخططهم الأساليب نفسها.

إلا أن التبشير قد سلك **طرق التعليم المدرسي** في دور الحضانة والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل

---

(١) الإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي، دار الاعتصام القاهرة، (ص ٥ ـ ١٢).

(٢) الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد، (ص ٥١ ـ ٥٢) الطبعة الثالثة / ١٩٥١ م.

العمل الخيري الظاهري في المستشفيات والملاجىء، ودور الأيتام واللقطاء، ولم يقصر في استخدام النشر والطباعة، وعمل الصحافة في الوصول إلى غايته.

أما الاستشراق فقد أخذ صورة «**البحث**» وادّعى لبحثه «**الطابع العلمي الأكاديمي**»، فاستخدم المقال في المجلات العلمية والتدريس في الجامعات، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة[1].

فكانت مؤسسة الاستشراق هي المصنع الذي يصنع الشبهات والأكاذيب، وكانت مؤسسة التبشير، هي التي تحمل ذلك إلى عقل الشباب وقلبه عن طريق المناهج الدراسية.

وهكذا فالتنصير والاستشراق، هما وجهان لعملة واحدة، وما يزالان دائبين على التشكيك والتزوير، حتى خلفهم جيل من أبناء المسلمين، فتن بحضارة الغرب، وتلقن هذه السموم في مدارس التغريب، أو البعثات إلى ديارهم، أو الأخذ عن أساطين مستشرقيهم، ويزعم هذا الجيل وما تلاه من أجيال لأنفسهم الأصالة وحق التجديد، ومحاولات التطوير.

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي ط ٩، مكتبة وهبة مصر، ١٩٨١ م، ص ٤١٧.

المبحث الثاني

مخططات التنصير في بلاد المسلمين[1]

دأب المنصرون على تنفيذ خططهم، محاولة منهم لزعزعة عقيدة أبناء المسلمين، وتشكيكهم بثوابت دينهم، واتخذوا لذلك الوسائل الكثيرة، منطلقين من أهداف مريضة حاقدة.

فما أهدافهم يا ترى؟؟

سندع النصوص لزعماء التنصير تتكلم، وذلك:

أ ـ في تفتيت وحدة المسلمين: يقول لورانس براون في كتابه «الإسلام والإرساليات»: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، . . . وإذا بقوا متفرقين فسيظلون بلا قوة ولا تأثير».

ويقول: «الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجبار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي»[2].

وجاء في مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية: «إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسباب منها: أن الإسلام

---

(١) فضلنا استخدام تعبير التنصير لأنه أكثر دلالة على المضمون التنصيري، وإن كان لفظ «التبشير» أكثر شيوعاً.

(٢) في كتاب له أصدره عام / ١٩٤٤ م، نقلاً عن الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: (ص ٤٢٣) وما بعدها.

في ازدياد واتساع... وإن من أركانه الجهاد، ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام، ثم عاد نصرانياً»[1].

ب ـ **والهدف الثاني: هو التنفيس عن الصليبية**، وعن الانهزامات التي مني فيها الصليبيون طوال قرنين من الزمان.

يقول اليسوعيون: «ألم نكن نحن ورثة الصليبيين؟ أوَلم نرجع تحت راية الصليب، لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي، ولنفيد في ظل العلم الفرنسي، وباسم الكنيسة مملكة المسيح»[2].

ج ـ ومن أهدافهم: تشكيك المسلمين في عقيدتهم إن لم يستطيعوا تنصير بعضهم، وإقناعهم أنّ حضارة الغرب المادية، هي حضارة السيد المسيح عليه السلام.

قال زويمر: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها»[3].

ويقول: «إن الغاية التي نرمي إليها إخراج المسلمين من الإسلام، ليكون أحدهم إما ملحداً أو مضطرباً في دينه، وعندها لا يكون مسلماً له عقيدة يدين بها، وعندها لا يكون للمسلم من الإسلام إلا الاسم...»[4].

د ـ ومن أخطر الشبهات الفكرية التي أثارها رجال التنصير:

علمانية الدولة، والانتقاص من الثقافة الإسلامية، والغض من شخصيات هامة في التاريخ الإسلامي، والاهتمام بشخصيات أخرى كأبي نواس والحلاج وبشار بن برد.

---

(١) عدد يونيه/سنة ١٩٣٠ م تحت عنوان «الجغرافيا السياسية للعالم الإسلامي».
(٢) التبشير والاستعمار: د. عمر فروخ ومصطفى الخالدي (ص ١٧).
(٣) الغارة على العالم الإسلامي: (ص ٨٠). الدار السعودية للنشر/جدة.
(٤) الإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي (ص ٧٢).

وأولوا الدراسات الفلسفية والصوفية الاهتمام الكبير، أمثال فكر ابن عربي والسهروردي، واهتمت دراساتهم بأبحاث حاقدة، مثل الاهتمام بمسيلمة الكذاب مثلا[١].

- وقد تمكن التنصير - خلال فترة حضانة الاستعمار للأوطان - أن ينشىء جيلاً قادراً على حمل أمانة المستعمر باسم الحضارة والتقدم، وكان على رأس خلفاء التنصير ذلك الجيل الذي توجه من لبنان (خاصة) إلى القاهرة، وأسس صحافة قوية بقيادة جورجي زيدان وأديب إسحق وفي مقدمتها: الأهرام والمقطم، والمقتطف والهلال، وكان مؤسسوها من موارنة لبنان الذين تخرجوا من الإرساليات التبشيرية، أوْلهم ولاء شديد لها[٢].

ومن نتاج هذه الحملة المسعورة - التنصير والاستشراق - كان جيل دعاة التغريب الذين استلموا المناصب القيادية في الفكر والسياسة في أنحاء العالم العربي والإسلامي.

وقد جذبوا إليهم أبناء الأسر المترفة في بلاد الشام ومصر، ليتخرج منها قيادات أمينة على حمل رسالة التغريب[٣].

كان هذا الجيل هو الذي نفذ مخططات العدو، وقد صدق عليهم قول المستشرق جيب إذ يقول: «تغريب الشرق إنما يقصد به، قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع، في كل ناحية من النواحي... حتى إذا أمكن صبغ ماضي الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله، فقدت شعوب الشرق صلتها بماضيها، ففقدت بذلك أعظم جانب من حيويتها،... وترى في خضوعها له شرفاً كبيراً»[٤].

---

(١) السابق: ص ٢٢٨.

(٢) انظر: الاتجاهات، الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسن ٢/٢٢٩.

(٣) سنفصل ذلك في الفصل القادم إن شاء الله.

(٤) وجهة الإسلام: جيب.

والتعليم: يعتبر من أشد وسائل التنصير أثراً في بلاد المسلمين.

فقد فتحوا المدارس الكثيرة ابتداءً من رياض الأطفال وانتهاءً بالجامعات. وأسسوا الجامعة الأمريكية، في بيروت (١٨٦٦ م) ولها فرع في القاهرة، وأسسوا الكلية اليسوعية الفرنسية في بيروت كذلك، ونشروا المدارس ولم تنج منها حتى عاصمة الخلافة نفسها، وكثرت المدارس كثرة مفرطة وتبناها المستعمر أينما حل في بلاد المسلمين، وأنفقت الأموال الطائلة بالملايين من الجنيهات والدولارات[١]، ويقدر عدد المنصرين في العالم الآن حوالي (٢٢٠ ألف) منصر، ما بين كاثوليك وبروتستانت، أما عدد العاملين من الأطباء والباحثين والاجتماعيين المعاونين للمنظمات التنصيرية فقد تجاوز «١٧ مليوناً»[٢].

وكانت كتبهم الدراسية مليئة في الطعن على الإسلام ورسوله الكريم ﷺ. وقد أفسدوا التعليم الوطني وخاصة في البلاد التي احتلوها[٣].

وكانوا في كثير من مدارسهم يلزمون أبناء المسلمين لحضور صلاتهم في الكنيسة، وحضور دروسهم في النصرانية.

وعندما احتج الطلاب المسلمون لإجبارهم على الدخول يومياً إلى الكنيسة، كان رد الجامعة الأمريكية ببيروت عام/ ١٩٠٩ م بالمنشور التالي: «إن هذه كلية مسيحية، أسست بأموال شعب مسيحي، هم اشتروا الأراضي، وهم أقاموا الأبنية..

---

(١) ينظر: الغارة على العالم الإسلامي (ص ٢٠٥)، والإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي (ص ٢٢ ـ ٤٣).

(٢) جريدة المسلمون: العدد (٥٤)، ص ٢، من تصريح للدكتور عبد الله عمر نصيف.

(٣) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية: د. عمر فروخ، ود. مصطفى الخالدي، ط ٣، ١٩٦٤ م، (ص ٦٥ ـ ١١٢).

ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء، وكل هذا فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً ليكون الإنجيل من مواده... وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف سابقاً ماذا يطلب منه»[١].

بينما كانوا يعيبون على المسلمين تعصبهم وطائفيتهم وما زالوا كذلك حتى الآن..

ـ وهكذا كان التعليم في مدارس الإرساليات، وذلك ما صرح به المستشرق جيب بلا مواربه إذ يقول: «إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية، إنما هو واسطة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم، حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين، وشعوباً مسيحية، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه، وليخرج لنا خيرة العلماء في الفلك والطب.

ـ فإننا لا نتردد حينئذٍ في أن نقول: إنّ رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى مدى علماني محض، إلى مدى علماني دنيوي..»[٢].

هكذا كانت وسائلهم وأغراضهم لا تخدم إلا الشيطان، مع الأسف، وباسم ما يسمونه التبشير لتعاليم السيد المسيح؟!

● **وعقدوا المؤتمرات الكثيرة**، اعتباراً من عام (١٩٠٦) وحتى الآن، ومنها مؤتمر عام (١٩٧٨ م) الذي عقد في «كولورادو»، وقدم المؤتمر أربعين بحثاً تتناول الجوانب التنصيرية المختلفة، ويكفي أنْ نعلم أنّ ميزانية هذا المؤتمر بلغت ألف مليون ريال، وقد تمّ جمعه وإيداعه في أحد بنوك أمريكا[٣].

---

(١) التبشير والاستعمار: الخالدي وفروخ (ص ١٠٩)، مطبعة بيروت، ط ٥ / ١٩٧٣ م.

(٢) السابق: (ص ٦٦).

(٣) انظر: الغارة على العالم الإسلامي: (ص ٥١ وما بعدها)، وكتاب قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها، د. محمد عبد القادر هنادي ص ١٢٧ ـ ١٣٠، مكتبة الطالب الجامعي ـ مكة المكرمة / ١٤٠٨ هـ.

وما تزال مؤتمراتهم تنعقد حتى الآن.

● واجتنذبوا شبابنا خلال دراستهم في ديار الغرب، وكانت البعثات من أخطر نفوذ المنصرين، لانفرادهم بهم بكل صور التأثير الصليبي وأسلحته، مع وجود الوقت الكافي لإيقاع الضحية، فهو تحت أيديهم في المدرسة والكلية والشارع، وفي المنزل والملهى ووسائل التأثير بكل طاقاتها تعليماً وحديثاً وسلوكاً واقتداء[١].

● ومن أبرز وسائلهم للتعبير عن آرائهم الصحافة ودور النشر والطباعة.

فقد اتخذ البروتستانت القاهرة مركزاً لنشاطهم الصحفي، كما أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت.

أما اليسوعيون فقد ركزوا جهودهم في المطبعة الكاثولوكية في بيروت منذ عام ١٨٧١ م[٢].

ولم يكتفوا بالصحف، بل كانت هنالك الندوة والمحاضرة والكتاب والنادي، ليتسنى جذب الشباب المسلم إليها.

أخي الكريم:

هل تعلم أنّ أغنى دولة في العالم هي (دولة الفاتيكان) التي يرأسها **البابا**، وهو يجمع بين السلطتين الدينية والزمنية، وأن النصارى الكاثوليك في العالم، كلهم يتبعون هذه الدولة؟

وأن «٥٠٠» مليون دولار موضوعة تحت تصرف البابا لرعاية شؤون المسيحية والتبشير بها في ديار الإسلام، ووضع المخططات لمكافحة الإسلام في كل مكان؟![٣]

---

(١) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر: د. حمد بن صادق الجمال/ دار عالم الكتب/ الرياض/ ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م ص ٣٤٣.

(٢) التبشير والاستعمار: ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٣) المخططات الاستعمارية: الشيخ محمد محمود الصواف ص ١٩٠.

المبحث الثالث

الاستشراق ومخاطره على بلاد المسلمين

١ ـ تمهيد: لمحة عن المستشرقين وأبحاثهم:

يرى كثيرون أنّ الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين هما: الاستعمار والتبشير، وأنه ما زال يعمل من أجل هذا الغرض الذي وجد من أجله، وإنه غير جلده وأساليبه مرات ليتلاءم مع الظروف المختلفة[١].

لقد فضح أمر المنصّرين، وساءت سمعتهم في ديار المسلمين، ولذلك تحول كثير من القساوسة والحاخامات إلى دائرة الاستشراق يتظاهرون بالموضوعية العلمية، والبحث النزيه!!

وأنى لهم ذلك وها هي تصريحاتهم تنبىء عن أحقادهم، من ذلك ما كتبه المستشرق الفرنسي «كليمون» في كتابه: «باثولوجيا الإسلام» يقول:

«إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض مريع وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمور، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي، يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي».

وممن يزعمون أنه من المعتدلين، المستشرق «بروكلمان» في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية»، إلا أن المتعمق في كتابه يتضح له أن المؤلف صليبي حاقد على الإسلام والمسلمين، ولم يترك مركباً للدس والتضليل إلا امتطاه.

---

(١) الإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي ص ٢٦٥.

ولا أدري كيف تمّ اختياره عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق، كما أنا لا نجد من يمنع كتابه هذا احتراماً لمشاعر المسلمين؟! وهو مثلاً يدين كل الحركات الإسلامية الصحيحة، ويعلي من شأن الزنج والقرامطة... وقد افترى على الصحابة افتراءً عجيباً، وأنكر الوحي والإسراء والبعثة النبوية، ومن هذا الدس والتحامل ما نجده عند المستشرق «أرنولد» في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» رغم التظاهر بالإنصاف والموضوعية[1].

هؤلاء هم المعتدلون، فما بالك بغيرهم؟! وصدق الله العظيم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

● **وتتسم بحوث هؤلاء المستشرقين عموماً بالظواهر التالية:**

١ ـ سوء الظن بكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.

٢ ـ سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم.

٣ ـ إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم، ثم التحكم فيما يرفضون ويقبلون من النصوص.

٤ ـ تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان، تحريفاً مقصوداً، وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف.

٥ ـ تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب «الحيوان»، ويكذبون ما يرويه الإمام مالك (في الموطأ). كل ذلك انسياقاً مع الهوى وانحرافاً عن الحق[2].

---

(١) انظر: دراسات في السيرة النبوية، محمد سرور زين العابدين (ص ١٢٧ ـ ١٣٨).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي (ص ١٨٨ ـ ١٨٩).

بهذه الروح بحث المستشرقون في كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين، من تاريخ وفقه، وتفسير وأدب وحضارة، وقد أتاح لهم تشجيع حكوماتهم، ووفرة المصادر التي بين أيديهم، وتفرغهم للدراسة على أن يصبغوا بحوثهم بصبغة علمية ـ فيما يبدو ـ وكان من أثر ذلك أن أصبحت كتبهم وبحوثهم مرجعاً للمثقفين منا، ثقافة غربية، والملمين بلغات أجنبية، وقد خدع أكثر هؤلاء المثقفين ببحوثهم، واعتقدوا بمقدرتهم العلمية، وإخلاصهم للحق، وجروا وراء آرائهم ينقلونها كما هي، ومنهم من يفاخر بأخذها عنهم، ومنهم من يلبسها ثوباً إسلامياً جديداً، وقد رأيت من صنيع الأستاذ أحمد أمين في «فجر الإسلام» مثلاً لتلاميذ مدرسة المستشرقين، وكذا من صنيع أبي رية في كتابه «أضواء على السنة المحمدية»(١).

وسوف نذكر نماذج أخرى لمدرسة الاستشراق، من بين أبناء المسلمين، في الفصل القادم «دعاة التغريب في ديار المسلمين».

٢ ـ الاستشراق والاستعمار:

لقد استغل الاستعمار المستشرقين لتقديم الاستشارات الفنية والبحوث العلمية والأمنية والدبلوماسية والتجارية، وعمل كثير منهم في شؤون الخارجية لبلادهم، وفي دوائر المخابرات في دوائر المستعمرين، وكان كثير من شيوخهم من خريجي كليات اللاهوت، يهوداً أو نصارى.

وقد حدثنا الدكتور السباعي رحمه الله عن نماذج من هؤلاء المستشرقين الذين اجتمع بهم خلال زيارته لجامعات أوروبا عام (١٩٥٦) م ومن **أشهرهم:**

● البرفسور «أندرسون» رئيس قسم الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الإسلامي، في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن، وهو متخرج

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: السباعي ص ١٨٩.

من كلية اللاهوت في جامعة «كمبردج» وكان من أركان الجيش البريطاني في مصر، خلال الحرب العالمية الثانية.

● ورئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة «أكسفورد»، وهو يهودي يتكلم العربية ببطء وصعوبة، وكان يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية.

● ومن شيوخ المستشرقين في فرنسا: «بلاشير» و «ماسينيون» وكانا يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية كخبيرين في شؤون العرب والمسلمين[1].

وكان ماسينون قد حمل لواء الدعوة إلى الحروف اللاتينية، واهتم ببعث التراث الصوفي الفلسفي، كالحلاج وكتابه الطواسين، واهتم بابن سبعين وبمذاهب الباطنية، وساهم في نشر العامية في شمال أفريقيا وبلاد الشام، رغم أنه كان يعمل في الجامعة المصرية القديمة، والمجمع اللغوي في مصر.

ومن تصريحاته المشهورة قوله: «لم نبحث في الشرق إلا عن منفعتنا، ولقد دمرنا كل ما هو خاص بهم، فدمرنا فلسفاتهم وأدبهم»[2].

● والمستشرق: (هاملتون جيب)، عمل كذلك في دوائر الاستعمار وكان من أبرز المستشرقين الإنجليز، وقد عرف بقيادة أخطر حركة من حركات الاستشراق وهي: حركة التغريب، إذ تولى إعداد دراسة خطيرة عنها، تناولت العالم الإسلامي في كتابه «وجهة الإسلام».

وقد نصح في التركيز على مدارس الإرساليات، وتأثير المستعمر في مناهج المدرسة الوطنية، وأن يستلم الصحافة العلمانيون والمتفرنجون، وإلى

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي (ص ١٢ ـ ١٧).

(٢) الإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي، (ص ٣٠١).

الدور الذي قام به التغريب في تنحية الإسلام عن عرشه... إلخ[1].

● **وسنوك هورجر فنجة:** عمل مستشاراً في وزارة المستعمرات الهولندية في المسائل الإسلامية والعربية، وقد استطاع أن يدخل مكة في زي طبيب عالم، ويقضي بها خمسة أشهر، درس خلالها المجتمع العربي في مكة، كما درس الإسلام في جزائر الهند الشرقية.

ومن أقواله: «يجب على الحكومات الأوروبية التي استولت على بلاد الإسلام، أن تجتهد في إظهار التناقض بين الإسلام والمدنية والعصرية، وأنهما ضدان لا يجتمعان، فلا بد من رفع أحدهما وهو الإسلام[2].

● **ومن المستشرقين اليهود: اشتهر جولدزيهر، ومرجليوث** بأبحاثهما المملوءة بالتضليل والتزوير.

ـ **فجولدزيهر** أثار شبهات كثيرة **كان من أبرزها:**

ـ القول ببشرية القرآن، وتباين أسلوبه بين العهدين المكي والمدني.

ـ وأن قصة إبراهيم عليه السلام كانت مفتعلة، ونزلت بالمدينة إرضاءً لليهود، وأن الفقه الإسلامي مأخوذ من الفقه الروماني، وأنّ الإسلام قام على السيف.

ـ وكان قد شكك في صحة الحديث النبوي.

ـ وكانت هذه الشبهات مادة دسمة لعملاء الاستشراق، أمثال طه حسين، وأحمد أمين، وأبي ريّة[3].

أما مرجليوث: فقد عرف بنظرية انتحال الشعر الجاهلي، التي تلقفها منه طه حسين، وكررها بأسلوبه على أنها من بنات فكره، رغم انحرافها وبطلانها[4].

---

(١)(٢) المرجع السابق: (ص ٣٠٣ ـ ٣٠٦).

(٣)(٤) انظر الإسلام في وجه التغريب: الجندي (ص ٣٠٩ ـ ٣٢٨) والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٢٣٦ ـ ٣٦٢).

وهكذا فقد شكك المستشرقون بقيم الإسلام وعقيدته، مستمدين موقفهم من دراسات الرهبان والأحبار وأحقادهم.

● وقد خرج الدكتور مصطفى السباعي بعد لقائه بعدد من المستشرقين **بالحقائق التالية**:

أ ـ إن المستشرقين في جمهورهم، لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً، أو يهودياً، وقد يشذ عن ذلك أفراد...

ب ـ إن الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة[1].

٣ ـ أساليبهم ومخططاتهم في حرب الإسلام:

لقد أثار الاستشراق بإمكانياته المتاحة، كثيراً من الشبهات حول كتاب الله، وسنّة رسوله ﷺ، وشككوا في النبوّة المحمدية وسيرة صاحبها عليه أفضل الصلاة والتسليم، ناهيك عن هجومهم على الفقه الإسلامي وأصوله، ولغة القرآن.

وعلى العموم لم يتركوا ثغرة إلا وقد ضخموها، ولا حسنة إلا وقد شوهوها، والموضوع طويل وكتب فيه الكثير، إلا أننا سنقتصر الحديث على رؤوس المسائل، ونركز على ما ردده عملاء المستشرقين وما زالوا يعيدون فيها، زاعمين أنها من عبقريات التجديد لديهم، وما كانوا إلا ناعقين مطبلين، لحساب الشيطان وأوليائه.

● وقد **طعنوا** في دراساتهم في **القرآن الكريم**، وأثاروا حوله شبهات باطلة، فهذا المستشرق «نولدكه» ينفي في كتابه «**تاريخ القرآن**» أن تكون فواتح السور من القرآن الكريم، مدعياً أنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين، مثل أن يوجد المصحف العثماني، فمثلاً

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي ص ١٦.

حرف الميم كان رمزاً لمصحف المغيرة، والهاء لصحف أبي هريرة، والنون لصحف عثمان، وقد تركت في مواضعها سهواً ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت منه[١].

أما فيما يتصل بمصادر القرآن الكريم، فيزعم هؤلاء الحاقدون أنها مأخوذة من النصرانية، كما يزعم (بروكلمان)، أو من اليهودية على زعم المستشرق اليهودي «جولد تسيهر»[٢].

فالمستشرقون يعتقدون أنّ القرآن من وضع محمد عليه الصلاة والسلام وهو يمثل البيئة الجاهلية التي كان يعيش فيها.

ويعتبر كتاب: «الوحي المحمدي» للمستشرق (جيب)، أن القرآن عمل إنسان معين هو (محمد) عاش في حياة خاصة هي حياة (المكيين) وتبلورت حياته هذه فيما قال فيه[٣].

وهذا ما يردده الدكتور طه حسين فيما كتب من أبحاث.

● **وفي السيرة النبوية**: كثرت شبهات المستشرقين وافتراءاتهم حول الوحي المحمدي، فزعموا أنّ الوحي هو إلهامات نفسية، وأمراض عقلية نفسية، أو هو نوع من الكهانة والأساطير.

ولم يسلم شخص الرسول ﷺ من هذه المطاعن، فتحدثوا عن انشغاله بالنساء، واهتمامه بالدنيا والغنائم وعيشة السلب ورَموه بكثير من التناقض[٤].

---

(١) انظر: قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها. د. محمد عبد القادر هنادي (ص ١٥١ ـ ١٥٢)، والإسلام في وجه التغريب (ص ٢٨٠).

(٢) مجلة البلاغ: ص ٦٢، عدد (٢٨)، شعبان / ١٤٠٤ هـ.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البهي (ص ١٧٧ ـ ١٨٥).

(٤) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: (ص ٣٥٨ ـ ٤٦٢).

يقول المستشرق «كولي» في كتابه: «البحث عن الدين الحق»: «برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام، الذي أسس على القوّة، وقام على أشد أنواع التعصب، ولقد وضع محمد السيف في أيدي الذين يتبعونه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب»[1].

فهل هناك افتراء أعظم من هذا الافتراء؟ وهل هناك تزوير وتضليل لخداع غوغاء الصليبيين أشد من هذا؟! أين موضوعية العلم ونزاهته؟![2].

● **إحياء الآثار التاريخية القديمة:**

حاول المستشرقون في أبحاثهم أن يبعثوا التاريخ السابق للإسلام في كل دولة إسلامية، ففي مصر حاولوا إحياء الآثار الفرعونية القديمة، وفي بلاد الشام سعوا جاهدين إلى ربط المسلمين بالحضارات الوثنية: فينيقية وآرامية، عن طريق إحياء آثارها التاريخية البالية، وفي تركيا حاولوا ربطها بالتاريخ الطوراني القديم، وكذلك الأمر في جزيرة العرب وشبه القارة الهندية[3].

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: «والغاية التي كانت تستهدفها هذه العناية بالآثار القديمة، هي تلوين الحياة المحلية في كل بلد من البلاد الإسلامية بلون خاص، يستند في مقدماته إلى أصوله الجاهلية الأولى... ثم تكون هذه المدنيات الحديثة أكثر قبولاً لأصول المدنية الغربية.

إنّ هذا الاهتمام الشديد بالآثار يذكرنا بالنشاط المفاجىء لبعوث الآثار الأجنبية عقب الحرب العالمية الأولى، وما صحب هذا النشاط من عرض

---

(١) مناهج المستشرقين: ج ١/١٢٧، إصدار مكتب التربية لدول الخليج ط/١٤٠٥ هـ.

(٢) انظر تفصيلاً لذلك: دراسات في السيرة النبوية، محمد سرور زين العابدين، وقلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها: ص ١٥٢ ـ ١٥٣ /د. هنادي.

(٣) قلاع المسلمين مهددة من داخلها: د. هنادي /ص ٦٠.

«روكفلر» المغري المريب، فقد أعلن هذا الأمريكي آنذاك بتبرعه بعشرة ملايين دولار، لإنشاء متحف للآثار الفرعونية يلحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن»[١].

فهل كان ذلك لوجه الله، وحقائق العلم؟! أم لنبش الحضارات الجاهلية من مرقدها؟! لقد أسست أحزاب علمانية تعتز ببعث العرب من جاهليتهم، أو ببعث الحضارات البالية من فينيقية أو آرامية أو فرعونية، ولا تعير الإسلام أي اهتمام في طروحاتها.

يقول المستشرق (جيب) في كتابه إلى أين يتجه الإسلام: «لقد كان من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي، تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة، التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشكلها المسلمون الآن».

● وتناول المستشرقون الطعن في اللغة العربية، محاولة لهدم لغة القرآن، ودعا بعضهم إلى اللهجات العامية كتابة وتأليفاً ونحواً وصرفاً...[٢].

● وألفوا الموسوعات ودوائر المعارف العالمية، وكثيراً من الكتب، وأصدروا المجلات، وأسسوا الجمعيات المختلفة، ولعل أخطر ما قاموا به حتى الآن هو «دائرة المعارف الإسلامية» بعدة لغات... ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين تكاتفوا لإصدارها، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم على ما فيها من خلط وتحريف، وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين، واستطاعوا أن يتسللوا إلى المجامع اللغوية في مصر ودمشق وبغداد.

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية (ص ١٤٠ ـ ١٤١) مؤسسة الرسالة / ١٩٨٢ م.

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ص ٤٣٢ وما بعدها، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين.

واتجهوا بمباركة الاستعمار، ووقف الأموال عليهم، إلى مجال التربية محاولين غرس مبادىء التربية الغربية في نفوس أبناء المسلمين[1].

● وأخطر الدراسات الاستشراقية عموماً، هو ما يخص الدراسات الفقهية، وما زعموه من أن الشريعة الإسلامية لا تصلح للتطبيق العملي في العصر الحديث.

وما يخص السنة النبوية، والحديث الشريف، لأنها الركن الثاني بعد القرآن، الذي حاولوا هدمها، والتشكيك فيها وفي رواتها.

ولخطورة هذين البحثين، ولكثرة ما يتبجح به دعاة التغريب منذ بداية هذا القرن، فسوف نوليهما مزيداً من التفصيل.

مطاعن المستشرقين في السنّة النبوية

عرف المستشرقون أهمية السنة، فركزوا طعونهم عليها، ليتسنى لهم الطعن في القرآن، ووجدوا في منهج المعتزلة ما يخدم أغراضهم، فدافعوا عن هذا المنهج، وساروا على منواله، فكانوا امتداداً لمدرسة الاعتزال في التعامل مع الأحاديث، مع تباين هدف الرفض عند الجانبين[2].

لقد مجد المستشرقون المعتزلة وعلم الكلام، قال جولدزيهر: «... كان على المعتزلة قبل كل شيء أن يقاتلوا في الميدان الديني كل الآيات والأحاديث التي تنسب لله (بظواهرها) الصورة الإنسانية، وأن يجعلوها لا تدل إلا على معان روحية، وذلك بتأويل مجازية، مؤسسة على ما نعرف لله من نقاء وطهارة...!!

أما فيما يختص بالحديث، فإن المعتزلة كانوا يملكون الوسيلة لرفض الأحاديث التي يلوح منها ما لا يصح أن يقبل من التجسيم والتشبيه...

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ص ٣٤٢ وما بعدها، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين.

(٢) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية / ص ٨٤٨/.

وبذلك يتحرر الإسلام من مجموعة كبيرة من الأقاصيص التي تراكمت. . . »[1].

هكذا قرر جولدزيهر، (أحد أحفاد السامريّ)، بأن المعتزلة ينبغي أن يحرروا النصوص من التجسيم والتشبيه. . . من باب حرصه على مصلحة المسلمين!!

ثم يقول بعد ذلك: «ولكن مذهباً جديداً قدر له أن يكون أداة في المحافظة على الإسلام. . . في عالم العقول المستنيرة. . . ذلك هو علم الكلام، الذي تبناه المعتزلة. . .

. . . هؤلاء الجماعة الأتقياء (الورعين)أي الزهاد الذين يعتزلون الناس. . . وإنه في نهاية تطور هذه الحركة فقط، استحق أنصارها اسم «المفكرون الأحرار في الإسلام». . . لقد كانوا الأوائل الذين وسعوا منعين المعرفة الدينية بأن يدخلوا فيها عنصراً آخر قيماً، وهو العقل الذي كان حتى ذاك الزمن مبعداً بشدة عن هذه الناحية[2].

هكذا مجد المستشرقون المعتزلة، ومدحوا منهجهم العقلاني، لأنهم وجدوا فيه تحقيقاً لمآربهم السيئة، ونواياهم الخبيثة، التي تهدف إلى هدم السنة، وقد فتح لهم المعتزلة الباب على مصراعيه، ليفتكوا بالأحاديث الصحيحة الثابتة، بسلاح الشبه العقلية التي يحكمها الهوى[3].

وشكك المستشرقون كذلك في تدوين السنة:

وأن الوضع كان كثيراً حتى أن المستشرق الألماني «شاخت» يقول:

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام: جولدزيهر، مطابع دار الكتاب العربي بمصر /ص ١٠٩ ـ ١١٠/ عام ١٩٤٦ م.

(٢) العقيدة والشريعة: (ص ١٠٠ ـ ١٠٢).
وموقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق ص ٣٥٧.

(٣) السابق: (ص ٥٠، ٥٢٤، ٥٥١) وما بعدها.

«لا صحة لأي حديث منسوب للنبي، وإن أقدم ما بين أيدينا من أحاديث الأحكام لا يرجع إلا إلى سنة «١٠٠» هجرية ليس إلا».

والمستشرقون يكذبون كما كان يكذب الزنادقة من قبل، وكذلك أهل الأهواء، يريدون بذلك أن يقوضوا صرح الإسلام[١].

وقد دأبوا على التشكيك في صحة الأحاديث التي تدل على أمور غيبية، وتأخير تدوين السنة، وأن بعضها يناقض بعضها الآخر.

● **وطعنوا في رواة الحديث** من أصحاب رسول الله ﷺ:

فقد شككوا في الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، لكثرة روايته عن رسول الله، واتهموا كذلك حفظه (رضي الله عنه)، قال جولدزيهر: «وقد شجعته ملازمته للنبي ﷺ أن يروي عنه بعد وفاته من الأحاديث أكثر مما رواه غيره من الصحابة، وتقدر الأحاديث التي تضاف إليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث...»[٢].

هذا قول جولدزيهر فماذا قال أعلام الإسلام؟

- قال الذهبي: «الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو هريرة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات»[٣].

- وقال الشافعي رحمه الله: «أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره».

وقال ابن كثير: «وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة، والعمل الصالح على جانب عظيم»[٤].

---

(١) السابق: (ص ٥٠، ٥٢٤، ٥٥١) وما بعدها.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٤١٩/١، نقلها إلى العربية مجموعة من العلماء.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٥٧٨/٢.

(٤) البداية والنهاية: ١٠/٨، مكتبة المعارف بيروت، وتذكرة الحفاظ للذهبي، ط ٧، بيروت / دار إحياء التراث ٣٦/١.

لقد كان رضي الله عنه مسكيناً ملازماً لرسول الله ﷺ على شبع بطنه، لم يشغله ما يشغل إخوته من المهاجرين والأنصار، فسمع ما لم يسمعوا، وكان خلو ذهنه من الشواغل قد جعله يحفظ ما لم يحفظوا، وقد شهد له الصحابة والتابعون والعلماء بقوة الحفظ وحضور الذاكرة[١].

هذا وإن «طعن المستشرقين فيه إنما يستهدفون به النيل من الإسلام وتقويضه، وقد علموا كثرة مروياته، فجرحوا وأثاروا الشبه من حوله كي يرفعوا الثقة عن جميع ما روى، وهنا يفقد الإسلام حصيلة عظيمة من حديث النبيّ ﷺ»[٢]..

وقد فطن الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله إلى ذلك التشويه وخطره منذ القديم فقال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم الزنادقة»[٣].

وقد طعن في أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه، وردد أقوال جولدزيهر، كل من أحمد أمين، ومحمود أبو رية.

● كما طعن المستشرقون في **رواية الإمام الزهري** رحمه الله، واتهمه جولدزيهر بالوضع، وله في ذلك قصة عجيبة، إذ يقول: «إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير، وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها، ويطوفوا حولها، بدلاً من الكعبة... ثم وجد الزهري، وهو ذائع الصيت في الأمّة الإسلامية، مستعداً

---

(١) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية /الأمين الصادق/ ص ٥٣٥.

(٢) انظر: الحديث والمحدثون، ص ١٦٣، محمد أبو زهو / مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية/ .

(٣) الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي ص ٩٧، ط ٢ مطبعة دار التراث، ومطبعة دار الكتاب العربي ص ٦٧، الطبعة الثانية.

لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث منها حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى». ومنها حديث: «الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه».

«ودليل جولدزيهر على ذلك أن الزهري كان صديقاً لعبد الملك، وكان يتردد عليه، وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهري فقط»[1].

«وإن هذه القصة تعتبر من أعاجيب الافتراء والتحريف، والتلاعب بحقائق التاريخ، ذلك أن الذي بنى قبة الصخرة هو الوليد بن عبد الملك كما ذكر ابن عساكر والطبري وابن الأثير وابن كثير وغيرهم.

وإن نص الحادثة كما ساقها (جولدزيهر) بيِّن البطلان، لأنّ بناء شيء ليحج الناس إليه كفر صريح، و (عبد الملك كان من فقهاء المدينة) وكان يلقب بحمامة المسجد لكثرة عبادته.

وإن حديث لا تشد الرحال. . . ، روته كتب السنّة كلها، وهو مروي من طرق مختلفة غير طريق الزهري، فقد أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري، ورواه مسلم من ثلاث طرق إحداها من طريق الزهري، وتحريفه في غير هذا كثير»[2].

● على أن **الإمام الزهري** كان **إماماً في السنة**. قال الإمام مالك: «كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحدٌ من العلماء حتى يخرج منها، وأدركت بالمدينة مشايخ أبناء سبعين وثمانين لا يؤخذ منهم، ويقوم ابن شهاب وهو دونهم في السن فيزدحم عليه».

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، ص ١٩١، ينقل ذلك عن أستاذه د. حسن عبد القادر وبخط يده موجِزاً رأي أستاذه جولدزيهر.

(٢) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ص ١٨٧ ـ ٢٣٥).

وقال ابن سعد: «كان الزهري ثقة، كثير العلم والحديث والرواية، فقيهاً جامعاً».

وقال الإمام أحمد: «الزهري أحسن الناس حديثاً، وأجودهم إسناداً».

وقال ابن تيمية عنه: «خادم الإسلام سبعين سنة»[١].

قال السباعي رحمه الله بعد ذلك: «والحق أنّ هذا المستشرق، من أقل الناس حياءً في مجال العلم، فهو يخترع الأكذوبة ويتخيلها... ثم يلتقط من هنا وهناك ما يوهم أنه يؤيده فيما ادعى، ولا يبالي أن يكذب في النصوص، ويغلط في الفهم... وليس أدل على تحيزه وتعصبه لآرائه، مبدأ من يرفض نصوصاً قاطعة، أجمع على صحتها أهل العلم بنصوص ملفقة من كتاب الحيوان للدميري، وكتاب ألف ليلة وليلة، والعقد الفريد أو الأغاني، وغيرهامن كتب الأدب، التي تجمع ما هبّ ودبّ.

فهل هذا شأن قوم يزعمون التجرد للعلم؟ وهل هؤلاء هم الذين اتخذهم أمثال أحمد أمين أئمة يهتدون بهديهم في تكذيب الصحابة وتجريح التابعين، والتهجم على علمائنا؟»[٢].

والغريب أنّ حسين أحمد أمين، يكرر أكاذيب جولد زيهر في قصة بناء مسجد قبة الصخرة، وأحاديث المساجد الثلاثة رغم بطلانها وفجاجتها[٣].

● **وطعن المستشرقون في منهج المحدثين:**

رغم أنّ علم الحديث لقي من العناية ما لم يلقه علم آخر، بدءاً من عهد الصحابة إلى يومنا هذا.

إلا أن المستشرقين شككوا في الصحيحين وفي الكتب الستة، وقالوا

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: (ص ٢٠٦ ـ ٢١٢).

(٢) السابق: (ص ٢٣٥).

(٣) في كتابه: دليل المسلم الحزين، وسيأتي تفصيل ذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب (ص ١٢٧ ـ ١٣٣) وما بعدها.

بأن هنالك تبايناً في التدقيق والتضعيف لدى العلماء المسلمين، وزعموا أنّ وجود الأسانيد اعتباطي، بل إن نقد المحدثين لا يتعدى إسناد الحديث[1].

يقول جولدزيهر: «ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولاً، وكان ذلك في القرن السابع الهجري، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجري أنواعاً من الأحاديث كانت مبعثرة، رأوها أحاديث صحيحة.. وقد أصبحت هذه الكتب مراجع مجزوماً بها لسنّة النبيّ ﷺ، ويعتبر في المقام الأول منها الصحيحان»[2].

«وهذه افتراءات حاقدة تستهدف تقويض صرح السنّة الشامخة، فإذا تهاوت الأحاديث التي حدث بها أبو هريرة، وتلك التي جمعها الزهري وما جاء في الكتب الستة، فماذا بقي بعد ذلك لأمة الإسلام من إرث نبيهم؟! إنه مخطط إجرامي رهيب، يستهدف إسلامنا، فهل يا ترى يعقل ذلك أبناء هذا الدين؟!»[3].

لقد درس علماء الحديث رحمهم الله متن الحديث دراسة وافية، وعلم السند والرجال بما يعد مفخرة هذه الأمّة. قال عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[4].

«فوجهة نظر نقاد المسلمين مبنية على القواعد والأصول التي وضعوها، وقد رأينا دقّتها.. فمن الطبيعي أن تختلف وجهة نظر ـ المستشرقين ـ الذين لا يؤمنون برسالة محمد ﷺ أصلاً، عن وجهة نظر علمائنا... ولا يضيرنا ذلك»[5].

---

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: (ص ١٠١ ـ ١٠٢).
(٢) العقيدة والشريعة: جولدزيهر ص ٥٠.
(٣) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: (ص ٦٨).
(٤) صحيح مسلم: المقدمة ١/ ١٥ ت محمد فؤاد عبد الباقي/ الأولى.
(٥) السنة قبل التدوين ص ٢٥٣ د./ محمد عجاج الخطيب.

المستشرقون وتطوير الشريعة[1]:

بذل المستشرقون جهداً ضخماً لتطوير الشريعة الإسلامية، فاتهموا الفقه بالجمود، ودعوا إلى تجديده وتجديد أصوله، وأن شريعة الفقهاء ـ كما يسمونها ـ ليست ثابتة، وأن الحياة متطورة متجددة، وأن العرف والعادة يمكن لكل منهما أن يكون على قدم المساواة مع الشريعة... كل ذلك لفصل الدين عن الحياة.

● وقد دأبوا على ذلك وما زالوا، يريدون موافقة قلبية من المسلمين لبقاء القوانين الوضعية في بلادهم، وقد صرّح كثير من المستشرقين بذلك ودعوا إليه.

يقول المستشرق جيب: «كانت النتجية الخالصة لهذه الحركة التعليمية ـ حركة التغريب ـ أنها حررت نزعة الشعوب الإسلامية من سلطان الدين دون أن تحس الشعوب بذلك غالباً، وهذا وحده تقريباً هو جوهر كل نزعة غربية فعالة في العالم الإسلامي»[2].

ويؤكد المستشرق «جوزيف شاخت»: «أن القانون ـ أي الشريعة ـ يقع إلى حد كبير خارج نطاق الدين»[3].

وقد زعم هؤلاء المستشرقون أن «الأحكام» أي «القوانين» لا تدخل في مفهوم الدين، ومن ثم فإن الدولة لا تخضع للدين، فيخرج بذلك من نطاق الحكم الشرعي: القوانين الاقتصادية، والنواحي الاجتماعية والسياسية، يريدون للإسلام ما حل بالكنائس النصرانية.

---

(١) انظر تفصيلاً لذلك: المستشرقون، د. عابد السفياني /مكتبة المنارة/ مكة المكرمة / ١٩٨٨ م (ص ٥ ـ ٣٥).

(٢) وجهة الإسلام: جيب /ص ٢١٤، المطبعة الإسلامية /القاهرة/ ترجمة محمد عبد الهادي.

(٣) مناهج المستشرقين: ٦٩/١ مطبعة مكتب التربية العربي /الرياض/ ١٤٠٥ هـ.

ذلك أن المستشرقين لا يملكون آلة الاجتهاد، من معرفة اللغة العربية، ومقاصد الشريعة، ولذلك لا يحق لهم الخوض في هذه القضايا.

● وقد نهى علماء أهل السنّة عن الأخذ عن علماء الفرق المنحرفة، كالمعتزلة والخوارج مثلاً، مع أنّ أكثر علماء الفرق، معهم من العلم بالإسلام والتقدير له ما ليس عند المستشرقين ولا عند أتباعهم، فأهل الفرق الضالة عند أهل السنّة، ضالون مضلون مفترون لا يوثق بعلمهم لأنهم أهل الأهواء، فكيف بهؤلاء المستشرقين وأتباعهم[1].

● فمن شبهاتهم في ذلك: دعوتهم لتحكيم العرف والعادة، في أمور الشريعة. يقول المستشرق جيب: «إن النظام التشريعي في الإسلام يبدأ بالقرآن و... وأن العرف أو العادة يمكن لكل منهما، أن يكون على قدم المساواة مع الشريعة»[2].

ومن ضلالاتهم الدعوة لإلغاء الخلافة. قال جيب متحدثاً عن العلمانيين والقوميين مشيداً بمواقفهم منها: «والمسلمون من ذوي الاتجاه العلماني والقومي، كانوا يوافقون على إلغاء الخلافة... والمقصود من هذه الفكرة هو فصل الدين عن الحكم السياسي»[3].

ويرى: «أن تطبيق الخلافة القديمة قد انفرط عقدها تاريخياً في أقل من خمسة وعشرين عاماً»[4].

● ويدعو المستشرق «ولفرد سميث» إلى إلغاء الخلافة من خلال كتابه: «الإسلام في التاريخ الحديث» بأسلوب آخر، إذ يرى أنّ كل شيء يتغير، وأن نجاح الشريعة الإسلامية كان لفترة محدودة من الزمن.

---

(١) انظر: المستشرقون: السفياني (ص ٢٤ ـ ٢٦).
(٢) الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٢٨ / ترجمة هاشم الحسيني/ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت /١٩٦٦ م.
(٣)(٤) المرجع السابق: (ص ١٥٤ ـ ١٥٦، ١٦٠).

ثم يقول: «والذي يعنينا من ذلك، هو أن الواقعة قد وقعت وانتهى التاريخ الإسلامي القديم إلى نهايته».

ثم درس (سميث) الحركات الإسلامية ليؤكد مذهبه في التطور... وقارن بين كل من جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد بن عبد الوهاب... وزعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعا إلى الشريعة الأولى ـ كما يسميها ـ وأن الأفغاني جمع بين النزعة الإسلامية والآراء الغربية وأنه «متطور»، وأن هذه الدعوة الحديثة اعتمدت على المذهب العقلي.

فالمؤلف يدعو المسلمين إلى أن يسلكوا مسلك الأوروبيين في إخضاع الدين للعقل الإنساني، ثم ختم كتابه بالدفاع عن إسقاط الخلافة، واستبدال القوانين الغربية بالشريعة الإسلامية، وأن ما فعله «أتاتورك» في تركيا، هو المثال التطبيقي للتطور الذي ينشده الغرب، والذي ينبغي للمسلمين أن يسارعوا إليه في كل مكان[1].

● وليس العجب من موقف هؤلاء المستشرقين، وإنما العجب ممن تابعهم من أبناء جلدتنا، وقد زعموا أن الإسلام ليس فيه نظام حكم لأن الشريعة خارج نطاق الدين، وأن القوانين الوضعية لا تخالف الشريعة الإسلامية، وألفت الكتب التي تنحو هذا المنحى المنحرف[2].

● فالدين في الإسلام يشمل العقيدة والشريعة معاً، وهو عندنا «ما أنزل الله على نبيه من كتاب هو «القرآن» وما نطق به رسول الله ﷺ من أمر ونهي وهو «الحديث والسنّة» وهما جميعاً «الدين» الذي رضيه الله لنا، وأمرنا باتباعه والخضوع له، فيما أحببنا وفيما كرهنا، وأنه ليس لأحد أن يخالف حكماً أنزله الله في كتابه، ولا حكماً قضى به رسول الله ﷺ في

---

(١) عن كتاب: المستشرقون، د. عابد السفياني من (ص ٤٦ ـ ٥١). بإيجاز وتصرف.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في الفصول القادمة.

سنته، سواء كان هذا الحكم قضاء في أمور الناس وهو الشريعة، أو قضاء في أخلاق الناس وهو الآداب، أو قضاء في الخضوع لله بالقلب والجوارح واللسان وهو «العبادة»[1].

والنتيجة فالدين عندنا يشمل تحكيم الشريعة كما يشمل العقيدة، ولم تكن الشريعة خارجة عن مفهوم الدين، كما يزعم المستشرقون ومن تابعهم من الناعقين.

---

(١) أباطيل وأسمار: محمود محمد شاكر رحمه الله، ص ٥٢٢ الطبعة الأولى / ١٩٦٥ م/ مطبعة المدني ـ القاهرة/ .



الباب الثاني

دور دعاة التغريب خلال النصف الأول من القرن العشرين

تمهيد: تيارات التغريب.

الفصل الأول: الهجوم على السنة النبوية من قبل دعاة التغريب.

الفصل الثاني: المنهج التغريبي في مجال الحكم والتشريع.

الفصل الثالث: منهج دعاة التغريب في مجالات الأدب والثقافة.



تمهيد:

تيارات التغريب في النصف الأول من هذا القرن:

يقصد بدعاة التغريب: الذين درسوا في المعاهد والجامعات الصليبية، وتتلمذوا على يد المبشرين والمستشرقين، فأعجبوا بهم أشد الإعجاب، وأخلصوا لهم غاية الإخلاص...

وقد تقلد هؤلاء أرفع المناصب العلمية والسياسية... وكانوا أكثر غلواً وأشد وقاحة من أساتذتهم المستشرقين[١].

لقد أصبح هؤلاء وكلاء للمستعمر بعد رحيله، وأياديه التي تنفذ سياسته، وكان عامة المسلمين آنذاك في غفلة عن دينهم، مما جعل هجوم دعاة التغريب شرساً وقحاً، لا يراعي دين الأمة ولا تراثها الأصيل، بقليل ولا كثير.

لقد دعا ذلك الجيل إلى صبغ الحضارة الإسلامية بكل مقوماتها بحضارة الغرب، حلوها ومرها، خيرها وشرها، ومن ثم اتهام النظام الإسلامي بالتخلف والجمود.

● كانت البذور الأولى للتغريب، تعود إلى طلاب البعثات أيام محمد علي باشا، فقد تأثروا بما شاهدوه، وفيما كتبوه خلال إقامتهم في أوروبا، ونلمس ذلك فيما كتبه (رفاعة الطهطاوي) (وخير الدين التونسي) خلال إقامتهما في باريس.

وقد مهد الطهطاوي لقبول التشريع الوضعي، وكان معجباً بالمسرح

(١) دراسات في السيرة: محمد سرور زين العابدين (ص ١٨١).

الفرنسي، ويؤكد أن السفور والاختلاط بين النساء والرجال، ليس داعياً إلى الفساد، وما الرقص عندهم إلا «فن من الفنون، وهو نوع من العياقة والشلبنة، لا الفسق»[1].

لقد أعجب الطهطاوي وخير الدين بقوّة المجتمع الأوروبي وأحبا أن ينقلا تلك النظم إلى مجتمعهما، متأثرين بالنزعة العقلية المتحررة التي سادت فرنسا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[2].

● وخلال فترة الاستعمار الغربي ـ منذ أواخر القرن التاسع عشر ـ ازداد تأثير القوّة الغازية، وصار التعليم يجري على تخطيط غربي، رسمه الاستعمار ونفذه عملاؤه، فتكونت تيارات متعدّدة نتيجة لذلك، **ومن أبرز هذه التيارات:**

أ ـ تيار مدرسة الاستعمار:

ويعتبر من أدوات المستعمر لتنفيذ سياسته في إدارة شؤون البلاد، ومن هؤلاء سعد زغلول، الذي حول حركة الجهاد الإسلامية، إلى حركة وطنية علمانية، وأحمد لطفي السيد الذي يعتبر من أوائل دعاة التغريب، والمنادين بالنقل عن أوربا والاغتراف من حضارتها، دون تمييز بين النافع والضار، فكان مديراً للجامعة المصرية، ويسمى ـ أستاذ الجيل ـ. ومن الأمور التي أكد عليها في دعوته:

ـ الدعوة إلى اللهجة العامية على حساب الفصحى.

ـ الدعوة إلى الاختلاط، وتبني الدعوة إلى الفرعونية القديمة[3].

يقول أنور الجندي عن مدرسة الاستعمار هذه:

---

(١) انظر: تخليص الإبريز في تلخيص باريز (ص ١٦٦ ـ ١٦٨) رفاعة الطهطاوي.

(٢) انظر السابق، وكتاب: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، خير الدين التونسي، والإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين /ص ١١ ـ ٤٤/.

(٣) انظر: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر: (ص ٤٢٣ ـ ٤٢٥).

«كان الاستعمار يعد منسوبي هذا التيار الحارق، ليحكم هذه البلاد بجلود مصرية، وأفكار استعمارية، وكان من أوائل الطلبة في هذه المدرسة ـ مدرسة كرومر ـ الذين تخطوا الحواجز التي وضعها سادتهم، وبتفوق أعجب المستعمر، ونالوا من الرعاية والعناية، لينالوا إعجاب الجماهير، سعد زغلول وأحمد لطفي السيد وعبد العزيز فهمي»[1].

ب ـ التيار الثاني: تيار تطوير الإسلام:

يتلخص اهتمام أصحاب هذا التيار في محاولات تطوير الدين وإعادة تفسيره، بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية، وقد بدأ هذه الدعوة: الطهطاوي والتونسي، ثم أصبحت على يد محمد عبده ومدرسته دعوة عامة تهاجم التقليد وتطالب بإعادة النظر في التشريع الإسلامي دون قيد.

ففتح الباب على مصراعيه للقادرين وغير القادرين، حتى ظهرت فتاوى تبيح الإفطار في رمضان لأدنى سبب، وتبيح الربا، ربا النسيئة، وفتاوى تحظر تعدد الزوجات والطلاق، فتحول الاجتهاد إلى تطوير للشريعة، يهدف دعاته إلى معانقة الحضارة الغربية للتعاليم الإسلامية[2].

جـ ـ التيار الثالث:

يمثله نصارى العرب. وخاصة ممن ارتحلوا من لبنان وبلاد الشام. فقد ذكرهم كرومر في كتابه «مصر الحديثة» حين ذكرهم في الطوائف التي أعانت السياسة الاستعمارية في تحقيق أهدافها، كما أعانوا الخديوي إسماعيل من قبل، حين استخدمهم في تنفيذ سياسته التي تقوم على إدخال الحضارة الغربية في مصر.

وكان هذا الفريق بعد رحيله إلى مصر من أسبق الناس إلى تأسيس الصحف، بعضها كان يومياً يحمل الأنباء العالمية والمذاهب السياسية مثل:

---

(١) عقبات في طريق النهضة: (ص ٦٠) أنور الجندي.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين (ص ٥١ ـ ٥٦).

صحيفة الأهرام والمقطم، ومثل الصحف التي أسسها الأفغاني ومنح امتيازها لرجلين من أبناء هذه الطائفة، وهما أديب إسحق وسليم نقاش.

وبعضها كان أدبياً علمياً تمثله صحيفة المقتطف وصحيفة الهلال. كانت الأولى قد أسست عام ١٨٨٤ م، والثانية/ ١٨٩٢ م.

وقد كانت هذه الصحف بوقاً يدعو إلى العلمانية والتحررية في الفكر العربي الحديث، ومعظمها معروف بولائه لسياسة المستعمر البريطاني آنذاك.

ومن نصارى العرب في لبنان بطرس البستاني الذي كان يعمل مع البعثات التبشيرية وفي القنصليتين الإنجليزية والأمريكية، ويعتبر من أنشط العرب في نقل الحضارة الغربية، وتطويع اللغة العربية للتعبير عما تضمنته من مفاهيم[1].

وسوف نوجز الحديث في هذا الفصل حول أبرز تيارات الهدم التغريبي في هذه الفترة وهي:

١ ـ التشكيك بالسنّة النبوية.

٢ ـ المنهج التغريبي في السياسة والحكم.

٣ ـ المنهج التغريبي في مجالات: التربية والثقافة، واللغة والأدب.

---

(١) انظر: الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين (ص ٦٠ ـ ٦٣) وتفصيلاً لذلك: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لنفس المؤلف.

الفصل الأول

الهجوم على السنة النبوية عند دعاة التغريب

- الهجوم المقنّع عند أحمد أمين.
- موقف محمود أبي ريّة من السنة النبوية.
- آخرون من غربان القوم:
  - ـ الطبيبان: محمد توفيق صدقي، وإسماعيل أدهم.
  - ـ الشاعر أحمد زكي أبو شادي.
  - ـ السيد صالح أبو بكر.



الفصل الأول

الهجوم على السنة النبوية عند دعاة التغريب

لقد كانت الهجمة شرسة على السنّة النبوية، في رد الأحاديث الشريفة، أو التشكيك فيها وفي رواتها، كل ذلك اتباعاً لمن سبقهم من فرق الضلال كالمعتزلة ومَنْ تابعهم، وترديداً لمقولات المستشرقين من اليهود والنصارى. . .

ويأتي على رأس هؤلاء: أحمد أمين ومحمود أبو رية.

● فقد أشاد أحمد أمين بالمعتزلة إذ يقول: «وكان للمعتزلة الفضل الأكبر في علم الكلام، لأنهم كانوا أكبر المدافعين عن الإسلام. . وذاع صيتهم وعلا شأنهم بوجود طائفة ممتازة منهم، مثل واصل بن عطاء، وأبي الهذيل العلاف، والنظّام والجاحظ وغيرهم. . .»(١).

وفي المقابل يذم الأستاذ أحمد أمين أهل الحديث ويطعن في منهجهم، ويتباكى حزناً على قمع المعتزلة على يد المتوكل العباسي وظهور أهل الحديث. فيقول: «فلما نكّل بالمعتزلة على يد المتوكل، علا منهج المحدثين، وكاد العلم كله يصبح رواية، وكان نتيجة هذا ما نرى من قلة الابتكار، وتقديس عبارات المؤلفيْن، وإصابة المسلمين غالباً بالعقم الفكري، ومع الأسف فمنهجهم ساد منهج المعتزلة وغلبهم، وكان منهج المعتزلة منهجاً متيناً دقيقاً، حتى لم يستطع أن يفر منه إلا القليل»(٢).

---

(١) ظهر الإسلام: أحمد أمين، ٢/٥، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة/ ١٩٦٦ م.

(٢) ظهر الإسلام: ٢/٤٨، وانظر جـ ٢/٤٩.

الهجوم المقنّع عند أحمد أمين:

● لقد كان هجوم بعض الكتاب على السنة في هذه الفترة ـ كأحمد أمين في كتبه فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام ـ هجوماً مبطناً مقنعاً بستار العلم والبحث، متتبعاً آراء أساتذته من المستشرقين الحاقدين.

لقد كانت شكوكه متناثرة في كتبه وخاصة في كتابه فجر الإسلام، من ذلك:

ـ زعمه أنّ الحديث لم يدون في عهد الرسول ﷺ، وأن الوضع والكذب على الرسول كثر حتى في عهده عليه الصلاة والسلام.

ـ وقال: إن دخول الشعوب في الإسلام كان له أثر كبير في الوضع، الذي بلغ من الكثرة أن اختار الإمام البخاري صحيحه من ستمائة ألف حديث كانت شائعة في عصره...

ـ وأن علماء الحديث لم يعنوا بنقد المتن كما اعتنوا بنقد السند.

ـ وشكك في مرويات أبي هريرة رضي الله عنه لكثرتها، وعدم كتابته للحديث، وأن بعض الصحابة شكوا في حديثه، وبالغوا في نقده[1].

● وقد ردّ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله على أحمد أمين داحضاً ادعاءاته من ذلك:

أ ـ أن ما زعمه مؤلف فجر الإسلام، بأن ما جمعه البخاري في حديثه، وهو أربعة آلاف غير المكرر، هو كل ما صح عنده مما كان شائعاً في عصره، وهو ستمائة ألف حديث، هذا الذي زعمه المؤلف غير معروف عند العلماء، بل المعروف أنّ البخاري لم يجمع في كتابه كل ما صح عنده.

قال ابن الصلاح رحمه الله في مقدمته: «لم يستوعبا ـ أي البخاري

---

(١) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧) د. مصطفى السباعي.

ومسلم ـ الصحيح في صحيحيْهما ولا التزما بذلك، فقد روينا عن البخاري أنه قال: ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لملال الطول، وروينا عن مسلم أنه قال: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ها هنا، يعني في كتابه الصحيح، إنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه»[1].

ونقد أحمد أمين عدّة أحاديث في صحيح البخاري اتباعاً لأهل الأهواء، والمستشرقين خاصة، وذلك كله تحريف وتضليل، فهي أحاديث صحيحة ولو خالفت عقولهم منها:

١ ـ «لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة».

٢ ـ «من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة، لم يضره سم ولا سحر، ذلك اليوم إلى الليل».

٣ ـ «الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين»[2].

● وقد **شكك** أحمد أمين أيضاً **في عدالة الصحابة** رضي الله عنهم:

قال في كتابه فجر الإسلام: «وأكثر هؤلاء النقاد ـ أي نقاد الحديث ـ عدلوا الصحابة كلهم إجمالاً وتفصيلاً، فلم يتعرضوا لأحد منهم بسوء، ولم ينسبوا لأحد منهم كذباً، وقليل منهم من أجرى على الصحابة ما أجري على غيرهم. . .»[3].

هذا وعدالة الصحابة مما اتفق عليه التابعون، ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة، وشذ عن ذلك الخوارج والمعتزلة والشيعة.

---

(١) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: (ص ١٠)، طبعة الهند.

(٢) انظر مناقشة الدكتور مصطفى السباعي لهذه الافتراءات في كتابه: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٢٧٩ ـ ٢٩٠).

(٣) فجر الإسلام: أحمد أمين، (ص ٢٦٥).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، ثم قال: وقول المعتزلة، الصحابة عدول إلا من قاتل علياً قول باطل مردود».

● وقد **تحامل على الصحابي** الجليل **أبي هريرة** رضي الله عنه فسار على نهج «جولدزيهر» اليهودي وحقده، على صحابي جليل نقل إلينا كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ.

قال أحمد أمين: «وقد أكثر بعض الصحابة من نقده على الإكثار من الحديث عن رسول الله ﷺ، وشكوا فيه، كما يدل على ذلك ما روى مسلم في صحيحه أنّ أبا هريرة قال: «إنكم تزعمون أنّ أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله، والله الموعد، كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفْق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم»[1].

هذه العبارة تكاد تكون عين عبارة «جولدزيهر» حيث يقول: «ويظهر أنّ علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائماً قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة، والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر»[2].

فأساس الطعن مأخوذ من هنا، مع فارق بسيط وهو أنّ المستشرق نسب الشك إلى نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة ـ أي التابعين ـ أما أحمد أمين فقد نسب الشك إلى بعض الصحابة، وهذا أشد وأنكى[3].

«وهكذا فقد حمل (مؤلف فجر الإسلام) حملات منكرة بأسلوبه الناعم ضد هذا الصحابي العظيم، من غير تثبت ولا تحقيق متعمداً ذلك، ليحقق فكرة خبيثة في ذهن مستشرق مغلوب على هواه...

---

(١) فتح الباري: جـ ٤/٢٦٩.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية: جـ ١/٤٠٨، ترجمة أبي هريرة.
(٣) السنة ومكانتها: السباعي، (ص ٣١٠ ـ ٣١١).

إن صحابياً يظل يحدث الناس سبعاً وأربعين سنة، بعد وفاة الرسول ﷺ، على مسمع من كبار الصحابة... ثم لا يلقى إلا تجلة وإعظاماً، يرجع إليه في معرفة الأحاديث... ويبلغ الآخذون عنه ثمانمائة من أهل العلم، وكلهم يجمعون على جلالته والثقة به...»[1]. يلقى مثل هذه الحملات؟ كيف يجرؤ مؤلف فجر الإسلام على النيل من هذا الصحابي العظيم؟! إلا أن تكون الفتنة وظلمة القلوب العمياء.

● **وهاجم أحمد أمين كبار التابعين، فشكك في دقّة عبد الله بن المبارك وضبطه فقال: «إنه ثقة صدوق اللسان، ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر»**[2].

وقد أجمع أئمة الجرح والتعديل على توثيق ابن المبارك وإمامته وجلالة قدره. قال الحاكم: «هو إمام عصره في الآفاق وأولاهم بذلك علماً وزهداً وشجاعة وسخاء».

وقال النسائي: «لا نعلم في عصر ابن المبارك أجل من ابن المبارك، ولا أعلم منه ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه»[3].

إلا أنّ علاّمة القرن العشرين لا يقتنع بكل هذه الشهادات لابن المبارك، فهو يأخذ «عمّنْ أقبل وأدبر» دون تفهم لما يأخذ!

وكان ابن المبارك يلقب أمير المؤمنين في الحديث.

موقف محمود أبي رية من السنّة النبوية:

كان موقف هذا الرجل من أسوأ المواقف، طعناً في السنّة والحديث، وتجريحاً بصحابة رسول الله ﷺ...

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ص ٣١٩ / بإيجاز.
(٢) فجر الإسلام: أحمد أمين، (ص ٦٠).
(٣) انظر: السنة ومكانتها: (ص ٢٥١).

فقد شك في معظم كتب الحديث النبوية، وكانت مطاعنه في أبي هريرة (رضي الله عنه)، من أخبث المطاعن، إذ لم يجرؤ عليها حتى الحاقدين من اليهود والنصارى.

● **فقد اعتبر أبو رية أن الأحاديث رويت بالمعنى فقط**[١]:

ومن ثم زعم أنه بذل جهداً كبيراً في دراسة المصادر الصحيحة وبعد ذلك قال: «... حتى انتهيت إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة، ذلك أني وجدت أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث كلها مما أسموه صحيحاً، أو ما جعلوه حسناً، قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه، كما نطق الرسول به، ووجدت أنّ الصحيح على اصطلاحهم إنْ هو إلاّ معان مما فهمه بعض الرواة!!..

ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأحاديث، وليس عليها من ضياء بلاغته، صلوات الله عليه، إلا شعاع ضئيل»[٢].

إنّ كلامه هذا مملوء بالتضليل والافتراء، لأن حفظ الحديث بلفظه أمر لا يستغرب ولا يستنكر من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين وعلماء الأمّة الأجلاء لما توفر فيهم من الوسائل التي تعينهم على ذلك، ودعوى أبي ريّة أن الأحاديث كلها رويت بالمعنى دعوى لا أساس لها من الصحة، بل إن كثيراً من الأحاديث ورد بلفظه، واتفقت فيه الروايات، والمتذوق للكثير منها لا يشك في أنها صدرت من كلام أفصح العرب ﷺ، وأنها لم تخرج إلا من مشكاة النبوّة، ولذا أدرك ذلك أئمة اللغة والبيان فألفوا كتباً في البلاغة النبوية[٣].

---

(١) قال السيد أحمد خان نفس المقالة «بأن الأحاديث هي ألفاظ للرواة».

(٢) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية (ص ٧) طبعة دار المعارف بمصر/ ١٩٧٦ م، ط ٤/ وقد ظهر الكتاب عام ١٣٧٧ هـ/.
وقد خصص الكتاب لشواذ الآراء في الطعن في الأحاديث النبوية وحجيتها وفي اتهام كبار الصحابة بلا علم، وقد قدم طه حسين لهذا الكتاب!!.

(٣) انظر رسالة: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ص ٧٣٩ ودفاع عن السنة: د. محمد محمد أبو شهبة/ دار اللواء للنشر الطبعة الثانية /الرياض/ ١٤٠٧ هـ/ ص ٥٢/.

● **وقد طعن في تدوين السنة**: متابعاً أسياده من المستشرقين وخاصة «جولدزيهر اليهودي، فيقول أبو رية: «لو أن هؤلاء الصحابة كانوا قد فعلوا في تدوين حديث رسول الله ﷺ، مثلما فعلوا في تدوين القرآن، لجاءت هذه الأحاديث على غير ما هي عليه الآن، فتكون كلها متواترة، ليس فيها شيء اسمه صحيح، ولا شيء اسمه حسن، و ضعيف ولا موضوع»[(١)].

● أمّا أبرز اتهامات أبي رية في كتابه «أضواء على السنّة المحمدية» فهي مطاعن فاحشة في الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، فيما لم يبلغها الرافضة ولا المستشرقون.

من ذلك ازدراؤه شخصية أبي هريرة واتهاماته بعدم الإخلاص في إسلامه؟!، وعدم الصدق في حديثه عن رسول الله، وحبه لبطنه وللمال؟!، وتشيعه لبني أمية، إلى غير ذلك مما هو منشور في كتابه[(٢)].

يقول السباعي رحمه الله بعد عرضه لتلك الافتراءات: «وأشهد أنّ «أبارية» كان أفحش وأسوأ أدباً من كل من تكلم في حق أبي هريرة من المعتزلة والرافضة والمستشرقين، قديماً وحديثاً، مما يدل على سوء عقيدة وخبث طوية، وسيجزيه الله بما افترى وازدرى، وحرف وشوه من الحقائق..»[(٣)].

وقد فنَّد السباعي رحمه الله في كتابه مفتريات أبي رية، ورد عليها رداً وافياً، مبيناً تحامله وكذبه وافتراءه[(٤)].

ثم يقول السباعي رحمه الله: «وقد رأيت الحاكم أبا عبد الله، حكى في كتابه المستدرك (٣/ ٥١٣) كلام شيخ شيوخه ابن خزيمة (المتوفى

---

(١) مجلة الفتح: ١٧/ ١٠٥.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٣٢٠.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلام: (ص ٣٢٠).

(٤) انظر: المرجع السابق: (ص ٣٢٠ ـ ٣٧٢).

سنة ٣١١ هـ) في الرد على من تكلم في أبي هريرة فكأنه يرد على أهل عصرنا هؤلاء، وهذا نص كلامه:

«وإنما يتكلم في أبي هريرة، لدفع أخباره، من قد أعمى الله قلوبهم، فلا يفهمون معاني الأخبار:

إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم ـ الذي هو كفر ـ فيشتمون أبا هريرة، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه، تمويهاً على الرعاع والسفل، وأن أخباره لا تثبت بها الحجة.

وإما خارجي يرى السيف على أمة محمد «ﷺ». . . إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبيّ ﷺ خلاف مذهبهم الذي هو ضلال، ولم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان، كان مفزعه الوقيعة في أبي هريرة.

أو قدري اعتزل الإسلام وأهله. . . إذ نظر إلى أخبار أبي هريرة التي رواها في إثبات القدر، لم يجد حجة يريد صحة مقالته، التي هي كفر وشرك، كانت حجته عند نفسه: أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها.

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه. . . وتكلم في أبي هريرة، ودفع أخباره التي تخالف مذهبه، ويحتج بأخباره على مخالفيه إذا كانت موافقة لمذهبه»[١].

هذه آراء علماء هذه الأمّة الثقات، أما فراخ المعتزلة وعملاء المستشرقين، فهم يستبيحون الطعن في صحابة رسول الله والتابعين، لمصلحة أعداء هذه الأمّة.

* وقد كثر غربان القوم، وازداد نعيق البوم من بينهم، في الطعن بالأحاديث النبوية، فأنكر الطبيب محمد توفيق صدقي حجية السنة في مقال

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: (ص ٣٦٢).

له بعنوان: «الإسلام هو القرآن وحده»، نشره له محمد رشيد رضا في عددين من مجلة المنار، وزعم الكاتب أن الله الذي تكفل بحفظ القرآن وحده دون السنة، ولو كانت دليلاً وحجة كالقرآن لتكفل بحفظها[1].

ونشر إسماعيل أدهم (١٣٥٣ هـ) رسالة زعم فيها أن الأحاديث التي تضمنتها الصحاح ليست ثابتة الأصول والدعائم، بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع، وثارت حول هذه الرسالة ضجة انتهت بمصادرتها، ودافع أدهم عن نفسه بأن ما قاله قد وافق عليه أدباء وعلماء منهم: أحمد أمين، ولم ينكر أحمد أمين ذلك[2].

• ويطلع علينا الشاعر المصري: أحمد زكي أبو شادي[3]:

بشواذ الآراء الغريبة، والجهل المركب، والهزيمة النفسية. وكان قد توفي عام ١٩٥٥ م، وقد غزاه التغريب منذ غضاضة شبابه، إذ درس الطب في إنجلترا، ومكث فيها عشر سنين وهو في العشرين من عمره، له عدّة دواوين شعرية، وكتابه «ثورة الإسلام» الذي مزج فيه الحق بالباطل، واستهزأ فيه بالسنة وجامعيها، وزعم أنّ الأحاديث كلها مختلقة. يقول:

«وهذه سُنَنُ ابن ماجة والبخاري، وجميع كتب الحديث والسنة، طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل، ولا نرضى نسبتها إلى رسول الله ﷺ، وأغلبها يدعو إلى السخرية بالإسلام وبالمسلمين وبالنبي الأعظم»[4].

---

(١) انظر مجلة المنار: العددين التاسع والثاني عشر من السنة التاسعة عام ١٩٠٦ م، والسنة ومكانتها للسباعي (ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: (ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨) «إسماعيل أدهم: كان طبيب أسرة السيد رشيد رضا/ عن مجلة المنار ج ٢١ /ص ٤٩٢.

(٣) ينظر: القرآنيون، (ص ١٧٦ ـ ١٧٩).

(٤) ثورة الإسلام: أحمد زكي أبو شادي /ص ٢٥، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

ويمثل موقفه من حضارة الغرب، الهزيمة النفسية أمام تحديات تلك الحضارة في هذه الفترة،... يقول في كتابه: «إن مبادىء الإسلام نظرياً وعملياً هي أقرب ما تكون لمبادىء الحضارة الأمريكية، والحياة الأمريكية، تفكيراً وسلوكاً، فهل يتنبه المسلمون إلى هذه الحقيقة الراسخة فيفلحوا؟»[1].

● وتزداد الصفاقة، ويتعالى البغاث التغريبي مرة أخرى في كتاب نشر باسم «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها» وقد بدأ المدعو «السيد صالح أبو بكر» هجومه على أبي هريرة رضي الله عنه، وصدّر كتابه برأي مدرسة المنار، ووضع عنواناً «أبو هريرة ورأي علماء الحديث فيه ممثلاً في مدرسة المنار»[2] وأنكر (١٢٠) حديثاً من صحيح البخاري.

---

(١) السابق: (ص ٥٧)/ ثورة الإسلام.

(٢) الأضواء القرآنية: ص ٥٨/ شركة مطابع محرم الصناعية ١٩٧٤ م.

الفصل الثاني

المنهج التغريبي في مجال الحكم والتشريع

- أبرز الخطوات التي اتبعها الصليبيون لتغيير شريعة المسلمين.
- كتاب الإسلام وأصول الحكم: لعلي عبد الرازق.



الفصل الثاني

المنهج التغريبي في مجال الحكم والتشريع

كان تطبيق الشريعة الإسلامية شوكة في حلوق الأعداء، وكانت الخلافة حجر عثرة أمام مطامع الحاقدين.

ولذلك دأب المستعمر وأعوانه من المستشرقين والمنصِّرين على إقناع المسلمين للحاق بركب الغربيين في فصل الدين عن شؤون الحياة.

«وقد اشترى العدو رجالاً من أبناء هذه الأمة، ودفع بهم إلى سدة الحكم، فكان هؤلاء هم الدعاة الذين حذرنا منهم رسول الله ﷺ: «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها»، و«هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»[(١)].

● وكان من شروط اتفاقية (سايكس بيكو) عام (١٩١٥ م): «أن قسمت البلاد الإسلامية بين الحلفاء».

«وفي مؤتمر لوزان وضع «كرْزون» رئيس الوفد البريطاني أربعة شروط للانسحاب من تركيا والاعتراف بها لصالح كمال أتاتورك» منها:

- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاماً، وطرد الخليفة خارج الحدود ومصادرة أمواله.

- إعلان علمانية الدولة، وإلغاء الشريعة الإسلامية تماماً[(٢)].

---

(١) الحديث: رواه البخاري في صحيحه /باب الفتن/.

(٢) انظر: تاريخ الدولة العثمانية: علي حسون /طبع المكتب الإسلامي بيروت ـ دمشق، وكتاب الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية د. عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ـ مكتبة الفلاح /ط ٣/ ١٤١٢ هـ (ص ٨٨ وما بعدها) ـ والمخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام/ مكة المكرمة / ١٣٨٤ هـ/ للشيخ محمد محمود الصواف.

وكان حاخام اليهود الأكبر في تركيا (حاييم ناحوم) قد دخل وسيطاً في تلك المفاوضات، وهو من أساطين الصهيونية العالمية. ولم تنسحب بريطانيا من تركيا حتى تحققت الشروط السابقة.

● **واستمر الصليبيون في حربهم للشريعة الإسلامية، وكان من أبرز الخطوات التي اتبعها الصليبيون لتغيير شريعة المسلمين**[1]:

١ ـ ادعاء الكفار أن الشريعة الإسلامية تناقض الحضارة والمدنية. يقول (هور غورنيه) في مؤتمر عقد للمستشرقين في هولندا:

«إن سنّ القوانين من الشريعة الإسلامية غير موفق، لأنه ينبغي أن نفهم المسلم أن لا يقدر أن يعيش معيشة عصرية راقية وهو متمسك بشريعته، وأنه يجب أن يعلم أن شريعة الإسلام لا تتسع لقبول المدنية الحاضرة»[2].

٢ ـ تدخّل الصليبيين في شؤون الديار الإسلامية: إذ أسقطوا الخلافة واستعمروا البلاد ووضعوا بالقوة قوانينهم الوضعية.

٣ ـ إضعاف سلطان المحاكم الشرعية تمهيداً لإلغائها، وقد فعلت ذلك فرنسا وبريطانيا وإيطاليا في البلاد التي استعمروها.

٤ ـ إيجاد وإبراز علماء بالقوانين الوضعية: وذلك بإرسال وفود من الطلاب لدراسة القانون في فرنسا من مصر /١٨٢٨ م/ ، فكانوا نواة لرجال القانون الوضعي في مصر، وفي عام (١٨٣٦ م) أنشئت مدرسة الألسن الذي خصّص جزء من مناهجها لدراسة القانون، وترجم طلابها مجموعات القوانين الفرنسية، ثم أنشئت مدرسة الحقوق والإدارة /١٨٦٨ م، ثم أنشئت كليات الحقوق في أنحاء العالم الإسلامي، فأفسدت هذه الكليات القانونية عقول أبناء المسلمين وأبعدتهم عن دينهم وشريعة ربهم، وجعلت

(١) انظر: الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: (ص ٩٠ ـ ١١٠).

(٢) انظر: حاضر العالم الإسلامي، ١/٣٧٣ ـ تعليق شكيب أرسلان.

وجهتهم القوانين الغربية، وقد قطع الدارسون في هذه الكليات عن الشريعة الإسلامية، وكتب الفقه الإسلامي، وغرس في روعهم أن الإسلام لا علاقة له بالقانون.

قال عبد القادر عودة رحمه الله[1]: «قيل لنا في المدارس إن النظريات الجنائية الحديثة من ابتداع القوانين الوضعية، وأن العالم لم يعرفها إلا في القرن التاسع عشر، على إثر الثورة الفرنسية».

وقد ثار المؤلف رحمه الله على القوانين الوضعية، التي علموه إياها، عندما اكتشف الحقيقة، فنالته الأيدي الآثمة، حتى لا يبصّر الآخرين[2].

٥ ـ إسناد المناصب إلى الصليبيين: الذين عملوا على تغيير شريعة المسلمين.

ـ من هؤلاء نوبار باشا الأرمني وزير خارجية مصر آنذاك، والصليبي الفرنسي «مانوري» الذي كلف بوضع قانون مدني للمحاكم المختلطة، فنقل قانون نابليون مشوهاً وحكمت به مصر، وتبعتها في ذلك بقية الأقطار العربية[3].

٦ ـ الامتيازات الأجنبية في تركيا ومصر: ولم توافق الدول صاحبة الامتياز على إلغاء تلك الامتيازات، إلا إذا ألغيت الشريعة الإسلامية، وحلت محلها القوانين الوضعية، وقد ألغيت تلك الامتيازات في تركيا بإلغاء الخلافة، وفي مصر ألغيت على إثر مؤتمر عقد في سويسرا (١/ ١٢ أبريل / ١٩٣٧ م) بين مصر والدول صاحبة الامتياز، وكان عددها اثنتي عشرة دولة منها: أمريكا وبريطانيا وفرنسا... إلخ.

وقد وافقت هذه الدول على إلغاء الامتيازات الأجنبية في القطر

---

(١) التشريع الجنائي في الإسلام: عبد القادر عودة، ١/ ١٠ طبعة ٥/ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م.
(٢) الشريعة الإلهية: الأشقر، (ص ١٠٠ ـ ١٠٢).
(٣) السابق ص (١٠٣).

المصري، ولكن مقابل هذا تعهد المفاوضون المصريون بعدم العودة إلى الشريعة الإسلامية[1].

● ونتيجة لكل تلك الجهود: أخذ دعاة الغرب وأبواقه يدعون إلى ما يسمى بالإصلاح والتجديد وذلك باتباع النمط الغربي في الحياة، وفي علاج المشكلات التي يعاني منها المسلمون.

يقول جميل معلوف: «إن خلاص الشرق يتوقف على تفرنج الشرقيين بمعنى الكلمة»[2].

ويقول سلامة موسى في كتابه «اليوم والغد»: «يجب علينا أن نخرج من آسيا، ونلتحق بأوروبا، فإنه كلما ازدادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما ازددت معرفة بأوروبا، زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني، وأنا منها، هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سراً وجهراً، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب»[3] لا يستغرب هذا الشعور من صليبي حاقد تربطه بالقوم روابط نسب وعقيدة.

ـ ويقول: «أغا أوغلي أحمد» أحد دعاة الكماليين في تركيا: «إنا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين، حتى الالتهابات في رئتهم، والنجاسات التي في أمعائهم»[4].

ومن الحب ما قتل، هكذا تكون التبعية الذليلة عند ضعاف النفوس، وإلا فإن الله غالب على أمره، رغم كل مخططات الحاقدين والعملاء، وها هي الصحوة الإسلامية تعود إلى الأمة المسلمة من جديد.

---

(١) المرجع السابق: (ص ١٠٩ ـ ١١٠).

(٢) مؤامرة فصل الدين عن الدولة: محمد كاظم حبيب ص ٦٩، الأولى / ١٩٧٤ م.

(٣)(٤) الاتجاهات الوطنية: ٢/ ٢٢١، د. محمد محمد حسين.

● الإسلام وأصول الحكم: علي عبد الرازق:

إن التصور الكنسي للدين هو الذي غزا دعاة التغريب، فالنزاع الذي أدى إلى فصل الدولة عن هيمنة الكنيسة حتى صارت دعوة الدين عندهم تعني صفاء الروح فقط، أما العلاقات العامة، وشؤون الاقتصاد والسياسة فلا تدخل في مفهوم الدين بتاتاً، وكل ذلك نقله دعاة التغريب إلينا.

وبناءً على ذلك كانت دعوة المتغربين وأسيادهم حادة في هذا الاتجاه.

ومن الغريب أن مفهوم الدين هذا لا يطبق على اليهود الذين أسسوا دولة إسرائيل على أساس ديني خالص.

● وكان أخطر ما ظهر في هذه الفترة كتاب:

«**الإسلام وأصول الحكم**»: للشيخ علي عبد الرازق عام ١٩٢٥ م[١].

فهذا الكتاب يعرض دعوى أن «الإسلام دين لا دولة» وهو يستعير في عرضه هذا آراء المستشرقين من قساوسة صليبيين، ويهود حاقدين.

وكان التوقيت لصدوره خبيثاً، ذلك أنه أُصدر لإجهاض محاولات إحياء الخلافة آنذاك، بعد إلغائها على يد كمال أتاتورك.

جاء ليقول: «ولا يتوقف صلاح المسلمين في دنياهم على ذلك النوع من الحكومة التي يسميها الفقهاء خلافة، فلسنا في حاجة إلى تلك الخلافة

---

(١) انظر: هذا الكتاب، الطبعة الثالثة / مطبعة مصر/ ١٩٢٥.
وتعليقاً وتحليلاً له: في الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د. محمد البهي (ص ٢٠٦ ـ ٢٢٧)، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين (جـ ٢/ ٨٣ ـ ٨٤)، والإسلام والخلافة د. ضياء الدين الريس، منشورات العصر الحديث / ط أولى/ ١٩٧٣ م.

لأمور ديننا ولا أمور دنيانا، ولو شئت لقلنا أكبر من ذلك، فإنما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الإسلام وعلى المسلمين، وينبوع شر وفساد»[1].

ثم قال إنها: «خطط دنيوية صرفة لا شأن للدين بها، فهو لم يعارضها ولم ينكرها، ولا أمر بها ولا نهى عنها، وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة، ومع كل ما جرى من أحاديث النبي ﷺ من ذكر الإمامة والخلافة والبيعة.. لا يدل على شيء أكبر مما دل عليه المسيح حينما ذكر بعض الأحكام الشرعية عن حكومة قيصر»[2].

● هكذا فعلي عبد الرازق اتخذ الطابع الذي عرفت به المسيحية بين أتباعها أساساً في تقدير الإسلام كدين، وعندما كان يصطدم مع نصوص القرآن والسنة، يبدأ بالتأويل المتكلف ويخلص إلى أن الإسلام «دين فقط».

ويرى أن ما جرى زمن الرسول ﷺ من مظاهر الحكم، إنما هو من قبيل «الزعامة النبوية» على عهده[3].

ثم يقول في كتابه: «فولاية الرسول ﷺ على قومه: ولاية روحية منشؤها إيمان القلب، وخضوعه خضوعاً صادقاً تاماً، يتبعه خضوع الجسم، وولاية الحاكم: ولاية مادية، تعتمد إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلب اتصال.

تلك ولاية هداية إلى الله وإرشاد إليه، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض. تلك للدين.. وهذه للدنيا.. تلك لله.. وهذه للناس.. تلك زعامة دينية وهذه زعامة سياسية، وما أبعد ما بين السياسة والدين»[4].

---

(١)(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين ج ٢/ ص ٨٣ ـ ٨٤/ .

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: (ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٤) الإسلام وأصول الحكم: علي عبد الرازق (ص ٦٩).

● ويقول أيضاً، وهو يقيس الإسلام على المسيحية:

«ولقد كان عيسى بن مريم عليه السلام رسول الدعوة المسيحية وزعيم المسيحيين، وكان مع هذا يدعو إلى الإذعان لقيصر ويؤمن بسلطانه، وهو الذي أرسل بين أتباعه تلك الكلمة البالغة: أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»[1].

ويقول مؤكداً ما سبق:

«لم يبق أمامك - بعد الذي سبق - إلا مذهب واحد، ذلك أن محمداً ﷺ ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية، خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة، وإنه ﷺ لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم «سياسة» من هذه الكلمة ومرادفاتها... ما كان إلا رسولاً كإخوانه الخالدين من الرسل، وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة، ولا داعياً إلى ملك»[2].

● ولكن أين يذهب الشيخ الأزهري؟! بآيات القرآن الكثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[المائدة: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥].

فكتاب الإسلام وأصول الحكم، استمد تحديده للإسلام (كدين) من فكرة الفصل بين الكنيسة والدولة في الغرب دون أن يستشير في هذا التحديد مصدره الأول، وهو «القرآن»!!.

● ولعل كتاب «**الخلافة**» للمستشرق الإنجليزي، «توماس أرنولد»[3] والذي كتبه عقب الثورة الكمالية في تركيا، لهدم الخلافة وإبعاد الإسلام عن

---

(١)(٢) المرجع السابق: (ص ٤٩) و(ص ٥٥).

(٣) طبع أكسفورد / ١٩٢٤ م.

مجالات الحياة العامة في تركيا، لعله من المصادر الموجهة للكتاب الذي نحن بصدده، عند تحديد طبيعة الإسلام كدين لا دولة[١].

- وتعتبر فكرة الزعامة النبوية تعبيراً مستحدثاً في اللغة العربية، إلا أنه جاء بديلاً عن تعبير آخر هو «صاحب الحكومة الدينية» الذي يردده المستشرقون في وصفهم للرسول ﷺ!!.

ويقول: «تلك زعامة كانت لمحمد بن عبد الله، فهي ليست لشخصه ولا لنسبه، ولكن لأنه رسول الله.. فإذا ما لحق عليه السلام بالملأ الأعلى، لم يكن لأحد أن يقوم من بعده ذلك المقام الديني»[٢].

وجاءت هذه الفكرة ترديداً لآراء المستشرق الإنجليزي (جيوم) في كتابه (الإسلام) الذي يقول فيه: «كل مسلم يعلم أن كثيراً من القرآن جاء للوجود، كي يلتقي مع بعض أزمات معينة أو لأحوال مؤقتة في حياة محمد ﷺ!!.

لكن من هو الذي يعلم أن الواجبات والمحرمات والمكروهات التي جاءت في الإسلام، مقصود أن تساس بها حياة الملايين «بعده»، كي تظل تعيش في أوضاع لا تتصور، وهي أوضاع القرن السابع الميلادي»[٣].

● كما أن الجهاد في نظر علي عبد الرازق هو «الجهاد لتثبيت السلطان وتوسيع الملك.. وليس لمجرد الدعوة إلى الدين ولا لحمل الناس على الإيمان بالله ورسوله»[٤].

● **وأخيراً لا بد من طرح الأسئلة التالية**: لمصلحة مَنْ كان إصدار هذا الكتاب من شيخ أزهري؟! وفي هذه الفترة بالذات؟ ومَنْ كان وراء هذا المولود الهجين؟!؟.

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث: د. محمد البهي (ص ٢١٦).

(٢) الإسلام وأصول الحكم: (ص ٨٧).

(٣) الإسلام: للمستشرق (جيوم) (ص ٧٣) نقلاً عن الفكر الإسلامي الحديث: د. محمد البهي.

(٤) الإسلام وأصول الحكم: ص ٥٢.

● لعل الدكتور ضياء الدين الريس يلقي الضوء في الإجابة على ما سبق في كتابه: **الإسلام والخلافة**.

يشير الكاتب إلى أن أفراد أسرة عبد الرازق موغلون في أوحال السياسة المساندة للإنجليز.

● ويؤكد الدكتور الريس: أن كتاب الإسلام وأصول الحكم ليس من وضع علي عبد الرازق، وإنما هو من تأليف المستشرق اليهودي «مرجليوث» المقيم في لندن، وأنه أهداه إلى الشيخ علي عبد الرازق، عندما كان في لندن إبان دراسته هناك عام (١٩١٢ ـ ١٩١٤)، وبعد عودته بسبب قيام الحرب العالمية، قام «عبد الرازق» بعمل المقدمة وإدخال بعض الآيات والأشعار، وعدّل لغته بعض الشيء[١].

● إذا عرف السبب بطل العجب، أسرة عريقة في خدمة المستعمر، والشيخ ما هو إلا من غزية، إن غوت غوى، ولم يحاول الثانية في سلوك سبيل الرشاد*.

ـ وقد أنكر إجماع الصحابة على وجوب الإمامة، وزعم أن حكومة الخلفاء الراشدين كانت حكومة لا دينية.

● وتأتي خطورة الكتاب ـ إضافة إلى ما سبق ـ أنه جاء مصرحاً بالدعوة إلى فصل الدين عن الحياة لأول مرة في تاريخ التشريع الإسلامي.

وأن آراء الشيخ في هذا الكتاب، اتخذها العصرانيون الجدد، من رجال الفكر المستنير؟!! قدوة لهم، وجسراً ينادون من فوقه إلى علمنة التشريع في الإسلام، وإلغاء فكرة الخلافة، وشن الحرب عليها بلا هوادة[٢].

---

(١) انظر: الإسلام والخلافة، ضياء الدين الريس (ص ١٦٦ ـ ١٨٥) وجيل العمالقة: أنور الجندي (ص ٩٦) واتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر (ص ٥٦٥ ـ ٥٩٥).

(*) فهو لم يبلغ شأن أهل الجاهلية. قال شاعرهم:

وما أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزيةُ أرشد

(٢) مما سنفصله في الفصل القادم [ص ١٤٩ من هذا الكتاب].

الفصل الثالث

منهج دعاة التغريب في مجالات الأدب والثقافة

● **التشكيك في القرآن الكريم:**

زكي مبارك ـ محمد أحمد خلف الله ـ طه حسين.

● **التشكيك في السيرة النبوية:**

محمد حسنين هيكل ـ طه حسين.

● **عميد المنهج التغريبي:**

الدكتور طه حسين وأخطر كتبه في ذلك:

- مستقبل الثقافة في مصر.
- في الأدب الجاهلي.

● **طه حسين في أحضان الاستشراق.**



الفصل الثالث

منهج دعاة التغريب في مجالات الأدب والثقافة

ظهر جيل من الأدباء في هذه المرحلة قد تنكر لمسلمات الإسلام وصار يردد أقوال الحاقدين من المستشرقين، وكان بعضهم امتداداً للمدرسة الإصلاحية في بعض غلوها وشططها.

«وقد اختلفت درجات التشكيك من أديب لآخر، فمن زاعم أنّ الرسالة أمر يمكن اكتسابها بالتضحية.. ومن متهم أصدق البشر محمداً ﷺ بصياغة القرآن وابتكار ألفاظه، ومن مدع أن الكتب الدينية بما فيها القرآن متناقضة.. مما جعل بعضهم ينظر إلى أخبار القرآن ومعجزاته نظرة الشك والريب.. ومنهم من ارتاب في الجزء المكي من القرآن...»[1].

لقد كان ذلك أدب ردة في معظم ما جاء به أمثال: طه حسين، وزكي مبارك، وتوفيق الحكيم، ومحمد أحمد خلف الله.

«وينحصر الحل في نظر بعضهم في هدم القيم الماضية، وابتكار قيم تلائم الحياة العصرية الجديدة.. ويرى آخرون أنّ الحل يكمن في الأخذ بالمدنية الغربية حلوها ومرها...»[2]. وكان ذلك باسم التجديد والتطور والمدنية.

- **ومن الذين حملوا رسالة التشكيك في القرآن الكريم[3]:**

الدكتور زكي مبارك في كتابه «النثر الفني في القرن الرابع الهجري»،

---

(١)(٢) القرآنيون: خادم حسين إلهي بخش (ص ١١٩ ـ ١٢٠).

(٣) انظر المرجع السابق: (ص ١٢٣ ـ ١٣٨).

وقد تضمن بحثه الدعوة إلى نقد القرآن، وإنكار إعجازه، بل وصلت به الحماقة والجهل والردّة إلى أن يقول: «والقرآن نثر جاهلي، والسجع فيه يجري على طريقة الجاهلية حين يخاطب القلب والوجدان، ولا ينكر متعنت أن القرآن وضَعَ للصلوات والدعوات ومواقف الخوف والرجاء سوراً مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنيين»[1].

وانظر قوله مخاطباً الرسول ﷺ: «وأين الرجل الذي يدين نفسه بنفسه، كما صنعت أنت حين رويت القرآن، أو حين أنشأت القرآن؟»[2].

● وممن تصدوا لكتاب الله تعالى تشويهاً وتشكيكاً وتأويلاً فاسداً: **محمد أحمد خلف الله** في رسالته: **«الفن القصصي في القرآن الكريم»**. قدمها أطروحة دكتوراة، عام ١٩٢٧ م، إشراف أمين الخولي، قال فيها: «القرآن الكريم يتقول على اليهود، ويتقول أموراً لن تحدث، ويقرر أمراً خرافياً أو أسطورياً، ثم يعود فيقرر نقيضه، ويزيد وينقص بحكم الحرية الفنية»[3].

«ويرى أن القصة القرآنية، هي من باب التمثيل وهو ضرب من فنون البيان العربي، يعتمد على الواقع وعلى العرف والخيال. فلا يلزم في الأشخاص أن يكونوا وجدوا، ولا في الحوار أن يكون قد صدر، وإنما يكتفى... بالفرض والخيال».

«ويرى أن فيها اللون الأسطوري... إذ المقصود حقاً هو ما في القصة من توجيهات دينية أو خلقية[4].

---

(١) مجلة منار الإسلام: (ص ٨٠) وما بعدها، من مقال بعنوان «مؤلفات في الميزان» الأستاذ محمد أحمد الغمراوي.

(٢) مجلة الرسالة: (جـ ٧/ ٥٠٩).

(٣) مجلة منار الإسلام: عدد شعبان / ١٤٠٤ (ص ٧٥).

(٤) الفن القصصي في القرآن: الطبعة الرابعة المعدلة / ١٩٧٢ م/ مكتبة أنجلو المصرية بالقاهرة (ص ١٥٣، ١٧١).

ولذلك أطلقت صحيفة الفتح لقب شيخ الملاحدة على أحمد لطفي السيد، مدير الجامعة المصرية، الذي كان يحتضن هذه الاعتداءات على كتاب الله[1].

وقد كتب الشيخ محمود شلتوت تقريراً عن هذه الرسالة استجابة لطلب وزير المعارف آنذاك «فإذا بالتقرير يدمغها بالكفر والجهل والفساد، وأنها غارقة في تكذيب القرآن الكريم، وختم الشيخ تقريره بأن تطهر الجامعة من هذه الرسالة التي تنافي الحرية العلمية، وتنتهي إلى الفوضى وتهدم الأصول الإسلامية في مصر المسلمة»[2].

● **وكان عميد التغريب آنذاك هو الدكتور طه حسين:**

فكأنه نذر حياته للجانب الهدام في الإسلام، فها هو يقول وهو يملي على طلابه: «إن في القرآن أسلوبين مختلفين كل الاختلاف، أحدهما جاف وهو مستمد من البيئة المكية، ففي هذا الأسلوب تهديد ووعيد وزجر وعنف.. وقسوة وغضب وسباب «تبت يدا أبي لهب...» وغير ذلك من الآيات التي تمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة (اللهم غفرانك). فلما هاجر النبي إلى المدينة تغير الأسلوب بحكم البيئة أيضاً، فقد كان في المدينة طوائف من اليهود، وبينهم التوراة، فأصبح ذلك الأسلوب ليناً وديعاً مسالماً، تلوح عليه أمارات الثقافة والاستنارة»[3].

ما أدري؟! لماذا تغلغلت عقائد اليهود والنصارى ـ على انحرافها ـ في قلب عميد التغريب إلى هذا الحد؟! أهذا هو المنهج العلمي في التجديد؟! أم قوله بأن للقرآن مصادر بشرية: «وليس يعنيني أن يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية بن أبي الصلت أو لا يكون»[4].

---

(١) الفتح جـ ٢ /٦٢٨/.

(٢) منار الإسلام: (ص ٧٥ ـ ٧٦)، عدد شعبان / ١٤٠٤ هـ.

(٣) صحيفة الفتح: جـ ٦/ ٦٤٦.

(٤) في الأدب الجاهلي: طه حسين، وتحت راية القرآن: ص ١٥٠.

وكان طه حسين يثير في طلاب الأدب العربي حاسة نقد القرآن ويحرضهم على تسجيل رأيهم فيه، حسب معايير العلوم البشرية فيقول: «ليس القرآن إلا كتاباً ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها، والعلم يحتم عليكم، أن تصرفوا النظر عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتاباً عادياً، فتقولوا فيه كلمتكم، ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب، ويبين ما يأخذه عليه من الوجهات اللفظية والمعنوية والتفكيرية»[1].

ـ فوصف القرآن بأنه قول بشر ليس وليد الساعة وإنما يعود تاريخه إلى اتهامات المشركين في مكة.

فقد حكى القرآن على لسان أحد المشركين قوله: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ (المدثر: ٢٢ ـ ٢٩).

وحاول مسيلمة أن يقلد القرآن، فجاء بجمل مسجوعة كانت مثاراً للسخرية، حتى سمي «الكذاب».

«ومن الخزي وعدم التوفيق أن يدعو مسلم إلى نقد القرآن، أو يزعم أن للبيئة دخلاً في تكوينه، أو أن للمعيشة والظروف يداً في التهيئة النفسية لابتكار القرآن..»[2].

لكن ماذا نقول: لمن فقدوا إحساس العربي (الأصيل) وذوقه، ولمن هانت عليهم نفوسهم، فتقربوا إلى المستشرقين والمنصرين يرددون أقوالهم وترهاتهم[3].

---

(١) مجلة الفتح: ٦/٦٤٦.

(٢) القرآنيون: (ص ١٣٧).

(٣) وسوف يرد معنا حكم من أنكر شيئاً من القرآن: الباب الرابع بعنوان «المدرسة العصرانية في الميزان» (ص ٣٨٧).

● **وفي السيرة النبوية**: ردد بعض الكتاب آراء المستشرقين وركبوا الموجة الإسلامية آنذاك، حتى لا تفوتهم سوق البضاعة الرائجة بين الناس.

ـ **فقد أخرج محمد حسين هيكل** كتابه «حياة محمد»، بعدما أترع شرباً من ثقافة الغرب ومفاهيمه، ثم جاء يكتب عن الإسلام ونبي الإسلام.. وزعم أنه يجري في بحثه هذا على الطريقة العلمية الحديثة، ومن ثم بدأ يشكك في الحديث وكتبه[1].

قال هيكل يصف منهجه: «إنها دراسة علمية على الطريقة الغربية طريقة (!!) خالصة لوجه الحق، ولوجه الحق وحده».

وأخذ يعدد كتب المستشرقين التي عاونته في الاهتداء إلى غاية يطمئن إليها، على حد قوله، فذكر من أهمها:

ـ حياة محمد: للمستشرق (وليم موير)، وقد جاراه في تسمية الكتاب.

ـ وكتاب الإسلام: للأب لامنس.

وحاول أن يجعل من سيرة الرسول حياة عادية كحياة أي بطل أو زعيم.. ثم حاول أن ينكر الأحاديث الصحيحة في معجزاته ﷺ[2] على طريقة تلاميذ المدرسة الإصلاحية.

ـ وممن ركب الموجة الإسلامية: الأستاذ عباس محمود العقاد عندما كتب عبقرياته، حتى وصل إلى «عبقرية محمد» الذي مال به إلى الجانب الإنساني.

وكذلك فعل: طه حسين في كتبه عن السيرة: فكتابه «على هامش السيرة» كان متأثراً فيه بـ «جيرودو، وبلوت، ومولبير..» ومقلداً لهم في إحياء الأدب القديم، شأن آداب اليونان واللاتين في أساطيرهم.

---

(١) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر بمصر: (ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨).

(٢) دراسات في السيرة: محمد سرور زين العابدين (ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

وكتابه الشيخان: نجد فيه الكثير من التشكيك بالتاريخ الإسلامي، والولوغ في أعراض الصحابة.

أما كتاب **الفتنة الكبرى**: فقد زعم فيه أن الخلافة تجربة فاشلة، انتهت بوفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت كتبه عموماً مملوءة بشتم بني أمية سواء كانوا من الصحابة أو من التابعين، وقد فاق بذلك غلاة الرافضة، أو الشعوبيين الحاقدين[1].

أما كتبه الأخرى: مستقبل الثقافة في مصر، وفي الأدب الجاهلي، فسوف نخصها ببحث مستقل لخطورتها، ومدى دلالتها على منطلقات تلك المرحلة عند طه حسين وأمثاله.

حقاً «لقد كان التجديد منذ بداية القرن العشرين يعني محاولة أخذ الطابع الغربي، والأسلوب الغربي في تفكير الغربيين سواء في تعبيرهم عن الدين، أو في تحديدهم لمفاهيمه ومفاهيم الحياة التي يعيشونها»[2].

---

(١) انظر: تفصيلاً لذلك: دراسات في السيرة (ص ٢٢٨ ـ ٢٦٠) محمد سرور زين العابدين.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: (ص ١٥٧).

عميد المنهج التغريبي: الدكتور طه حسين

«إن طه حسين لم يكن في الحقيقة إلا بوقاً من أبواق الغرب، وواحداً من عملائه الذين أقامهم لخدمة مصالحه، وتنفيذ مخططاته، وترويج حضارته وثقافته، ليدفع المسلمين إلى الخضوع له»[1].

● ولعل أخطر كتب طه حسين هو كتاب: **مستقبل الثقافة في مصر**. الذي ظهر عام (١٩٣٨ م)، ويتلخص في الدعوة إلى حمل مصر على الحضارة الغربية وطبعها بها، وقطع ما يربطها بقديمها وإسلامها. والدعوة إلى إقامة الوطنية وشؤون الحكم على أساس مدني، لا دخل للدين بها.

وإلى إخضاع اللغة العربية لسنة التطور ودفعها لأن تصبح لغة دينية فقط، كالسريانية واللاتينية. وكان يرى أن العرب قرم مستعمرون كالفرس والرومان، وأن اللغة العربية عسيرة، لأن نحوها ما زال قديماً عسيراً، وكتابتها كذلك[2].

ومن أجل ذلك يرى العميد: أن تعليم اللغتين اللاتينية واليونانية في التعليم الثانوي قبل العالي ضروري، لأن لغتنا العربية لا تزال بعيدة كل البعد عن أن تنهض بحاجات الثقافة الحديثة والتعليم الحديث.

ويقول: «إن التعليم العالي الصحيح لا يستقيم في بلد من البلدان الراقية، إلا إذا اعتمد على اللاتينية واليونانية، على أنهما من الوسائل التي

---

(١) ظلام من الغرب: الشيخ محمد الغزالي، ص ٢٣١، القاهرة ـ دار الكتاب العربي / ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م.

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٢/٢٢٩.

لا يمكن إهمالها ولا الاستغناء عنها، فدرس اللاتينية واليونانية في الجامعة لا يغني عن درسها في المدارس العامة»[1].

و «الجامعة تمثل العقل العلمي ومناهج البحث الحديثة، وتتصل اتصالاً مستمراً بالحياة العلمية الأوروبية، وتسعى إلى إقرار مناهج التفكير الحديث شيئاً فشيئاً في هذا البلد»[2].

والكتاب دعوة صارخة إلى انسلاخ مصر عن عروبتها وإسلامها:

فهو يقول موضحاً منهجه في التجديد: «ولكن السبيل إلى ذلك واحدة.. وهي أن نسير سير الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة: خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها، وما يعاب...»[3].

هكذا تكون كرامة المواطن.. عند العميد، ولو دخلوا جحر ضب لدخله مفتخراً معتزاً.

ويستمر الكاتب في غلوه وانحرافه فيقول: «إن العقل المصري منذ عصوره الأولى، عقل إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر المتوسط، وإن تبادل المنافع على اختلافها، فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط»[4].

ولم يكتف بذلك بل يعتبر أن المسلمين كانوا غزاة فاتحين وأن شعب مصر كان ساخطاً طوال هذا الاحتلال. فهو يقول: «والتاريخ يحدثنا كذلك، بأن رضا مصر عن السلطان العربي بعد الفتح، لم يبرأ من السخط، ولم يخلص من المقاومة والثورة، وبأن مصر لم تهدأ ولم تطمئن إلا حين أخذت تسترد شخصيتها التي قامت بعده..»[5]. أي بعد تمردها على

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر: طه حسين، مطبعة المعارف ١٩٣٨ م، ج ٢/ ٣٩.

(٢) المرجع السابق: ج ٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٣.

(٣) السابق: ص ٤٥/ ج ١.

(٤)(٥) مستقبل الثقافة في مصر: ج ١/ص ١٠ ـ ١١، ج ١/ص ١٧ و١٨ وانظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البهي (ص ١٦٢ وما بعدها).

الخلافة العباسية. . . وعودتها إلى هويتها الفرعونية، وانسجامها وتهاونها مع أصحاب العقلية اليونانية وعقلية البحر الأبيض المتوسط.

● فمصر إذن غربية ـ بنظر طه حسين ـ وليست عربية. يقول مؤكداً: «ولو أنّ الله عصمنا من الفتح العثماني، لاستمر اتصالنا بأوروبا، ولشاركناها في نهضتها. . . ولتغير وجه العالم»[1].

«نريد أن نتصل بأوروبا اتصالاً يزداد قوة من يوم إلى يوم، حتى نصبح جزءاً منها، لفظاً ومعنى، حقيقة وشكلاً»[2].

● **كتاب في الأدب الجاهلي**[3]: للدكتور طه حسين.

كان الرافعي يرى أن طه حسين أداة أوروبية استعمارية، غرضه توهين عرى الإسلام، ويسميه المبشر «طه حسين» و «المستر حسين» ويأخذ عليه أنه لم يصلِّ على النبيّ مرة واحدة في كتاب «في الشعر الجاهلي» ولو بحرف (ص) كما يفعل نصارى العرب، ويشير إلى دور زوجته في حياته وتأثيرها عليه، ويتهمه بالزندقة والإلحاد[4].

ولقد سبقه المستشرق اليهودي «مرجليوث» إلى هذا الموضوع الذي أنكر فيه صحة الشعر الجاهلي، في بحث نشره في مجلة الجمعية الآسيوية عام (١٩٢٤ م)، أي قبل عام من بدء (طه حسين) بمحاضراته على طلاب الجامعة.

ونشر المستشرقون الألمان (عام ١٨٨٠ م) كتاباً اسمه: «الشعر العربي قبل الإسلام» وطبع الكتاب في باريس حيث كان يدرس الدكتور طه

---

(١)(٢) مستقبل الثقافة في مصر: طبعة دار المعارف / ١٩٤٤ م (ص ٣٨، ٣٤).

(٣) انظر: معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين، د. إبراهيم عوض/ مطبعة الفجر الجديد ـ مصر / ١٩٨٧ م.

(٤) انظر: تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة ـ القاهرة / ١٩٥٣ م، (ص ٢٠٠ ـ ٣٧٣).

حسين، فلا بد أن يكون قد اطلع عليه. وقد أنكر آيات تتعلق ببناء الكعبة من قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام[1].

فقال: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة... ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والتوراة والقرآن من جهة أخرى».

ثم يقول: «وإذن فليس ما يمنع قريشاً من أن تتقبل هذه (الأسطورة) التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم».

ويريد أن يعلم قراءه الموضوعية كما تعلمها من أسياده فيقول: «يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه، أن ننسى قوميتنا، وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به»[2].

هكذا تكون موضوعية العلم أن ننسى ديننا وكل ما يتصل به، مع مساواة القرآن بالأساطير والتاريخ، انظر إلى قوله: «وإننا نستطيع أن نتصور العصر الجاهلي القريب من الإسلام، بشرط ألا نعتمد على الشعر، وإنما على القرآن من ناحية، والتاريخ والأساطير من ناحية أخرى»[3].

وقد أثار هذا الكتاب ضجة كبيرة، وحوكم صاحب الكتاب (في

---

(١) دراسات في السيرة النبوية: محمد سرور بن نايف زين العابدين (ص ٢٢٥ وما بعدها) ومعركة الشعر الجاهلي (ص ٥٦ ـ ٦٣).
(٢) انظر: كتابه في الشعر الجاهلي، مطبعة دار الكتب /١٩٢٦ م (ص ٢٩ وصفحات أخرى)، وتحت راية القرآن / ص ١٤٥ ـ ١٤٦/.
(٣) الشعر الجاهلي (ص ١٢).
(٤) دراسات في السيرة: محمد سرور زين العابدين (ص ٢٢٥).

مجلس البرلمان) في ١٣/سبتمبر/١٩٢٦ م، ومن ثم فقد صدر الحكم بمصادرة وإتلاف كتاب «في الشعر الجاهلي» لتكذيبه القرآن وتكليف النيابة العمومية برفع دعوى على طه حسين لطعنه في الدين الإسلامي، وإلغاء وظيفته في الجامعة[(١)].

وكان الأزهر قد شكل لجنة من كبار علمائه لدراسة كتاب «الشعر الجاهلي» ورفعت تقريراً لشيخ الأزهر قالت فيه: «إن الكتاب مملوء بروح الإلحاد والزندقة، وهو دعامة من دعائم الكفر ومعول لهدم الأديان..».

وكتب (الشيخ عبد ربه مفتاح) أحد أعضاء اللجنة مقالاً، نشرته صحيفة «الكوكب» جاء فيه:

«وكيف تزعم أيها الدكتور أن بعض العلماء أثار هذا الأمر ـ أمر كفرك ـ وها أنا ذا أصرح لك بأن العلماء أجمعين يحكمون عليك بالكفر، وبالكفر الصريح الذي لا تأويل فيه، ولا تجوز، وأتحداك... أن تدلني على واحد منهم، وواحد فقط يحكم عليك بالفسوق والعصيان»[(٢)].

إلا أن قوى الاستعمار والماسونية، تحركت لحماية العميل فأعيد إلى عمله، ومن ثم رُفّع ليصبح مديراً للجامعة، ثم وزيراً للمعارف، وكل شيء له ثمن.

وكل ما فعله الدكتور أنه غير اسم كتابه: إلى (في الأدب الجاهلي) مع إضافة صفحات معدودة (آخر الكتاب) عن النثر الجاهلي.

«والدكتور طه حسين يحكي رأي المستشرقين في هذا الجانب، رأيهم

---

(١) يمكنك أن ترى تفصيلاً للمحاكمة في الصفحات التالية لصحيفة الفتح (جـ ٦/ ص ٦٤٤، ٦٤٧، ٦٥٠، ٦٥٣).

(٢) انظر: دراسات في السيرة النبوية ص ١٥٠، ونص تقرير اللجنة نقلاً عن الفتح (جـ ٦/ ٦٥١).

الذي تنوعت أساليبهم في عرضه، والذي يعد هدفاً سياسياً في بحوثهم منذ أن نشأ الاستشراق، وفيه ترديد لأقوال (جيب) الذي يرى أن القرآن أخذ من الوثنية العربية ومن المسيحية العربية واليهودية العربية. وهذا يؤكد أنّ (التجديد) عند طه حسين هو أخذ أعمى عن الغرب وفي كل شيء»[1][*].

(1) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث: د. محمد البهي (ص ١٧٧ ـ ١٩٥).

(*) وقد رد على مزاعم طه حسين في كتابه هذا عدد من الأدباء وبينوا أنه مسروق من المستشرقين، وأوضحوا الانحراف والتضليل، وألفت كتب ومقالات من أهمها: ما كتبه الرافعي/ تحت راية القرآن، ومحمد أحمد الغمراوي: النقد التحليلي للكتاب، وآخرون.

طه حسين في أحضان الاستشراق

من الحقائق التي يتهم الرافعي فيها (طه حسين): أنه أداة استعمارية[1].

وهي مستمدة مما كتبه الدكتور طه حسين نفسه في كتابه «الأيام» ومما كتبته زوجته في كتابه «معك». عن تلك العلاقة الحميمة بالأساتذة الأجانب إلى حد مذهل، حتى أنهم كانوا يجتمعون في بيته كل أسبوع مرة، وذلك يوم الأحد؟!! كما أنه هو الذي استقدم (كازانوفا) للتدريس في الجامعة، والذي كان مشرفاً على رسالته في باريس، وهو صاحب كتاب «محمد وانتهاء العالم في عقيدة الإسلام الأصلية»، وفيه يتهم الرسول بتلفيق القرآن، ويتهم أصحابه بالعبث في نصوصه[2].

أما مرجليوث فهو الصديق الحميم، الذي نزل طه حسين وأسرته ضيوفاً عليه، عندما ذهب إلى أكسفورد لحضور مؤتمر المستشرقين هناك/ ١٩٢٨م[3].

ويعتبر مرجليوث من أشد المستشرقين بغضاً للإسلام وكتابه ونبيّه، إضافة إلى أحقاده اليهودية[4].

أما الاستعمار الفرنسي فتربط (الدكتور طه) به، صلات رحم وولاء،

---

(١) ينظر: معركة الشعر الجاهلي: د. إبراهيم عوض (ص ٣٢ ـ ٣٥).

(٢) ينظر: تحت راية القرآن ص ٢٧٥، و«معك» ص ٧٦، والأيام جـ ١٢١/٣.

(٣) معك: (ص ٩١).

(٤) ينظر: كتابه: «محمد وظهور الإسلام».

فقد كان شديد الصلة بالمستشرق «ماسينيون» وهو من أعمدة الاستعمار الفرنسي آنذاك. ومن ولائه وفتنته بفرنسا كان يقول: «كل شيء في فرنسا يعجبني ويرضيني: خير فرنسا وشرها، حلو فرنسا ومرها، نعيم فرنسا وبؤسها، كل ذلك يروقني ويلذني وتطمئن نفسي إليه اطمئناناً غريباً، إني لأحس نفسي تسبق القطار إلى باريس على سرعة القطار».

وكان طه حسين قد خف لاستقبال «الجنرال ديجول» حين مجيئه إلى القاهرة في أبريل/عام ١٩٤١ م/[١].

ومن أصدقائه الخلص المستشرق «بلاشير» وهو معروف بعبثه بآيات القرآن الكريم في أبحاثه تقديماً وتأخيراً[٢].

● **أما ارتماء طه حسين في أحضان الاستشراق:** فنجده في أكثر ما كتب عن الرجل. يقول الأستاذ أنور الجندي: «يكاد طه حسين في كل أعماله الكبرى أن يكون خاضعاً للاستشراق ومتأثراً به، تابعاً له، متحدثاً عن فضله على الأدب العربي، والفكر الإسلامي.. فقد أخذ نظرية الشعر الجاهلي من مرجليوث، ورأيه في كتابه «مع المتنبي» أخذه من «تين»، وبحثه عن ابن خلدون أخذه من «دوركايم». ومن ثم تابع «كازانوفا» في مفهومه للقرآن الكريم وتفسيره له، وكان يرى أنه من عند محمد وليس من عند الله...

وقد صور علاقته مع المستشرق (كازانوفا) الذي علمه تفسير القرآن بقوله: «عرفته أستاذاً في (الكولج دي فرانس) ولم أكد أسمع له حتى أعجبت به إعجاباً لم أعرف له حداً، فلم أكد أجلس إليه حتى تغير رأيي، وقل حتى ذهب رأيي كله، وما هي إلا دروس سمعتها منه، حتى استيقنت

---

(١) ينظر: كتاب «معك»: سوزان طه حسين، (ص ١٣٩، ٢٥٦) ط دار المعارف / عام /١٩٧٩.

(٢) انظر: قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها: د. محمد عبد القادر هنادي / ص ٢٧٧ ـ ٢٨٢/.

أن الرجل كان أقدر على فهم القرآن، وأمهر في تفسيره من هؤلاء الذين يحتكرون علم القرآن، ويرون أنهم خزنته وسدنته، وأصحاب الحق في تأويله»[1].

هكذا يرى طه حسين، أن هذا الصليبي المتعصب، كان يفهم كتاب الله تعالىٰ فهماً لا يكاد يفهمه العلماء المسلمون سلفاً أو خلفاً.

● وعن صلة طه حسين **بالقوى اليهودية العالمية** يقول الدكتور سعدي الهاشمي: «إن طه حسين هو الذي تبنى إصدار قرار بتعيين الحاخام اليهودي «حاييم ناحوم» عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة، ليكون عيناً على المفكرين ورجال اللغة، كما أنه عيّن عدداً من الأساتذة الأجانب في كلية الآداب استوردهم، وبعضهم يهودي، وكلهم كانوا يحاربون الإسلام ويشككون فيه، وأول دكتوراة منحتها كلية الآداب في جامعة القاهرة كانت بعنوان «القبائل اليهودية في البلاد العربية»، تقدم بها «إسرائيل ولفنسون»»[2].

● **وقد كشفت لنا الدراسات حقيقة طه حسين بعد وفاته.**

من ذلك ما أشار إليه (فريد شحاته) وهو كاتب طه حسين، وقد كان موضع أسراره العشرات من السنين، وكان لصيقاً بقلب طه حسين، وكان نصرانياً، كتب مقالاً جاء فيه: «**إن طه حسين قد تعمّد لاعتناق النصرانية في شبابه عند زواجه من زوجته الفرنسية، وكان ذلك في كنيسة إحدى القرى الفرنسية**»[3].

وعلى الرغم من أن زوجة (طه حسين) لم تترك شيئاً في حياة زوجها إلا ذكرته في كتابها الذي وضعته بعد وفاته عن حياتها معه بعنوان: «معك:

---

(١) طه حسين في ميزان العلماء والأدباء: محمود مهدي استانبولي (ص ٣٨٥ ـ ٣٨٨).

(٢) المرجع السابق: (ص ٣٩٣).

(٣) انظر مجلة الثقافة / العدد ٧٤/ ١٩٧٩ م (ص ٤)، من مقال لأحمد حسين، ومعركة الشعر الجاهلي ص ٢٧.

سوزان طه حسين»، إلا أنها لم تذكر هذا الخبر باعتباره شرطاً من شروط زواجها منه، وكان عمها (القسيس الكاثوليكي) هو الذي شجعها على الزواج منه، هذا الرجل الذي كان طه حسين يقول عنه: «إنه أحب رجل إلى نفسه، وكان يرى فيه مثله الأعلى، ودليله في الحياة»[1].

فهل تعتبر صلات الدكتور طه حسين، صلات نسب وولاء، أم كانت صِلات عقيدة وتنصّر في السر؟! ذلك عند الله، إلاّ أن الرجل كان في عدائه للإسلام أشد من اليهود والنصارى، كما يُلاحظ من مؤلفاته العديدة.

* * *

لقد كان هذا الجيل منذ بداية القرن العشرين، يمثل جيل الهزيمة النفسية أمام الحضارة الغازية، يمثل جيل تلامذة الاستشراق والتنصّر، جيلاً تربى على مناهج الاستعمار وإذلال الأعداء، لقد كانت هذه الفترة من أسوأ مراحل التبعية في تاريخنا الطويل:

سواء في حرب السنة النبوية، أو التشكيك في كتاب الله وآياته، أو التبجح في فصل الدين عن الدولة...

وقد كان هذا الجيل صريحاً في طرح آرائه، رغم صدور الفتاوى بكفر كتب بعضهم، ومحاكمة آخرين ومنع كتبهم فقد كانت الأمة نائمة، والصحوة غائبة.

وسوف يلحق بركب هؤلاء جيل آخر/في النصف الثاني من هذا القرن،/عاش في ظل حكومات وطنية، وكتب بشيء من الحذر، وكثير من التمويه، وطرق نفس موضوعات مَنْ سبقه كما سنرى في الباب القادم.

---

(١) ينظر: معركة الشعر الجاهلي: د. إبراهيم عوض /ص ٢٧ ـ ٣٠ وكتاب معك (ص ١٧) سوزان طه حسين.

الباب الثالث

العصرانيون الجدد

وفيه تمهيد وفصلان:

الفصل الأول: الخصائص العامة لتيار المدرسة العصرانية.

١ ـ **المبحث الأول:** تطوير الدين عند العصرانيين.

٢ ـ **المبحث الثاني:** تقديس العقل وتقديمه على النقل. أي «نصوص الكتاب والسنة».

الفصل الثاني: التجديد العصراني: مزاعم ومنطلقات **وفيه سبعة مباحث:**

١ ـ موقفهم من السنّة النبوية.

٢ ـ مزاعم التجديد في الفقه وأصوله.

٣ ـ فصل الدين عن الدولة.

٤ ـ تزوير التاريخ وتمجيد الشخصيات المنحرفة.

٥ ـ الدعوة إلى وحدة الأديان.

٦ ـ موقفهم من الجهاد في سبيل الله.

٧ ـ ظاهرة اليسار الإسلامي.

تمهيد:

ظهرت عشرات الكتب خلال النصف الثاني من هذا القرن، بعد جلاء المستعمر. . . وكلها يدعو إلى التجديد والتطوير. . .

ولّى المستعمر عسكرياً، وبقيت أفكاره عن طريق عملائه، وطريق دعاة التغريب الذين خلفهم وراءه.

إلاّ أن صحوة إسلامية جادة بدأت تثبت نفسها بعد سقوط الخلافة، ونشأت حركات انبعاث إسلامي يقظة، ترغب في التجديد على هدي من الكتاب والسنّة.

لكنّ خليطاً من القوميين واليساريين، فاجأتهم انتصارات التيار الإسلامي، وغاظهم صدود المجتمعات الإسلامية عن أفكارهم وطروحاتهم، فتجمعوا تحت شعارات ضخمة مثل: الدعوة إلى «الفكر الديني المستنير» و «شعار الاستنارة» وطلعت علينا أسماء ضخمة يحمل كل منهم «لقب المفكر الإسلامي الكبير» أو «المؤرخ الإسلامي الكبير» ونحو ذلك.

وقد ساهم المستعمر وأذنابه من المستشرقين والمنصّرين في تلميع هذه الأسماء، أمام جمهرة المسلمين.

لقد ظهر تيار فكري جديد يمثل جبهة الاتجاهات الفكرية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، رافعاً شعار «التجديد» أو الاستنارة، ويخفي حقيقة دعوته العلمانية عن الأمة. ولاقت دعوتهم إلى جبهة علمانية عريضة نجاحاً وترحيباً عند مختلف قطاعات الفكر المتغرب من أقصى اليمين، إلى أقصى اليسار.

ومن ثم انعقد المؤتمر التأسيسي لجبهة علمانية في الكويت عام (١٩٧٤ م) تحت رعاية جامعة الكويت بعنوان: «أزمة التطور الحضاري في

الوطن العربي» وقد اعتمد هذا المؤتمر خطة الهدم من الداخل، مع تجديد الشعار، حيث سقطت لافتة «اليسار الإسلامي» والقومية العلمانية[1].

والحقيقة إن هؤلاء «العصرانيين» أو أصحاب الفكر الإسلامي المستنير ـ كما يحبون أن يسموا ـ ليسوا سواء في منطلقاتهم وخلفياتهم، وإن التقوا في تقديم العقل على نصوص الكتاب والسنة، وتأثروا بالفكر الوافد الغربي.

● والعصرانيون ليسوا سواء:

● فهناك من يصدر في كتاباته عن نية صريحة في هدم الإسلام، متأثراً بأفكار قومية علمانية، أو يسار شيوعي.

● وهناك من يحاول إثارة الارتباك في أفكار الإسلاميين عن طريق شغلهم باصطلاحات مبتدعة صعبة الضبط ضبابية المعنى.. أو عن طريق قلب مواقف التراث بأفكاره وحركاته، فيجعل المنحرفين والضلال أصحاب عدالة وثورة في حين يجعل علماء الإسلام، أهل جمود ورجعية.. وأكثر العصرانيين في هذه المرحلة من هذا الصنف.

● ومنهم من يصدر في معالجته لقضايا الإسلام عن مصلحة سياسية يعمل من أجلها، فيركب الموجة في إعلان حربه على أصحاب الصحوة الإسلامية.

● ومنهم من يصدر عن حسن نية، محاولة منه في الاجتهاد إلا أنه بقي مشدوداً إلى تصورات المناهج الغربية التي تلقاها خلال دراسته أو ابتعاثه إلى ديار الغرب، أو ما يزال متأثراً بأفكار المعتزلة، أو جمعت هذه كلها في عقليته فوقع في الاضطراب والخلل والتناقض.

---

(١) ينظر: تجديد الفكر الإسلامي: جمال سلطان، نشر دار الوطن ١٤١٢ هـ، (ص ٣٠ ـ ٣٧)، غزو من الداخل: جمال سلطان /دار الوطن للنشر/ ١٤١٢ هـ ص ٥.

وكان من هؤلاء ـ مع الأسف ـ بعض رموز العمل الإسلامي الحديث، ونرجو لهم أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يعوا حقيقة المعركة مع العلمانيين وأبعاد هذا الصراع المغلق..[1].

وعلى كل حال فإننا لن نتعرض إلى رموز هذه الاتجاهات، وكل ما نقصد إليه هو رصد معالم الاتجاه العصراني، وبيان توجهاته، معتمدين على ما سطره كتّاب هذا الاتجاه خلال كتبهم ـ وهي معروضة في الأسواق ـ أو مقالاتهم في الصحف والمجلات.

● فما حقيقة التجديد عند العصرانيين الجدد؟!

لقد زعم أصحاب هذه المدرسة أنهم يريدون التجديد لتنهض الأمّة من كبوتها، ويريدون إعادة كتابة التاريخ العربي والإسلامي، من خلال طرح العديد من الدراسات والأبحاث المتعلقة بالتراث، إلا أنهم عمدوا إلى إحياء وتمجيد الاتجاهات الفكرية المنحرفة، وعرضها في إطار عقلاني تحت مظلة الانتماء إلى التراث الإسلامي.

ثم قاموا بطرح العديد من الشعارات الجديدة، التي تصل بين مفهومهم عن الإسلام والماركسية، أو القومية والاشتراكية؟ أو بين الإسلام والديمقراطية الغربية.. مما يشتت جهود الانطلاقة نحو الإسلام[2].

الحقيقة أن هؤلاء ساروا على خطا من سبقهم من المعتزلة والإصلاحيين، ورددوا آراء المستشرقين، ونسبوا كل ذلك إلى أنفسهم.

● فهم يشيدون بالمعتزلة ورجال المعتزلة، في كل مناسبة، يقول الدكتور محمد عمارة: «لقد أصبح الواقع الفكري للحياة العربية يتطلب فرساناً غير النصوصيين، ويستدعي أسلحة غير النقول والمأثورات للدفاع عن

---

(١) ثقافة الضرار: جمال سلطان، دار الوطن للنشر / ١٤١٣ هـ بتصرف وإيجاز.

(٢) انظر: تجديد الفكر الإسلامي ص ٣٤.

الدين الإسلامي، وعن حضارة العرب والمسلمين» ثم يقول: «ويسلم الكثيرون بأن المعتزلة هم فرسان العقلانية في حضارتنا»[1].

ثم يردد مقولة المعتزلة في تضخيم دور العقل، وتقديمه على نصوص الكتاب والسنّة فيقول: «لقد أحبوا عرض النصوص والمأثورات على العقل، فهو الحكم الذي يميز صحيحها من منحولها، ولا عبرة بالرواة ورجال السند، مهما كانت حالات القداسة التي أحاطهم بها المحدّثون، وإنما العبرة بحكم العقل في هذا المقام»[2].

● ويعتبر الأستاذ فهمي هويدي: أن الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنّة عبادة لهذه النصوص، ويصف أن العقول التي تتعلق بالنصوص قد تعطلت، وأن هذه «وثنية جديدة»، ذلك أنّ الوثنية ليست عبادة الأصنام فقط، ولكن وثنية هذا الزمان صارت تتمثل في عبادة القوالب والرموز، وفي عبادة النصوص والطقوس»؟![3].

لقد تجرأ هؤلاء الكتاب على رفض النصوص الشرعية، واتهام من يرجع إليها بالجمود والوثنية، اللهم لطفك وغفرانك.

● وهم يرددون **آراء الاستشراق والتنصير** في تجديدهم.

● والتجديد الذي دعا إليه «العصرانيون الجدد»، كعبته أوروبا وسدنته رجال التنصير والاستشراق، وهو نوع من تطوير الدين أو عصرنته، على شاكلة دعاة التغريب.

ـ ومن هنا شنوا حملة ضد ثوابت الإسلام وعلومه المعيارية: كأصول الفقه وعلوم الحديث، وأصول التفسير.

---

(١) تيارات الفكر الإسلامي: د. محمد عمارة، طبعة أولى /القاهرة/ ١٩٨٢ م ـ دار الهلال، ودار المستقبل العربي /وط ٣/ ١٩٨٤ م، دار الوحدة /بيروت/ ١٩٨٥ م.

(٢) السابق: (ص ٧٠ ـ ٧١).

(٣) مجلة العدد «٢٣٥» كانون الثاني /١٩٧٨ م.

يقول أحدهم مقارناً تخلف علوم المسلمين، بتقدم علوم الإغريق، ويدعو إلى الانفتاح على حضارة الغرب بلا قيود. انظر إليه إذ يقول:

«وما أبعد إحياء تراث الإغريق في العصور الوسطى عن إحياء تراث سلف المسلمين اليوم، إن علوم الإغريق حين أخذ الأوروبيون يبعثونها كانت شيئاً متقدماً غاية التقدم، بالنسبة لما كان لديهم من علوم كلها خرافات، أما علوم سلف المسلمين اليوم، فهي شيء متخلف غاية التخلف بالنسبة لما لدينا، ولا أقول كما لدى الأوروبيين من هذه العلوم، ومع ذلك فإن الآثار الدينية هذه تتضمن محاولة الرجوع للقهقرى إذا لم تتناول بفهم وذوق يضبطان النقل والرأي في ضوء الفكر العصري»[1].

ويتواضع الدكتور زكي نجيب محمود ليقول: «أستطيع أن ألخص رأيي في ذلك الموقف الواجب من التراث ـ بعبارة واحدة قصيرة ـ وهي أنّ ما نأخذ من تراثنا هو الشكل دون المضمون» إنها لحملة مسعورة ضد تراث هذه الأمة، ضد علوم كانت منارة تهدي التائهين في أوروبا، الذين تعلموا في مدارس المسلمين وجامعاتهم، واستفادوا منها في بناء نهضتهم الحديثة.

● ومن هنا فإن المستشرق جيب يصف تجديد هؤلاء العاقين لدينهم وأمتهم ويحدد خصائص هذا الاتجاه بقوله: «التجديد هو بالدرجة الأولى وجه من أوجه التحرر الغربي. ويمكننا إذن أن ننتظر من هذا الاتجاه لدى المجددين أنه يكون بمثابة تكريس عصري للقيم التحررية والإنسانية...

وقد ساهم نشاط الإرساليات بتعزيز هذا الموقف إلى **حد تحديد نقاط العقيدة أو التطبيق**، الذي يجب أن تتبع بصورة خاصة». ويقول:

«وقد ادعى المبشرون أو تذمروا من أن المصلحين الذين يأخذون أفكارهم وقيمهم من المسيحيين، يبنون بواسطتها إسلاماً جديداً على النمط المسيحي». وفي ذلك يقول ولفرد سميث بحق: «أجل لم يكن القسم الذي

---

(١) نظرات في الدين: عبد اللطيف غزالي، (ص ٨ ـ ٩) نقلاً عن يوسف كمال ص ٢٨.

استقوه «مسيحياً» خالصاً، ولكنهم قد أخذوا كثيراً من **القيم التحررية الإنسانية** والبرجوازية التي يمليها العمل في أوروبا منذ القرن التاسع عشر. وتلك القيم مختصة في الأصل بالمسيحية، كما هي ملتصقة اليوم بالإسلام»[١].

ويشيد محمد عمارة بالطهطاوي ويعتبره: «هو المبشر بالفكر الديمقراطي الليبرالي في ربوع الشرق، وأنجز ترجمة القانون الفرنسي المدني والتجاري.

وقد انتقل الطهطاوي ومدرسته بالأمّة من العصور المظلمة «المملوكية والعثمانية» إلى رحاب عصر النهضة والتنوير»[٢].

● وما تزال محاولات العصرانيين جادة، للملاءمة بين حضارة الغرب، وتعاليم الشريعة الإسلامية، ويزعمون أنهم يريدون التجديد والتطوير، ويعتبرون أن تأخر المسلمين، لا بد أن يعالج على طريقة الغربيين، ولكن تحت مظلة باهتة من مفهومهم عن الإسلام.

● «وينسى هؤلاء أن المسالمة بين حضارتين تختلف مبادئهما وتتناقض أصولهما محال جداً، وأن المدنية الإنسانية، لا تتسع لهذه الشركة بين النقيضين.

وإذا ظن البعض أن هذا التقسيم بينهما من الممكن الميسور فهذا يدل على آفة الرأي وضعف العقل، وإن قبوله والرضا به، يدل على ضعف الإيمان وخور العزيمة»[٣].

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام: جيب (ص ١٠٠) ترجمة هاشم الحسيني / منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت / ١٩٦٦ م.

(٢) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة، الصفحات (٧٦، ٨٢، ١٩٨).

(٣) موجز تجديد الدين وإحيائه: أبو الأعلى المودودي، طبع مؤسسة الرسالة / ١٤٠١ هـ.

وسوف نتحدث في هذا الباب عن:

١ ـ الخصائص العامة لتيار العصرانية، سواء في تطوير الشريعة، أو تقديم العقل على النقل.

٢ ـ مزاعم التجديد عندهم، وتشمل موقفهم من السنة والتشريع وأصول الفقه وميادينه المختلفة.

ودعوتهم إلى وحدة الأديان، وموقفهم من الجهاد في سبيل الله.



الفصل الأول

الخصائص العامة لتيار المدرسة العصرانية

المبحث الأول: تطوير الدين عند العصرانيين.

المبحث الثاني: تقديس العقل وتقديمه على نصوص الكتاب والسنة.



المبحث الأول

حركة تطوير الدين لدى العصرانيين

- تعريف العصرانية.
- العصرانية عند اليهود.
- التجديد العصراني للنصرانية.
- تطوير الدين عند العصرانيين المسلمين في النصف الثاني من هذا القرن.
- وقفة مع دعاة التطور.

المبحث الأول

تطوير الدين عند العصرانيين: من أتباع الأديان السماوية

● مفهوم العصرانية ونشأتها:

«إنها حركة تجديد واسعة نشطت في داخل الأديان الكبرى، داخل اليهودية وداخل النصرانية، وداخل الإسلام أيضاً، إن هذه الحركة للتجديد عرفت في الفكر الديني الغربي باسم العصرانية «modernism».

وكلمة عصرانية هنا لا تعني مجرد الانتماء إلى هٰذا العصر، ولكنها مصطلح خاص ـ إذ تعني العصرانية في الدين: أي وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة»[(١)].

«وهي الحركة التي سعت إلى تطويع مبادىء الدين لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها ـ والتي هي ربيبة الثقافة اليونانية ـ وإخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شؤون الحياة».

● ولقد كان للصراع بين الكنيسة والنهضة الحديثة أثر قوي في ظهور العصرانية لدى النصارى.

فقد قامت محاكم التفتيش بالحرق والقتل بشكل وحشي وخاصة لرجال الفكر والعلم، فخلال (١٨ سنة) منذ ١٤٨١ م حكمت على «١٠,٢٢٠» بالحرق، وهم أحياء، و «٦١٨٦٠»[(٢)] بالشنق فشنقوا، وعلى

---

(١) انظر: منير البعلبكي (قاموس إنجليزي عربي) ص ٥٨٦.

(٢) مفهوم تجديد الدين بسطامي محمد سعيد (ص ٩٦ ـ ٩٧) دار الدعوة ـ الكويت/ ١٤٠٥ هـ.

«٩٧٠٢٣» بعقوبات مختلفة، وأحرقت كل توراة عبرية[١].

العصرانية عند اليهود[٢]: بدأت في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي في ألمانيا نزعات جديدة تظهر بين اليهود، تكونت منها فيما بعد فرقة جديدة عرفت باسم: «**اليهودية المتحررة**، وتسمى أيضاً اليهودية التجديدية أو (الإصلاحية).

وكان ذلك يتمّ للملاءمة بين الديانة اليهودية ومعطيات الحضارة الغربية الجديدة.

وقد بدأ هذه الحركة الزعيم اليهودي «مندلسون» الذي كان قد أشاع العلوم العصرية بين اليهود، وجمع بين علوم الدين اليهودي وفلسفته ومعارف القرن الثامن عشر...

وكان الدافع لهذه الحركة هو رَغْبة اليهود للحاق بركب العصر، ثم ألف العديد من الكتب، وكان شعاره في ذلك: «الاستجابة للعادات وأعراف المجتمع العصرية، مع المحافظة والإخلاص لدين الآباء».

وقد بدأت هذه الحركة بمحاولات لجعل الصلوات والأناشيد الدينية، ذات جاذبية وخاصة للشباب، وأدخلت آلة حديثة تعزف مع الصلاة، وبدأ تطبيق ذلك في المدارس التي أنشأها خلفاء مندلسون، ومن ثم افتتح أول معبد يهودي على ضوء التعديلات الجديدة، وجاء في خطبة افتتاح المعبد: «إن الدنيا كلها تتغير من حولنا، فلماذا نتخلف نحن؟».

ـ سيلاحظ أن بعض العصرانيين المسلمين يكررون نفس هذه المقولة، وبأشكال مختلفة.

ثم تطورت هذه الحركة على يد جيل من المفكرين من أحبار اليهود.

فيرى (هولدهايم) ـ مثلاً ـ أن الشريعة الإلهية موقوتة بظروفها، وينبغي

---

(١) الإسلام والنصرانية: الشيخ محمد عبده.

(٢) انظر: مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد (ص ٩٧ ـ ١٠٥) بتصرف وإيجاز.

إيجاد تشريعات بديلة، ومن كلماته المشهورة في أحد كتبه: «إن التلمود يتحدث متأثراً بفكر زمانه، وهو حق في ذلك الزمان، وأنا أتحدث منطلقاً من فكر متقدم في عصري هذا، وبالنسبة لهذا العصر فأنا محق». وبهذا المبدأ أزاح (هولدهايم) التلمود من مكانته التشريعية المعهودة عند اليهود.

ويرى آخرون: «أنّ جوهر اليهودية ليست أشكالها ولا حتى شريعتها، ولكن جوهرها هو أخلاقها»[1].

وهكذا أسهم هؤلاء المفكرون في تقديم الأساس النظري لإجراء التعديلات في العبادات، وكذلك في وضع المرأة في اليهودية وخاصة مسألة الزواج بغير اليهودي، ومسألة الطلاق والاختلاط، حتى صارت المرأة تجلس بجانب الرجل في المعابد الحرة أثناء الصلوات.

وقد وجدت هذه الحركة ضجة كبيرة وسط اليهود، ومن أشهر هؤلاء «سامسون هِرْس» الذي يرى أن موت اليهودية هو في تطويعها لمبادىء العصر[2].

● **وفي أمريكا**: سارت الحركة في أطوار ظروف مشابهة، لما مرت به في ألمانيا، وأكبر حدث شهدته الحركة كان عام (١٨٨٥ م) حيث اجتمع تسعة عشر حبراً من مفكريها وأصدروا وثيقة هامة، ظلت لمدة نصف قرن تعبر عن مبادىء الحركة وعقيدتها، وعرفت هذه الوثيقة باسم: «خطة بتسبرج»، وقد شملت **ثمانية مبادىء** من أهمها قولهم:

أ ـ لا نقبل الأمر من الشريعة الموسوية إلا أحكامها الأخلاقية، ونرفض كل ما لا يتلاءم مع أفكار وقيم وسلوك الحضارة العصرية.

ب ـ اليهودية دين متطور يصارع دائماً ليكون متماشياً مع العقل، ومن الممكن إقامة صلات تعاون مع المسيحية والإسلام، باعتبارهما تولدا من اليهودية.

---

(١)(٢) السابق ص «٩٩ ـ ١٠١».

جـ ـ من واجب اليهودية الآن أن تشارك في الجهود العصرية لتحقيق العدالة الاجتماعية[1].

إلا أنّ دولة إسرائيل لا تعترف بفرقة اليهودية المتحررة.

هذه خطوط عريضة لمفهوم العصرانية عند اليهود، ومحاولاتهم في التجديد الديني، وهو ما سوف نلاحظه عند العصرانيين الجدد.

● **التجديد العصراني للنصرانية**[2]:

في نفس الوقت الذي كانت تزدهر فيه حركة التجديد في اليهودية، كانت النصرانية بشقيها الكاثوليكي والبروتستاني تشهد تطورات مماثلة تشترك في نفس الهدف، وهو إيجاد التآلف بين إيمان الآباء وبين أفكار العالم الحديث.

يقول أحد كتاب الغرب ممن سجلوا هذه الظاهرة، وهو (**جون راندال**) في كتابه: «تكوين العقل الحديث»:

«الذين دعوا أنفسهم بالمتدينين الأحرار في كل فرقة دينية سواء بين البروتستانت أو اليهود، أو حتى الكاثوليك، قد ذهبوا إلى القول، أنه إذا كان للدين أن يشكل حقيقة حية، وإذا كان له أن يظل تعبيراً دائماً عن الحاجات الدينية للجنس البشري، فلا بد له أن يتمثل الحقيقة والمعرفة الجديدتين، وأن يتآلف مع الشروط المتغيرة في العصر الحديث من فكرية واجتماعية»[3].

«فالعصرانية تقيم نظرتها على رفض سلطة المنقول لأنه يناقض ما أثبته العلم الحديث في نظرها، وتدعي أن المنقول سواء تمثل في الأناجيل أو

---

(١) مفهوم تجديد الدين: (ص ١٠٢ ـ ١٠٣).

(٢) انظر: مفهوم تجديد الدين: ص (١٠٥ ـ ١١٦).

(٣) تكوين العقل الحديث: جون راندال، جـ ٢/ص ٢١٧، ترجمة جورج طعمة ـ بيروت ـ دار الثقافة / ١٩٥٨ م.

في شروحها، ما هو إلا تعبير عن التطور المرحلي للفكر الديني في العصر الذي كتب فيه.. وبناءً على هذا يعتقد أن الحقائق الدينية تخضع لتفسيرات متطورة حسب تقدم المعرفة البشرية، وكلّما تقدمت المعرفة، كلما حدثت تصورات جديدة لحقائق الدين»[١].

يقول (ثرنون ستور) أحد كتاب الإنجليز:

«العصرانية هي تلك المحاولات التي تبذلها مجموعة من المفكرين لتقديم حقائق الدين المسيحي في قوالب المعرفة المعاصرة، إننا الآن لا نلبس ملابس أجدادنا، ولا نتكلم لغتهم، ولا نؤمن أن الأرض هي مركز النظام الشمسي، كما كانوا يؤمنون، فلماذا في ميدان اللاهوت نُكره على أن نفكر بعقول العصور البالية.. الويل للكنيسة التي تغمض عينيها فتعمى عن رؤية نعمة المعرفة الجديدة»[٢].

إنّ هؤلاء الآباء قد سعوا إلى تقويض سلطة الكنيسة المطلقة، ورفض المنقول المتمثل في النصوص الحرفية للكتب المقدسة وفي الشروح القديمة لها، مع محاولة إعادة تأويل عقائد الكاثوليكية على ضوء المعرفة الحديثة.

فقد نقدوا التوراة والإنجيل في إطار ما سمي **بالنقد التأريخي**، إذ يؤكد الراهب «لويزي» في كتابه «أناجيل مرقص ومتى ولوقا» التي ظهرت عام (١٩٠٧ م) في مجلدين: «إنّ الأناجيل في صورتها الحالية تشتمل على مجموعة من الأساطير والخرافات، لهذا لا يمكن أن تكون هي كلمات الله المقدسة، ومن هذه كل ما هو غيبي وخارق للطبيعة...».

وكان من نتائج هذا النقد التأريخي أن دخلت فكرة التطور في تعاليم الدين، وتبع ذلك مفهوم نسبية الحقيقة[٣].

---

(١) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر: د. حمد بن صادق الجمال (ص ٥٥٢).
(٢) دائرة المعارف البريطانية / ١٩٥٤ م.
(٣) مفهوم تجديد الدين: (ص ١١٠).

●وفي الوقت نفسه سار التجديد في البروتستانية الحرة، وتوصلوا إلى نفس النتائج السابقة عند الكاثوليك الأحرار، وقالوا: إن الكتاب المقدس خليط مما هو إلهي وبشري وكان عيسى عليه السلام مجرد بشر.

ثم أدى ازدهار العصرانية في إنجلترا إلى تأسيس اتحاد للعصرانيين (عام ١٨٩٨ م) سمي اتحاد رجال الكنيسة المعاصرين، وكان شعاره: «من أجل تقدم الفكر الديني الحر»، وأصدروا مجلتين باسم: «رجل الكنيسة الحر» من (١٩٠٤ ـ ١٩٠٨)، و «رجل الكنيسة المعاصر» كانت شهرية من (١٩١١ ـ ١٩٥٦ م)[١].

ومن الملاحظ أن البابا «بيوس العاشر» كان قد أصدر منشورين عن الحركة العصرانية عام (١٩٠٧) وأطلق عليها اسم (العصرانية)، ودمغها بالكفر والإلحاد ووصفها بأنها «مركب جديد لكل عناصر البدع والهرطقة القديمة»[٢].

● ومن المتناقضات العجيبة أن هذه القصة بكل فصولها نقلت إلينا من الغرب فظهرت لها نزعات مشابهة، في العالم الإسلامي منذ القرن الماضي عند بعض المتغربين.. فنادوا بتفسير بعض القضايا الإسلامية تفسيراً عقلانياً، وحاولوا إخضاع القرآن والسنة للمقاييس المادية حتى تتلاءم مع منهج الغرب، وقيم الحضارة الحديثة التي بهرت كثيراً من الذين كانوا يرونها المقياس الوحيد لكل نهوض وتقدم[٣].

والذي سمى هؤلاء «مجددين» إنما هو الاستعمار وتلاميذه وعملاؤه من المستشرقين والمنصرين... هؤلاء «المجددون» هم الذين سخر منهم الرافعي ـ رحمه الله ـ حين دخل معركته معهم في كتابه «تحت راية القرآن» وقال: «إنهم يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر»[٤].

---

(١) السابق: ١١٥.

(٢) ينظر: تكوين العقل الحديث / راندال/ جـ ٢/ ٢٣٥.

(٣)(٤) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر: د. حمد بن صادق الجمّال (ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

تطوير الدين عند العصرانيين في ديار الإسلام خلال النصف الثاني من هذا القرن[1]

لقد دأب هؤلاء على محاولات تطويع نصوص الشريعة حتى تساير معطيات الحضارة المادية، واتبعوا في ذلك آراء المستشرقين من اليهود والنصارى.

إذ سعى المستشرقون باستمرار ـ وما زالوا ـ إلى جعل الإسلام مطوراً إذا أجمع أهله على ذلك. يقول (جولدزيهر) المستشرق اليهودي:

«إن الإجماع يمكن أن يكون له شأن كبير في الإصلاح، والمقصود من الإصلاح هنا هو أن المسلمين يستطيعون أن يجعلوا من الإسلام ما شاءوا شريطة أن يكونوا مجتمعين»[2] «وذلك بأن يخلقوا ـ بطريقة تفكيرهم وأعمالهم ـ عقائد وسنناً... وهكذا فبالإجماع تُغير عقائد ثابتة وهامة جداً تغييراً تاماً. «وبذلك يمكن أن تغير الشريعة أيضاً».

يريد هذا المستشرق من المسلمين أن يتجاوزوا نصوص[3] الشرع ليغيروا ما شاءوا باجتهاد جديد. يعود إلى ضمير الشعب... فها هو المستشرق جيب يجتهد مأزوراً لتطوير ديننا الحنيف فيقول: «تعود الكلمة الفصل إلى ضمير الشعب بمجموعه، إن صوت الشعب ـ معترف به في

---

(١) ينظر: مفهوم تجديد الدين (ص ١٦١ ـ ١٦٦).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٢/ ٢٤١ ـ طبعة الشعب/ القاهرة.

(٣) السابق: ٢/ ٢٤١.

الإسلام الحنيف، على أنه يأتي بعد صوت الله، وصوت النبيّ، المصدر الثالث لليقين الديني، ويعرف هذا باسم الإجماع وهو اتفاق الطائفة على رأي واحد»[1].

● وقد سار على **نهج العصرانية المتحرر عدد من كتاب المسلمين.**

من ذلك كتاب **(الفكر الإسلامي والتطور) للدكتور محمد فتحي عثمان.** والكتاب كما يقول صاحبه: «محاولة لمناقشة قابلية الإسلام في أصوله للتطور، ورصيد المسلمين التاريخي في التطور، وللواقع المعاصر واحتياجنا للوعي بحقيقة التطور عندنا وعند غيرنا»[2].

وتظهر خلفية الكتاب الفكرية فيما يورده الكاتب من أمثلة لتطور الفكر الديمقراطي في الغرب، والفكر الاشتراكي، وتعدد مدارسه وآرائه... ثم يتساءل: «لماذا يكتب على الفكر الإسلامي وحده الجمود؟!!»[3].

ويرى الكاتب «أن التطور مسألة حتمية في كل شيء، وما دام الدين صالحاً لكل زمان ومكان، فهذا لا يعني أن يكون تطبيقاً واحداً بعينه للدين، صالح لكل زمان ومكان.. ولا تصح التجربة المثالية للدين في عصر الخلفاء الراشدين... إنها تجربة مثالية بالنسبة لظروف الخلفاء الراشدين السائدة في وقتهم، بالنسبة لتفكيرهم وزمانهم وأقوامهم»، هكذا يدّعون!

ويرى الكاتب أيضاً: أنه يستلزم ترجمة جديدة، وإعادة تقدير للحقائق الأساسية للعقيدة، وإذا كان الدين يجب أن ينقح كل مائة سنة، ففتحي عثمان يقول: «إنه يجب أن نصحح منهجنا للدين كل سنة وكل شهر، وكل

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام: (ص ٣٥ ـ ٣٦). وانظر: المستشرقون/ د. عابد السفياني ص ٨٩ ـ ٩٥ نشر وتوزيع مكتبة المنارة/ مكة المكرمة/ ١٤٠٨ هـ.

(٢)(٣) الفكر الإسلامي والتطور: د. محمد فتحي عثمان، ط ٢ الكويت/ الدار الكويتية / ١٩٦٩ م/ ص ٧٥، ٣٩/.

يوم وكل لحظة، لأن المعرفة لا نهاية لآفاقها، ولأن التقدم الإنساني لا توقف لسيره»[١].

● وقد تأثر مؤلف كتاب «الفكر الإسلامي وتطوره» بما كتبه المستشرقون، حيث تعرض لدراسة تطوير الشريعة الإسلامية وتحديد منزلة الفقه الإسلامي، وما ينبغي أن نفعله تجاه القوانين الوضعية[٢].

لقد بنى المؤلف كتابه على وجوب «الاعتماد على العقل الإنساني في الإقناع والاعتقاد، فالدين يمثل الحكمة الإلهية المحيطة بما فوق إمكان العقل... ولكن كيف أفهم الدين وأميز ما يقال عنه بدون عقل؟! أنا لو خيرت بين ديني وعقلي لآثرت عقلي لأنني قد أصبح به متديناً، لكني لو فقدته فسأفقد ديني معه، لأن الدين قد أسقط الخطاب عن المجانين»[٣].

ويقول: «نحن متخلفون ولا شك عن الفكر العالمي وتجارب الأنظمة العالمية، نحن متخلفون في الفقة الدستوري مثلاً»[٤].

● **وفي أقوال الدكتور فتحي عثمان مغالطات نتوقف عند بعضها.**

ـ فعمل العقل في الفهم والتلقي حسب الشروط التي أوجبها الشرع عليه، سواء اهتدى العقل بها أم تأثر بالثقافات المخالفة للدين فإن الدين لا يضره في كلا الحالين شيء.

ـ والعقل الإنساني هو الطريق إلى تلقي وفهم الدين وتطبيقه وهو مقيد بشروط مجمع عليها عند علماء الأمة، كالعلم بالعربية وبمقاصد الشريعة.

ـ وقوله: «أنا لو خيرت بين ديني وعقلي لآثرت عقلي لأنني قد

---

(١) السابق / ص ٣٧/ وقول فتحي عثمان يذكرنا بقول: هولد هايم أحد أخبار اليهود، عندما يتحدث عن ضرورة تطور تعاليم التلمود حسب ما يجد من معارف عصره، وبفكرة النقد التأريخي للأناجيل عند العصرانيين من النصارى.

(٢) انظر: المستشرقون، د. عابد السفياني ص ١٠٥ وما بعدها.

(٣)(٤) الفكر الإسلامي والتطور: (ص ٣٧ ـ ٣٨).

أصبح به متديناً» والسؤال: كيف يختار ترك دينه ثم يكون متديناً؟! وأي طريق يمكن أن يصل به إلى الحق إذا ترك الدين؟!»[1].

● وهنالك **كتاب آخرون** ناقشوا قضية التطور وعلاقتها بالتجديد وبالدين. منهم «**أمين الخولي**» في كتاب «المجددون» يقول فيه: «إننا ننتهي باطمئنان إلى أن التجديد الديني، إنما هو تطور، والتطور الديني هو نهاية التجديد الحق»[2].

● **ومحمود الشرقاوي**: الذي جعل عنوان أحد كتبه «التطور وروح الشريعة الإسلامية» قرر فيه أن الإسلام دين لين واسع الأفق، نستطيع أن نوفق بين روحه، وبين كل مظهر من مظاهر الحضارة، ومن ثم يقترح بعض الإصلاحات في مجال المرأة من تقييد للطلاق، ومنع تعدد الزوجات. وفي مجال الاقتصاد يقترح إباحة الفائدة في البنوك...[3].

● **أما الشيخ عبد الله العلايلي**: مفتي جبل لبنان سابقاً، فيقدم لنا في كتابه «أين الخطأ» مجموعة من الأخطاء يريد تصحيحها، مثل إباحة التعامل المصرفي، وأنه لا رجم في الإسلام، ولا قطع ولا جلد إلا بعد معاودة الجريمة وتكرارها، وأن الزواج المختلط بين المسلمين والكتابيين رجالهم ونسائهم حلال شرعاً[4].

● **وللدكتور حسن الترابي**: آراء في مجال تطوير الدين نقتطف منها بعض أقواله.

يقول الدكتور حول موقفه من أفكار السلف: «فأفكار السلف الصالح ونظمهم قد يتجاوزها الزمن، من جراء قضائها على الأمراض التي نشأت

---

(١) انظر: مناقشة مفصلة له (ص ١٠٩ ـ ١١٥) من كتاب المستشرقون د. عابد السفياني.
(٢) المجددون في الإسلام: أمين الخولي (ص ٥٨) القاهرة ـ دار المعرفة / ١٩٦٥ م.
(٣) انظر: التطور وروح الشريعة، محمود الشرقاوي ـ بيروت ـ المكتبة العصرية / ١٩٦٥/ الصفحات «١٦٢، ٢٣٢ ـ ٣٠٩».
(٤) أين الخطأ: عبد الله العلايلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت / ١٩٧٨ م.

من أجلها، وانتصارها على التحديات، التي كانت استجابة لها»[١].

ويتساءل بعدها: «ولكن المرء لا يعرف اليوم تماماً كيف يعبد الله في التجارة أو السياسة، أو يعبد الله في الفن»؟![٢].

ويتناسى الدكتور الترابي أن الإسلام لم يترك لنا شيئاً، إلا وقد وجهنا إلى حله، يتناسى كيف استغرب المشركون أن الصحابة كانوا يتعلمون كل شيء من رسول الله ﷺ.

● عن سلمان رضي الله عنه قال: قال له بعض المشركين وهم يستهزئون به «إني أرى صاحبكم يعلمكم كل شيء حتى الخراءة؟ قال: أجل: أمرنا ألا نستقبل القبلة، ولا نستنجي بأيماننا، ولا نكتفي بدون ثلاثة أحجار، ليس فيها رجيع ولا عظم»[٣].

ويؤكد الترابي آراءه بقوله: «ومهما كان تاريخ السلف الصالح امتداداً لأصول الشرع، فإنه لا ينبغي أن يوقر بانفعال، يحجب تلك الأصول، فما وجد في تراث الأمة بعد الرسول ابتداء بأبي بكر فهو تاريخ، يستأنس به، فما أفتى به الخلفاء الراشدون مثلاً، والمذاهب الأربعة في الفقه وكل التراث الفكري الذي خلفه السلف الصالح في أمور الدين، **هو تراث لا يلتزم به**، وإنما يستأنس به في فهم سليم لشريعة تنزلت في الماضي على واقع متحرك، وهي تنزل اليوم على واقع متحرك»[٤].

وهو بأقواله هذه يخالف ما كان عليه علماء الأمّة.. يقول ابن تيمية في عمل الصحابة بالحديث المرسل: «والمرسل إذا عمل به الصحابة حجة اتفاقاً»[٥].

---

(١)(٢) تجديد الفكر الإسلامي: د. حسن الترابي /ص ٤٠، ٥٦/.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه /الألباني ـ مكتب التربية العربي، ج ١/ص ٥٧.

(٤) انظر تجديد الفكر الإسلامي: (ص ١٠٥).

(٥) سبل السلام: الصنعاني ـ بيروت/ دار الفكر، ط أولى: ج ٢/ ص ٣٧١/.

ومعلوم بالضرورة أنّ على المسلمين أن يقلدوا رسول الله ﷺ في أفعاله وأقواله، وأن يقلدوا أصحابه رضي الله عنهم لأمره: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»[1].

(١) صحيح ابن ماجه / الألباني/ حديث (رقم ٤٠).

• وقفة مع دعاة التطور

يعتبر التطور طبيعياً إذا كان في الفروع، وليس في الأصول، أما إذا استجاب الدين لكل تغير، فذلك يعني تجاوزه إلى عقول البشر، ويعني العلمانية، أي فصل الدين عن الحياة باسم التجديد والتطوير، وهذا ما لاحظناه عند العصرانيين من أتباع الأديان السماوية.

وإذا صدق هذا الأمر على اليهودية والنصرانية، بسبب ظروف تاريخية تعيسة، وبسبب ما حصل فيهما من تحريف، فإن هذا لا ينطبق على الإسلام ورسالته الخالدة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

• يقول أبو الحسن الندوي: «باعتباري مريداً وتابعاً لدين، فلا يمكنني أبداً أن أقبل وضعاً يستجيب فيه هذا الدين لكل تغير... الدين يتقدم مع الحياة يداً بيد، ولا يواكبها فقط كتابع لها... ووظيفته أيضاً أن يميز بين تغير سليم وآخر غير سليم، وبين نزعة هدامة وأخرى بناءة»[1] «ومقياس التقدم الحقيقي هو الفطرة، المقياس هو الإنسان... ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي عانت منها البشرية».

«يقول عقلاء الغرب: إننا قوم تعساء لأننا ننحط أخلاقياً وعقلياً إن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة في الضعف، والتي ستكون

(١) الإسلام في عالم متغير: أبو الحسن الندوي «ص ٥٧»، ترجمة علي عثمان.

عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها»[1].

● ومن التصورات الأساسية عند العصرانيين أن الفكر مرتبط بالظروف التي نشأ منها، وبالعصر الذي يظهر فيه، وتؤثر فيه عوامل الزمان والمكان.

وانطلاقاً من هذا التصور فهم ينعتون الفكر الديني القديم «بالظرفية» وأنه تقليدي نشأ في عصور ماضية، ولذلك ينادون بتطويره وجعله حديثاً معاصراً[2].

● ولنا أن نتساءل: هل صحيح أن اختلاف العصر موجب لتغيير الدستور؟!

ـ يقول فتحي عثمان: «إن الخلفاء الراشدين أنفسهم قد غيروا أنظمتهم الإدارية في أكثر من موضع في بضع عشرات من السنين، وإذا قلنا أنظمتهم الإدارية، فإنما نعني دستور الدولة في التعبير الحديث»[3].

● **والحقيقة: النظام الإداري قسمان**: إداري بحت وهو ما يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم. من ذلك ما عمله عمر رضي الله عنه في ديوان الجند، وشرائه دار صفوان بن أمية وجعلها سجناً في مكة المكرمة، مع أن الرسول لم يتخذ سجناً، ولا أبو بكر، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به ولا يخرج عن قواعد الشرع ومراعاة المصالح العامة[4].

ويضاف إلى ذلك أن هذا النوع من النظام يدخل تحت أحكام الشريعة

---

(١) ألكسيس كاريل: نقلاً عن التطور والثبات في حياة البشرية، (ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤) للأستاذ محمد قطب/ دار الشروق/ ١٤٠٨ ط: سابعة.

(٢) انظر: مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد (ص ٢١٣).

(٣) الفكر الإسلامي والتطور: (ص ١٦) فتحي عثمان.

(٤) أضواء البيان: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ٤/ ٩٢، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، وانظر الشريعة الإلهية للأشقر: (ص ١١٣).

عن طريق المصالح المرسلة، وهي أحكام تقرها الشريعة وكل ما سبق فعله من الصحابة هو عملية ضبط إدارية بحتة لا شأن لها بتغيير الدستور الذي هو عبارة عن الشريعة والنظام[1].

أما النوع الثاني من الأنظمة: وهو ما يخالف شريعة الإسلام، والمتمثل في القوانين الوضعية، التي تحرم ما أحل الله، وتحل ما حرّم الله، فإن إقراره كفر بخالق السماوات والأرض، وذلك بإجماع المسلمين.

● فإذا كان التطور على حساب العقيدة والشريعة فذلك خروج من الدين ولا شك وانتكاس إلى الحيوانية.

«فالإنسان بلا عقيدة، يرتد أسوأ من الحيوان، لأنه يصبح بلا ضوابط ولا أهداف: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

«وهذه الرجعية التي يمارسها القرن العشرون في عالم العقيدة هي ذاتها التي جاء الإسلام ليصححها ويقومها، ويرد البشرية فيها إلى الصواب... وما زال موقفه منها هو ذات الموقف في القرن العشرين»[2].

فتطور الغرب انحراف ورجعية ـ كما يقول الأستاذ محمد قطب: «وهكذا... فكلما تتبعنا شيئاً من تطورات الغرب، وجدنا أنها ليست تطوراً في الحقيقة، وإنما هي انحراف ورجعية، إنها نكسة حيوانية إلى الوراء...

وموقف الإسلام منها هو موقفه من الرجعيات جميعاً: موقف التقويم والتصحيح... موقف القوّة التقدمية الهادية التي تشير للناس إلى الطريق الصحيح. وهكذا كان ينبغي أن يكون موقفنا نحن من الغرب... ولكن أين نحن؟!»[3].

---

(١) المستشرقون: د. عابد السفياني (ص ١١٨).

(٢) التطور والثبات في حياة البشرية: الأستاذ محمد قطب، (ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

(٣) التطور والثبات: الأستاذ محمد قطب، (ص ٢٦٢).

● **وقد ندد بهذا الاتجاه العصراني عدد من العلماء**، وعلى رأسهم الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله، فقد كشف عن الغاية التي يرمي إليها أصحاب فكرة التطور فقال: «إن كلمة التطور تضايقني نفسياً لأن الذين يرددونها خارج هذا المجلس ـ مجلس أسبوع الفقه الإسلامي ـ يريدون أن يحولوا الشريعة عن مقاصدها إلى ما يوافق أهواء واردة إلى مجتمعاتنا في عواصف ناسفة للحقائق الإسلامية، فيلغون الزكاة باسم تطور الاشتراكية، ويلغون الميراث باسم ذلك التطور أيضاً، ويكادون يلغون الزواج والطلاق باسم التطور.

والذين يرددون كلمة التطور هنا، يؤمنون بالقوانين الأوروبية أكثر من إيمانهم بالشريعة الإسلامية، ويؤمنون بالاقتصاد القائم أكثر من إيمانهم بالقرآن والسنّة النبوية، ومصادر الشريعة جملة وتفصيلاً من أجل ذلك نتململ من كلمة التطوير»[١].

ثم يتابع قوله: «إنهم يريدون التبديل، ولا يريدون إيجاد أحكام لما جد من أحداث. . . يريدون أن تكون الشريعة محكومة لما يجري بين الناس لا أن تكون حاكمة على ما يجري، وينسون أن الشريعة نزلت من عند الله لإصلاح المجتمع، وتنظيم العلاقات بين الناس»[٢].

---

(١) أسبوع الفقه الإسلامي الثالث / ١٩٦٧ م/ ص ١٥٢/.

(٢) السابق /ص ١٥٤/.



المبحث الثاني

تقديس العقل وتقديمه على نصوص الكتاب والسنة

١ ـ تقديس العقل عند العصرانيين.

٢ ـ العلاقة بين الشرع والعقل في الإسلام.

٣ ـ نفي التعارض بين الشرع والعقل.

٤ ـ مزالق مَنْ عارض الشرع بالعقل.

* * *

١ ـ تقديس العقل عند العصرانيين:

وهذه هي الميزة الكبرى الثانية لهذه المدرسة، فقد سار العصرانيون الجدد على خطا من سبقهم من أهل الكلام والفلسفة، حيث أنهم اعتبروا العقل مبدأ أصول العلم، وجعلوا الوحي تابعاً له، بل حكموا العقل في نصوص الشرع، فلا يقبلون منها إلا ما أيده العقل ووافقه، ويرفضون منها ما عارضه وخالفه.

ويتفق «أصحاب الاستنارة» عامة على إعلاء العقل وافتراض الصراع بين العقل والنقل، وما ذلك إلا من أجل تنفيذ رغبتهم في تطوير الشريعة أو تجاوز نصوصها، وفيما يأتي شواهد من أقوال بعض العصرانيين، تبين مدى تضخيم دور العقل لديهم.

● **فالدكتور محمد أحمد خلف الله**: يقرر أن «البشرية لم تعد في حاجة إلى قيادتها في الأرض باسم السماء، فلقد بلغت سن الرشد، وآن لها أن تباشر شؤونها بنفسها»[١] «فلقد حرر الإسلامُ العقل البشري من سلطان النبوّة من حيث إعلان إنهائها كلية، وتخليص البشرية منها»[٢]. إنه لشرود عجيب من بقايا الدين لدى هؤلاء القوم، وهو إنكار صريح، وتمرد صفيق على سلطان الله ومكانة النبوّة.

● وبنفس المنطق يقرر **الدكتور محمد عمارة** هذه المسألة، إذ يعتبر أنّ البشرية وصلت سن الرشد فعلاً فيقول: «إن كون الشريعة الإسلامية هي

---

(١) مقال العدل الإسلامي وهل يمكن أن يتحقق: الطليعة القاهرة / ١٩٧٥ م.

(٢) كتاب «الأسس القرآنية للتقدم» (ص ٤٤) ـ طبعة القاهرة / ١٩٨٤ م.

خاتمة الشرائع السماوية للبشرية، إنما يعني بلوغ البشرية سنّ الرشد، بما يعنيه الرشد من رفع وصاية السماء عن البشر»[١]!!

ويقول أيضاً: «إن الإسلام الدين لم يعترف لبشر بعد الرسول ﷺ بسلطة دينية، فلقد انقضى زمن الوحي، وبلغت الإنسانية سنّ الرشد، وأوكلها الله إلى وكيله عندها، الكتاب وهو القرآن الكريم، والعقل ـ الذي جعله الله من أجلّ القوى الإنسانية، بل أجلها على الإطلاق»[٢].

● **ويضخم الدكتور الترابي دور العقل** في كتاباته، ليساير به ما جد من أمور الحياة المتطورة[*].

فيقول: «ولم تعد بعض صور الأحكام التي كانت تمثل الحق في معيار الدين منذ ألف عام تحقّق مقتضى الدين اليوم، ولا توافي المقاصد التي يتوخاها لأن الإمكانات قد تبدلت، وأسباب الحياة قد تطورت..

وقد تزايد المتداول في العلوم العقلية المعاصرة بأقدار عظيمة، وأصبح لزاماً علينا أن نقف في فقه الإسلام وقفة جديدة، لنسخر العلم كله لعبادة الله، ولعقد تركيب جديد هو ما بين علوم النقل التي نتلقاها كتابةً وروايةً وقرآناً محفوظاً، أو سنة يدعمها الوحي، وبين علوم العقل التي تتجدد كل يوم وتتكامل التجربة والنظر، وبذلك العلم الموحَّد نجدد فقهاً للدين، وما يقتضيه في حياتنا الحاضرة طوراً بعد طور»[٣].

● ويظهر تقديس العقل بل وتأليه أحكامه عند أصحاب اتجاه **اليسار**

---

(١) الإسلام وقضايا العصر: محمد عمارة / ص ١٥/.

(٢) الدولة الإسلامية: محمد عمارة / ص ١٧٧/.

(*) الدكتور الترابي يعتبر رمزاً من رموز الحركة الإسلامية الحديثة، إلا أنه يضخم دور العقل على حساب النصوص، مما أوقعه في الشطط في بعض المواقف، وجعله يلتقي مع العصرانيين في عدد من القضايا. ولعل حماسه للتجديد ودراسته في ديار الغرب للقانون، أثر في ذلك.

(٣) تجديد أصول الفكر الإسلامي: د. حسن الترابي / ص ٨/.

الإسلامي ـ كما يسمون أنفسهم ـ فقد حاربوا النصوص بشدّة، **لأنها** تعيق انطلاقتهم من ربقة الدين..

فالنص عند أهل اليسار الإسلامي يعتمد على **سلطة الكتاب** وليس على سلطة العقل، وحجة السلطة ليست بحجة؟! لأن هناك كتباً مقدسة كثيرة، في حين أنه يوجد واقع واحد وعقل واحد[١].

يقول د. **حسن حنفي** أحد أقطاب هذا الاتجاه: «إن العقل هو أساس النقل، وأنّ كل ما عارض العقل فإنه يعارض النقل، وكل ما وافق العقل فإنه يوافق النقل، ظهر ذلك عند المعتزلة وعند الفلاسفة...» ثم يقول: «لقد احتمينا بالنصوص فجاء اللصوص»[٢].

وهكذا تحول المؤمنون بالنص والدعاة إليه إلى «لصوص»؟!!

والعبارة استعارها حنفي من الشاعر الماركسي الفلسطيني محمود درويش[٣].

وصار المهم عند هؤلاء مسايرة روح العصر فقط، وتساوت لديهم النصوص الدينية في حجيتها مع الأمثال العامية والأغاني الشعبية.

يقول حسن حنفي حول هذه الفكرة: «ما يهمنا هو روح العصر، وما نهتم به هي مشاكل العصر... لذلك نهتم بالأمثال العامية، وبسير الأبطال، كما نفعل تماماً مع النصوص الدينية، ونهتم بالأغاني الشعبية»[٤].

ثم أصدر حنفي كتاباً تحت عنوان: «قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر» بثّ فيه الشكوك والإلحاد، ويدعو إلى أن الفكر الغيبي أقرب إلى

---

(١) انظر: ظاهرة اليسار الإسلامي، الأستاذ محسن الميلي، دار النشر الدولي، الرياض / ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م/.

(٢) التراث والتجديد: (ص ١١٩ ـ ١٢٠) نشر مكتبة الجديد/ تونس.

(٣) انظر: ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي (ص ٥٣ ـ ٥٥).

(٤) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي/ مجلة اليسار الإسلامي العدد الأول.

الأساطير منه إلى الفكر الديني، وأن قصص آدم وحواء والملائكة والشياطين، كلها رموز أو جزء من الأدب الشعبي. ويرى هذا الضال المرتد أنّ العقل ما كان في حاجة إلى الشرع، لأن الإنسان لا يحتاج إلى الوحي، وأن ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله يؤمنان بوجود الشياطين والجن، وهذا هو أحد وجوه الضعف في هذه المدرسة، وأن الإنسان لا يحتاج لكونه مسلماً إلى الإيمان بالجن والملائكة»[١].

وقد وصلت به الحماقة إلى أن يقول: «يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر كل الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلماً حقاً في سلوكه»[٢].

● وممن سار على هذا الطريق، وزعِم أن الدين الإسلامي يتعارض مع العقل د. **زكي نجيب محمود**، وقد اختار الجانب الغيبي من العقيدة الإسلامية ليتخذه سبيلاً إلى الطعن في الإسلام كله، لأن الغيب والإيمان به ـ في زعمه ـ خرافة، ثم أخرج للناس كتاباً سماه «خرافة الميتافيزيقا». فهو ينكر في هذا الكتاب ما عدا المحسوس متابعة في ذلك للمذهب الفلسفي الذي اعتنقه طوال حياته مقلداً في ذلك الفيلسوف الملحد (أوغست كانت)[٣].

هكذا آمن أساطين العصرانية الجدد بالعقل على حساب النصوص الشرعية، وفرّط بعضهم وغالى في هذا الجانب حتى وصل إلى الردّة والضلال ـ والعياذ بالله ـ.

٢ ـ العلاقة بين الشرع والعقل في الإسلام:

اهتم الإسلام بالعقل اهتماماً بالغاً فجعله مناط التكليف، فإذا فُقِدَ ارتفع التكليف، ويعد فاقده كالبهيمة، لا تكليف عليه[٤].

---

(١) قلاع المسلمين مهددة من داخلها: د. محمد عبد القادر هنادي ص ٤٢.

(٢) قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر: حسن حنفي / ص ٩١ ـ ٩٣/ دار التنوير ـ بيروت.

(٣) رجال اختلف فيهم الرأي: أنور الجندي (ص ١١٦ ـ ١١٧).

(٤) انظر الموافقات في أصول الأحكام: الإمام الشاطبي / دار الفكر (٣/ ١٣) تعليق محمد الخضر حسين.

بل جعله الإسلام إحدى الضرورات الخمس التي أمر الشارع بحفظها ورعايتها، لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها[١].

● وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني، وتعتز به وتعتمد عليه في ترسيخها كالعقيدة الإسلامية.

وليس هنالك من كتاب أطلق سراح العقل وغالى بقيمته وكرامته كالقرآن الكريم، بل إن القرآن ليكثر من استشارة العقل ليؤدي دوره الذي خلقه الله له. ولذلك نجد في عبارات القرآن: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، و﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] و﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]. ونحوها تتكرر عشرات المرات في السياق القرآني، لتؤكد النهج القرآني الفريد في الدعوة إلى الإيمان وقيامه على احترام العقل[٢].

● **وللعقل مجالاته وحدوده في الإسلام**[٣]:

إذْ رغم تكريم الإسلام للعقل، فقد حدد مجالاته التي يخوض فيها حتى لا يضل، وفي هذا تكريم له أيضاً، لأنه محدود الطاقات والملكات فلا يستطيع أن يدرك كل الحقائق مهما أوتي من قدرة وطاقة على الاستيعاب والإدراك، لذا فإنه سيظل بعيداً عن متناول كثير من الحقائق، وإذا ما حاول الخوض فيها، التبست عليه الأمور وتخبط في الظلمات.

فأمر الإسلام العقل بالاستسلام والامتثال للأمر الشرعي الصريح، حتى ولو لم يدرك الحكمة والسبب في ذلك، وقد كانت أول معصيَة لله ارتكبت بسبب عدم هذا الامتثال من قبل إبليس لعنه الله.

«وقد ذكر ابن الجوزي أنه: قد أنس ببديهة العقول خلق من الأكابر،

---

(١) انظر الموافقات في أصول الأحكام: الإمام الشاطبي / دار الفكر (٣/ ١٣) تعليق محمد الخضر حسين.

(٢) منهج المدرسة العقلية في التفسير: فهد الرومي (ص ٢٩ ـ ٣٠).

(٣) ينظر المرجع السابق: (ص ٣٨ ـ ٣٩).

أولهم إبليس، فإنه رأى تفضيل النار على الطين فاعترض... ورأينا خلقاً ممن نُسب إلى العلم قد زلوا في هذا واعترضوا، ورأوا أنّ كثيراً من الأفعال لا حكمة تحتها!

* والسبب هو الأنس بنظر العقل في البديهة والعادات، والقياس على أفعال المخلوقين»[1].

ولذلك منع الإسلام العقل من الخوض فيما لا يدركه ولا يكون في متناول إدراكه، كالذات الإلهية، والأرواح في ماهيتها، ونحو ذلك، وكذلك الجنة ونعيمها والنار وجحيمها... وغيرها من الغيبيات التي ليست في متناول العقل ومداركه.

وعلى هذا مضى المسلمون في العصر الأول من الإسلام، عرفوا ما للعقل فدرسوه وحفظوه، وما ليس له فاجتنبوه، بل اجتنبوا من عرف بالأهواء والسؤال عن المتشابه[2].

يقول سيد قطب رحمه الله متحدثاً عن دور العقل في معرفة الغيب: «أما محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة... دون سند من الروح الملهم والبصيرة المفتوحة... فهي محاولة فاشلة أولاً، وعابثة أخيراً.

فاشلة لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال، وعابثة لأنها تبدد طاقة العقل، التي لم تخلق لمثل هذا المجال.

وعلى العقل أن يتلقى العلم في أمور الغيب من العليم الخبير الذي يحيط بالظاهر والباطن والغيب والشهادة، وهذا الاحترام لمنطق العقل هو الذي يتحلى به المؤمنون»[3].

* * *

---

(١) انظر: صيد الخاطر: ابن الجوزي (ص ٤٩١) وتلبيس إبليس ص ٢٣ طبعة / ١٩٧٦ م.

(٢) منهج المدرسة العقلية في التفسير: (ص ٣٩).

(٣) في ظلال القرآن: بإيجاز/ ج ١/ ص ٤٠/.

٣ ـ نفي التعارض بين الشرع والعقل:

والواقع أن التعارض بين العقول السليمة وبين الشرع غير موجود، قال ابن تيمية رحمه الله: «ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارض الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط...

وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة، يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع... ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه: إما حديث موضوع، أو دلالة ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول؟!»[(١)].

«وعلى المعتزلة الذين حكموا عقولهم في نصوص الوحي، ومن سار على نهجهم وتتبع خطاهم، أن يعلموا أنه لا يوجد حديث واحد على وجه الأرض يخالف العقل، إلا أن يكون ضعيفاً أو موضوعاً»[(٢)].

«وواجب على هؤلاء أن يخالفوا قاعدتهم، فمتى ما تعارض الشرع والعقل عندهم، وجب عليهم تقديم الشرع، وذلك لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدقه في كل ما أخبر به، والعلم بصدق الشرع موقوف على كل ما يخبر به العقل»[(٣)].

وأكد هذا المعنى ابن القيم رحمه الله بقوله: «إذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح، ورمي بهذه العقول تحت الأقدام، وحطت حيث حطها الله وأصحابها»[(٤)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، (١/١٤٧)، تحقيق محمد رشاد سالم، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) السابق: (جـ ١/١٥٠، وجـ ١/١٣٨).

(٣) السابق: (جـ ١/١٥٠، وجـ ١/١٣٨).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة: ص ٨٢ ـ ٨٣ /اختصار الشيخ موسى الموصلي ط: دار الندوة الجديدة ـ بيروت /ط ١/ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م/.

أما الذين يقولون بأن البشرية قد بلغت سن الرشد، ولا حاجة لوصاية السماء بعد ذلك، ففي قول ابن تيمية رحمه الله متحدثاً عن فضل الرسالة الإجابة الشافية. يقول ابن تيمية رحمه الله: «ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده. . . أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم، بل شرُّ حالاً منها. . .»[1].

● وهؤلاء صحابة رسول الله رضي الله عنهم «لم يعارضوا ما جاء في السنة بآرائهم وعقولهم، علموا معناه أو جهلوه، جرى لهم على معهودهم أو لا، فليعتبر بذلك من قدّم الناقص، وهو العقل على الكامل وهو الشرع»[2].

وقد اكتفوا رضي الله عنهم بما جاءهم عن رسول الله ﷺ، لعلمهم أن الحق فيه ووفقهم الله للعمل به، ففتحوا البلاد، وتفتقت لعلمهم الأذهان، واستنارت بهم القلوب، فنشروا دين الله في الأرض صافياً نقياً، خالياً من الشبه والشكوك، والأوهام والظنون[3].

٤ ـ مزالق مَنْ عارض الشرع بالعقل[4]:

وبعد تقديم العصرانيين العقل على الشرع فماذا جنوا؟! لقد وقعوا بمزالق وانحرافات خطيرة من أبرزها:

أ ـ مضاهاتهم لإبليس لعنه الله: حين اعترض على الله عزّ وجلّ، ولم يسلم لأمره بالسجود لآدم وعارضه بعقله فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

---

(١) الفتاوى لابن تيمية: ج ١٩ /ص ١٠٠/.

(٢) الاعتصام: الشاطبي، ٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢/ المكتبة التجارية الكبرى بمصر/.

(٣) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق (ص ٤٦).

(٤) ينظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين (ص ٥٤ ـ ٦٥).

فكانت العاقبة: الطرد من رحمة الله والخلود في جهنم.

ب ـ **مشابهة الكفار في اعتراضهم على الشرع**: في أكثر من موضع، بل يعتبر ذلك من أخص صفاتهم التي وضحها الله ـ سبحانه وتعالى ـ في القرآن. من ذلك: معارضتهم لنبوّة رسول الله ﷺ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والداعون إلى تمجيد العقل، إنما هم في الحقيقة يدعون إلى تمجيد صنم سموه عقلاً، وما كان العقل وحده كافياً في الهداية والإرشاد، وإلا لما أرسل الله الرسل»[(١)].

جـ ـ **اتباع الهوى**: وهو ناتج من عدم الاهتداء بشرع الله والاستجابة لأمر رسول الله ﷺ. وأهل الهوى هم الذين لا يعولون على الأدلة الشرعية حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك، فردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة بعقولهم، وأساءوا الظن بما صح عن النبيّ ﷺ، وحسنوا الظن بآرائهم الفاسدة، حتى ردوا كثيراً من أمور الآخرة وأحوالها من الصراط والميزان وحشر الأجساد... وأنكروا رؤية الباري يوم القيامة، بل صيروا العقل شارعاً، جاء الشرع أم لا...»[(٢)].

ويقول ابن القيم رحمه الله: «وكل من له مسكة عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما ينشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساده... وأكثر أصحاب الجحيم هم أهل هذه الآراء الذين لا سمع لهم ولا عقل، بل هم شرٌّ من الحمير، وهم الذين

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول جـ ١/٢١، ابن تيمية /طبع ونشر دار الكتب العلمية ـ بيروت /ط ١/ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م/.

(٢) الاعتصام: الشاطبي، ٢/١٧٦.

يقولون يوم القيامة ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: ١٠][1].

د ـ **وقوعهم في الشك والحيرة**: إن أساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر الغاية، ودأبوا ليلاً ونهاراً في التعمق ودراسة هذه العقليات، لم يصلوا إلى معقول صريح واحد يناقض الوحي، بل وصلوا إلى الحيرة والشك، أو الاختلاف والارتياب، فكيف بمن سواهم ممن لم يبلغ ذكاؤه ذكاءهم ومعرفته معرفتهم؟![2].

وقد اعترفوا بحيرتهم وشكوكهم، فالرازي «فخر الدين»، صاحب التصانيف الكثيرة، مع سبقه في باب المعقول، وفرط ذكائه يشكو من حيرته وعجزه فيقول شعراً:

نهاية إقدام العقول عقال   وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا   وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال: «تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن». ثم قال: «ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[3].

وغيره كثير ممن رجع وندم.....

هـ ـ **تناقض معطيات العقول**: ولم يكن إنكار النص الشرعي عند هؤلاء التائبين القدماء كإنكار هؤلاء المُحْدَثين (لسلطان السماء!!) **كما يزعمون؟!**

---

(١) أعلام الموقعين: لابن القيم الجوزية/ تحقيق عبد الرحمٰن الوكيل/ الناشر: دار الكتب الحديثة ـ مطبعة السعادة / القاهرة/ ١٩٦٩ م.

(٢) انظر: موافقة صحيح المنقول، ١/ ١٣٤، ١٣٥/.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي (ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩) تخريج الشيخ ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي / ط ٩ ـ بيروت ١٩٨٨ م/١٤٠٨، وسير أعلام النبلاء: ٢١/٥٠١/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

هؤلاء العصرانيون مزجوا بين تضخيم دور العقل عند المعتزلة وعند فلاسفة الغرب، «وقت تأليههم لدور العقل في القرن الثامن عشر وما بعده».

لقد وصل الحال بأولئك الفلاسفة إلى أن أقاموا العقل مقام الإله، فهو المرجع وإليه المآب «ولا عجب في ذلك، فما دام العقل هو الحكم، فعقل مَنْ؟! إن العقل المطلق أو العقل المثالي تجريد لا وجود له في عالم الواقع، إنما الموجود في الواقع هو عقل هذا المفكر وذاك المفكر، ولكل منهم طريقته الخاصة في «تعقل الأمور» ولكل منهم «نوازعه» الخاصة التي يحسبها بعيدة عن التأثير في عقله، وهو واهم في حسابه، ولكل منهم اهتماماته الخاصة التي تجعله يركز على أمور ويغفل غيرها من الأمور، ومن ثم لا تصبح تلك الفلسفة في هذه القضية بالذات آداة هداية وإنما آداة تشتيت وتضليل»[1].

يقول سارتر (وهو يهودي) في كتاب «تأملات في المشكلة اليهودية»: «إن اليهود متهمون بتهم ثلاث كبرى: هي عبادة الذهب، وتعرية الجسم البشري، ونشر العقلانية المضادة للإلهام الديني».

ويقول: «إن التهم كلها صحيحة» ثم يروح يقدم لكل منها، ما يقدر عليه من المعاذير. ومما قدمه للتهمة الثالثة: إنه طالما كان البشر يؤمنون بالدين، فسيظل يقع على اليهود تمييز مجحف، على اعتبار أنهم يهود، أما إذا زال الدين من الأرض، وتعامل البشر بعقولهم، فعقل اليهودي كعقل غير اليهودي، ويومئذٍ لن يتميز اليهود بكونهم يهوداً وسيعيشون بسلام مع اليهود»[2].

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب، فصل العقلانية (ص ٥٠٠ وما بعدها).
(٢) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب، فصل العقلانية (ص ٥٠٠ وما بعدها).

الفصل الثاني

التجديد العصراني: مزاعم ومنطلقات

المبحث الأول: منهجهم في التفسير، وموقفهم من السنّة النبوية.

المبحث الثاني: مزاعم التجديد في الفقه وأصوله.

المبحث الثالث: فصل الدين عن الدولة وشؤون المجتمع.

المبحث الرابع: تزوير التاريخ وتمجيد الشخصيات المنحرفة.

المبحث الخامس: الدعوة إلى وحدة الأديان.

المبحث السادس: موقف العصرانيين من الجهاد في سبيل الله.

المبحث السابع: ظاهرة اليسار الإسلامي.



المبحث الأول

منهج العصرانيين في التفسير وموقفهم من السنّة النبوية

- منهج العصرانيين في التفسير.
- موقف العصرانيين من السنة النبوية:

١ ـ تقسيمهم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية.

٢ ـ موقفهم المريب من أحاديث الصحيحين وخبر الآحاد.

٣ ـ موقفهم من الفقه والفقهاء.

٤ ـ الأخذ بالأحكام الكلية للقرآن الكريم مع الغمز بحجية السنة النبوية.

٥ ـ التشكيك في منهج المحدثين.

المبحث الأول

منهج العصرانيين في التفسير وموقفهم من السنّة النبوية

١ ـ منهج العصرانية في التفسير[1]:

يرى العصرانيون أنه: «في ضوء الظروف الجديدة، وتوسع المعرفة الإنسانية، لا يمكن الاعتماد في فهم القرآن على التفاسير القديمة، التي اشتملت على كثير من الخرافات (كما يزعمون)، ولكن ينبغي فهم النص القرآني من خلال معرفتنا وتجاربنا الذاتية... إذ من مزايا القرآن الفذّة، أنه كلما ازدادت معرفتنا بهذا العالم وازدادت تجاربنا، كلما تكشفت لنا آياته عن معانٍ ثرة جديدة، لم تخطر من قبل، وقد يختلف فهمنا لآية من القرآن مع فهم المفسرين الأوائل، وقد يكون هذا الاختلاف حاداً وواسعاً أحياناً، بل ومتناقضاً مع آراء من سبقونا، ولا غبار في ذلك لأن المفسرين الأولين فهموا نصوص القرآن على ضوء اللغة والسنّة، جنباً إلى جنب مع المعارف العامة المتاحة لهم، وما تجمع لدى المجتمع الإنساني حتى عصرهم من تجارب عامة»[2].

ولا يبتعد عما سبق رأي الدكتور حسن الترابي إذ يقول: «وعلينا أن ننظر في أصول الفقه الإسلامي، وفي رأيي أن النظرة السليمة لأصول الفقه، تبدأ بالقرآن الذي يبدو أننا محتاجون **فيه إلى تفسير جديد**، فإذا قرأتم

---

(١) ينظر: مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد / ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢/.

(٢) هذا خلاصة رأي سيد أحمد خان، ولا يبتعد عنه رأي الشيخ محمد عبده وتلاميذه من مفسري المدرسة الإصلاحية، إذ يرون أن القرآن أولى بالاتباع وفيه كليات الشريعة، ولذلك فهم يردون كثيراً من الأحاديث النبوية ـ كما سيأتي ـ.

التفاسير المتداولة بيننا تجدونها مرتبطة بالواقع الذي صيغت فيه. كل تفسير يعبر عن عقلية عصره، إلا هذا الزمان، لا نكاد نجد فيه تفسيراً عصرياً شافياً»[١].

«إن الجرثومة الخطيرة في الفكر التجديدي، الذي ينادي به الدكتور الترابي، هي أن مفاهيم القرآن تتغير بتغير الزمن، ورقي الإنسان وتطوره، ولهذا فكل عصر من العصور يحتاج إلى تفسير خاص به للقرآن الكريم»[٢].

«والحقيقة أن السنة هي الركيزة الأولى في تفسير القرآن حيث أن القرآن كتاب منزل من عند الله تعالىٰ على محمد ﷺ ليبينه للناس، ويعلمهم إياه، وحينئذٍ لا بد من الاعتراف بأن مفهومه السليم الموثوق به، هو ما أدركه النبيّ ﷺ»[٣].

«ومن التابعين مَنْ تلقى جميع التفسير عن الصحابة. كما **قال مجاهد**: عرضت المصحف على ابن عباس، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله فيها ـ والمقصود أن التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة، كما تلقوا عنهم السنة»[٤].

● هذا وإن تقدم المعارف البشرية المعتمدة على تجارب البشر الذاتية قد تكشفت عن أخطاء في معارف العصور الماضية، فهل يؤثر ذلك في فهم القرآن؟! وهل تتغير معاني القرآن تبعاً لذلك؟!

---

(١) تجديد الفكر الإسلامي: د. حسن الترابي ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ثانية / ١٩٨٧ م/ص ٢٥ ـ ٢٦/.

(٢) الدكتور حسن عبد الله الترابي وفساد نظرية تطوير الدين ص ٤١ كتاب مخطوط وتحت الطبع/ تأليف. عبد الفتاح محجوب محمد إبراهيم ـ جامعة أم القرى.

(٣) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة: المودودي ص ١٧٥، ١٨٥/ تعريب خليل الحامدي، ط ٢ الكويت / دار القلم ـ ١٩٧٤ م.

(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية / ص ٣٥/ تحقيق د. عدنان زرزور ـ بيروت مؤسسة الرسالة / ١٩٧٢م.

يقول المودودي رحمه الله: «إنه ما من ريب في أنّ الإنسان على قدر ما يزداد علماً بالكون وحقائقه، يزداد بصيرة وعمقاً في مفاهيم القرآن، ولكن لا يدل ذلك على أنه بهذا الطريق يصير أكثر علماً بالقرآن حتى من محمد ﷺ، وتلاميذه المرتشفين لمناهل علمه مباشرة، ولا على أن أحداً إذا تلقى قدراً وافراً من علم الفلك والكيمياء وما إليها، فالمحتوم أن يعد من أكثر الناس، وأحسنهم علماً بالقرآن»[1].

وبذلك يتبين وجه الخطأ في منهج العصرانية في تفسير القرآن، وهو أن المعاني الثرة الجديدة، التي تتكشف للإنسان كلما ازداد معرفة بالكون وآفاقه، لا يمكن أن تناقض وتعارض المعاني الأساسية التي فهمها المفسرون الأوائل، ذلك أن تلك المعاني لم يكن مصدرها المعرفة البشرية، بل كان أساسها الفهم النبوي الكريم للقرآن، وبسبب الاعتماد على معارف البشر العصرية، وما فيها من القصور والأخطاء، وبسبب إهمال تفاسير الأولين، وقعت العصرانية في انحرافات شنيعة في التفسير، وحسبنا أمثلة على ذلك تفسير سيد خان، ومحمد عبده[2].

وقضية التأويل المتكلف لآيات القرآن، قضية قديمة منذ نشأة الفرق المنحرفة في الإسلام كالمعتزلة والخوارج والشيعة وكذا بقية الباطنية والمتصوفة، ومن أجل ذلك يحاربون السنة النبوية لأنها جاءت مفصلة وموضحة لآيات القرآن.

• موقف العصرانيين من السنّة النبوية:

من أكبر ضلالات هذه المدرسة، محاولة إنكارهم السنّة النبوية، ومن ثم دعوتهم لعدم الأخذ بها، وخاصة في مجال المعاملات. ذلك لأن

---

(١) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة: المودودي ص ١٨٧.

(٢) مفهوم تجديد الدين: ص ٢٣٣، وانظر: منهج المدرسة الإصلاحية في التفسير «الباب الأول من هذا الكتاب» ص ٣١.

نصوص السنة والأحاديث الشريفة، قد وقفت حجر عثرة أمام رغبتهم في تطوير الشريعة، وتجاوز ما خلفه علماؤنا من تراث فقهي غزير.

فمن محاولاتهم المشبوهة خلال التشكيك في السنة، والسعي لعدم الأخذ بحجيتها في الأحكام:

١ ـ أنهم قسموها إلى سنة تشريعية، وسنة غير تشريعية.

٢ ـ موقفهم المريب من أحاديث الصحيحين وخبر الآحاد.

٣ ـ موقفهم من الفقه والفقهاء.

٤ ـ يرى بعضهم أن الأصل هو الأخذ بالأحكام الكلية. للقرآن الكريم، لأنه أصح من غيره، وفي ذلك غمز بحجية السنة النبوية.

٥ ـ التشكيك في منهج المحدّثين.

وعلى العموم فالعصرانيون الجدد هم حلقة من حلقات التشويه والتشنيع على سنّة رسول الله ﷺ، وعلى حملتها من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

إنها حلقة سبقتها حملات التشويه من لدن المعتزلة وحتى المستشرقين ودعاة التغريب.

١ ـ تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية:

هذا تقسيم باطل، سبقهم إليه الإصلاحيون عندما قسموا السنّة إلى سنة عملية، يؤخذ بها في الأحكام الشرعية، كالصلاة والزكاة وبقية العبادات، وقضايا العقيدة الأساسية، وسنّة غير عملية ـ وهي الأحاديث القولية ـ لا يلتزمون بالأخذ بها إلا ضمن شروط تنسجم مع قواعدهم العقلية.

ـ لقد زعم العصرانيون: «أنّ السنة جاءت بتفصيل أكثر من القرآن، وأن مجال العقل البشري فيها واسع وذلك لعدّة أسباب منها:

● أن علم الحديث نفسه ـ رغم تدوينه ـ يحتاج إلى التمحيص، وعلم الرجال والأسانيد المختلف فيها كثيرة وتحتاج إلى تحقيق.

● وأن السنة النبوية، كان منها ما هو حكم شرعي عام يجب اتباعه، ومنها ما يفعله الرسول ﷺ بوصفه بشراً. وهناك سنة كان يفعلها الرسول بوصفه حاكماً ـ خصوصاً بعد الهجرة ـ.

والتفريق بين هذه الأقسام يحتاج إلى ضبط...

● والسنة وإن كانت أكثر تفصيلاً من القرآن، فإن تغاير الزمان وتبدل العصر، يجعل استنباط الأحكام منها أكثر صعوبة[1]...

ويلاحظ مما سبق أنه دعوة صريحة لتعطيل جزء كبير من أحكام السنّة، وبداية لفصل أحكام الشرع عن الحياة.

«وقد رتب بعضهم على ذلك أنّ العصمة في أمور التبليغ فقط، وأن ما اندرج من السنة النبوية تحت أمور السياسة والمجتمع ليس ديناً، ومن ثم فإنه موضوع للاجتهاد والشورى والقبول والرفض والإضافة والتعديل»[2].

● وكتب **أحمد كمال أبو المجد يدعو** إلى ضرورة التمييز بين بشرية الرسول ﷺ ونبوّته، لأن «النبي بشهادة القرآن بشر مثلنا، يوحى إليه، وأن بشريته حاضرة في نبوته، ولهذا لا بد من تحديد ما يعد تشريعاً، وما لا يعد من أقواله وأفعاله.

ولا بد من التفريق بين ما هو من العادات، وما هو من العبادات، ولا بد من بيان ما فعله الرسول اجتهاداً منه تحقيقاً لمصلحة جزئية يومئذٍ، وليس من الأمور اللازمة، وهو يدعو أيضاً إلى **التمييز بين الشريعة والفقه**.

---

(١) الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم: رسالة في أصول التشريع ص ٧. وانظر: العصريون معتزلة اليوم / ص ٥٤ ـ ٥٦/.

(٢) الإسلام والسلطة الدينية: د. محمد عمارة ص ١٠٤.

فالشريعة ـ لديه ـ هي الجزء الثابت من النصوص القطعية في دلالتها ودورها، أما الفقه فهو تفسير الرجال لهذا الجزء الثابت»[١].

● **ويتوسع الدكتور العوّا في تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية،** ويرى أنّ أغلب المروي عن الرسول هو من النوع الثاني فيقول: «ويلاحظ كون أغلب تصرفات الرسول مبناه التبليغ قول قد يصل الباحث إلى خلافه عند إمعان النظر في الصحيح من سنّة رسول الله ﷺ، بل الذي يغلب على الظن أنّ أغلب المروي عنه ﷺ في شؤون الدنيا ـ خارج نطاق العبادات والمحرمات ـ ليس من الشرع اللازم»[٢].

● ويدعو الدكتور **محمد النويهي إلى علمانية** مغلفة بغلاف الدين، فيصرح بأن نصوص القرآن والسنّة الخاصة بمسائل العقيدة والعبادة هي التي تقبل، أما غيرها ـ في أي ناحية من نواحي التشريع ـ فتخضع للتعديل والتغيير والإضافة والحذف»[٣].

«. . . . فالسياسة والحكم والقضاء، وشؤون المجتمع، ليست ديناً وشرعاً، يجب فيها التأسي والاهتداء بما في السنة من وقائع، وأواصر ونواهي وتطبيقات، لأنها أمور تقرّرت بناء على بينات قد نرى غيرها، وعالجت مصالح هي بالضرورة متطورة ومتغيرة»[٤].

فالعصريون لا يلتزمون إلا بالقواعد الكلية من القرآن والسنة، وضوابطهم فقط هي اللغة والعقل والملاءمة العصرية، ولا يلتزمون بالسنّة في

---

(١) انظر مجلة العربي، العدد (٢٢٢) مايو / ١٩٧٧ م ص ٢٠ من مقال بعنوان: مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الإسلامي، والعدد (٢٢٥) أغسطس / ١٩٧٧ م (ص ١٦) من مجلة العربي.

(٢) مجلة المسلم المعاصر، العدد الافتتاحي، أكتوبر / ١٩٧٤/ ص ٤٨، محمد سليم العوّا، السنة التشريعية وغير التشريعية.

(٣) انظر: مجلة الآداب / بيروت ـ عدد مايو / ١٩٧٠ م من محمد النويهي من مقال بعنوان: «نحو ثورة في الفكر الديني» (ص ٣١).

(٤) الإسلام والسلطة الدينية: محمد عمارة / ص ١٢٠/ .

الحكم أو القضاء، لأنها صدرت عن الرسول باعتباره بشراً غير معصوم، فلا تلزم فيها الأسوة وليس فيها عِصْمة، بل تلزم فقط (أي العصمة) والأسوة في أمور التبليغ والوحي[1].

هذا «وإن شبهة تقسيم السنّة إلى تشريعية وغير تشريعية، من أخبث الشبه التي رفعها أدعياء التجديد المتخلفون من العصرانيين... وهذه الشبهة دعوة صريحة إلى رد السنن، وترك العمل بها، والتحاكم إليها، ثم إلى تفسير القرآن بالتفسيرات الشاذة التي توافق أهواءهم، ثم إلى تركه وراءهم ظهرياً.

وهي تجعل الفارق بين العلمانيين والعصرانيين شعرة دقيقة، يقعون بعدها على أم رؤوسهم في براثن العلمانية، إن لم يكونوا قد انحدروا في دركها بعدُ»[2].

٢ ـ موقفهم من أحاديث الصحيحين وخبر الآحاد:

شكك العصرانيون في بعض الأحاديث الصحيحة، ولو كانت في البخاري ومسلم.

ـ **قال الدكتور الترابي مشككاً في قيمة الضوابط والأسس التي وضعها الإمام البخاري في صحيحه** من محاضرة بعنوان «قضايا أصولية فكرية» بالديوم الشرقية بالألفاظ العامية، وهذه صياغة لها ليسهل فهم المراد:

لا بدّ لنا أن نعيد النظر في الضوابط التي وضعها البخاري، فليس هناك داع لهذه الثقة المفرطة في البخاري، والمسلمون اليوم إعجابهم بالبخاري زائد، فمن وثقه فهو الثقة، ومن جرحه فهو المجروح» لماذا نعدّل كل الصحابة؟ ليس هناك ما يوجب ذلك. لقد استحدثت وسائل كثيرة

---

(١) العصريون معتزلة اليوم: يوسف كمال ص ٧٣ ـ ٧٤.
(٢) مناقشة هادئة لبعض أفكار الترابي / ص ٧٩/ الأمين الحاج محمد أحمد.

يمكن أن تستغل في هذا المجال، ما كان البخاري ولا غيره يعرفها» يقصد الحاسب الآلي.

وقد تحدثنا عن آراء بعض كتاب المدرسة الإصلاحية في ذلك. قال الشيخ محمد رشيد رضا «وإن في البخاري أحاديث في أمور العادات والغرائز، ليست من أصول الدين ولا فروعه... وأنه ليست من أصول الإيمان، ولا من أركان الإسلام أن يؤمن المسلم بكل حديث رواه البخاري، مهما يكن موضوعه»[1].

وتحدث محمود أبو رية مشككاً في صحة بعض أحاديثهما وأن بهما أحاديث ضعيفة، ولذلك فلا يعتمد على كل ما فيهما[2].

ناهيك عن مطاعن أحمد أمين وولده من بعده حسين، وأحمد كمال أبو المجد، والشيخ محمد الغزالي، ومحمد عمارة. فلهم آراء منقولة حول هذه القضية، إذ يعتمدون على ضرورة انسجام معنى الحديث مع عقولهم، مهما علت مرتبة هذا الحديث[3].

● يقول **الشيخ محمد الغزالي**[4]: «إن ركاماً من الأحاديث الضعيفة ملأ آفاق الثقافة الإسلامية بالغيوم، وركاماً مثله من الأحاديث التي صحت، وسطا التحريف على معناها، أو لابسها، كل ذلك جعلها تنبو عن دلالات القرآن القريبة والبعيدة، وقد كنت أزجر بعض الناس عن رواية الحديث الصحيح، حتى يكشفوا الوهم عن معناه!! إذا كان هذا الوهم موهماً، مثل حديث: «لن يدخل أحد الجنة بعمله».

---

(١) انظر مجلة المنار: مجلد (٢٩) ص/١٠٤ ـ ١٠٥/ وموقف المدرسة الإصلاحية من السنة النبوية / الباب الأول/.

(٢) أضواء على السنة المحمدية / ٢٩٠ ـ ٢٩١/.

(٣) انظر أقوالهم فيما مرّ من فصول متفرقة / في البابين السابقين/.

(٤) الشيخ الغزالي داعية إسلامي كبير، له جهوده في مجال الدعوة فجزاه الله خيراً، ولا يلتقي مع العصرانيين إلا في موقفه من السنة، وتحكيم العقل في بعض القضايا.

إن طوائف من البطالين والفاشلين، وقفت عند ظاهره المرفوض»[1].

رغم أن هذا الحديث قد أخرجه الإمام البخاري بسنده إلى أبي هريرة ولفظه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يدخل أحداً عملُه الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة...»[2].

«وإنها لجرأة بالغة، أن توصف أحاديث النبيّ ﷺ، بأنها ركام من المرويات... وإنه لسير حثيث على خطا المعتزلة، وتتبع لمنهجهم، حذو القذة بالقذة»[3].

● **وقد أنكر حسين أحمد أمين كثيراً من الأحاديث الصحيحة** في كتابه «دليل المسلم الحزين»، وراح يتهم الفقهاء بوضع الأحاديث النبوية، ويهاجم رواة الحديث بشدّة، وما سلم من هجومه حتى بعض الصحابة رضي الله عنهم[4].

ومن أقواله في كتابه: «وكيف يمكن لنا انتقاء الصحيح من الحديث؟ إنه لمن السهل علينا تبين كذب الأحاديث التي اختلقها أتباع الفرق السياسية، كالشيعة والخوارج والأمويين... وكذلك من السهل اكتشاف كذب الأحاديث التي تتنبأ بوصفٍ ليوم القيامة تأباه عقولنا، أو كل ما ناقض المنطق ومجه التفكير السليم..». وذهب ينكر بعض الأحاديث الصحيحة، مردداً أقوال مَنْ سبقه من المبتدعة والحاقدين.

يقول ساخراً من حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال:

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث /ص ١١٩/ للشيخ محمد الغزالي ـ طبعة دار الشروق الأولى /١٩٨٩ م ـ ١٤٠٩ هـ/.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المرضى ـ باب تمني المريض الموت / ج ٧/ ١٠.

(٣) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الصادق الأمين ص ٦٣٤.

(٤) ينظر كتاب «دليل المسلم الحزين» / ص ٤٣ ـ ٦٣/.

«قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله». يسخر من الحديث لأنه لا يخضع لعقله فيقول: «كان انتقاء البخاري للأحاديث الصحيحة على أساس صحة السند لا المتن، فالإسناد عنده وعند غيره هو «قوائم الحديث»، إن سقط سقط، وإن صح السند وجب قبول الحديث مهما كان مضمون المتن[1].

● **حديث الآحاد**: أثار العصرانيون الشبهة بعدم الاحتجاج به في العقيدة، كما أثارها أسلافهم[2].

وهي درع يتترس بها أهل البدع في ماضيهم وحاضرهم. قال ابن حزم رحمه الله: «وإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبيّ ﷺ، يجري على ذلك كل فرقة... حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ، فخالفوا الإجماع في ذلك»[3].

وقال الشيخ ناصر الألباني: «إن القول بأن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقيدة قول مبتدع محدث، لا أصل له في الشريعة الإسلامية الغرّاء، وهو غريب عن هدي الكتاب وتوجيهات السنة، ولم يعرفه السلف الصالح رضوان الله عليهم... وإنما قال هذا القول جماعة من علماء الكلام وبعض من تأثر بهم من علماء الأصول من المتأخرين، وتلقاه عنهم بعض الكتاب المعاصرين بالتسليم دون مناقشة ولا برهان...

وإذا أُخذ بهذا القول، يستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عنه ﷺ لمجرد كونها في العقيدة»[4].

لقد رد هؤلاء أحاديث كثيرة تتعلق بالغيب والجن، وأخبار الآخرة،

---

(١) دليل المسلم الحزين: حسين أحمد أمين /ص ٦٠، ٥٩/.
(٢) ينظر الجذور الفكرية والتاريخية لهذه المدرسة ـ الباب الأول.
(٣) الإحكام في أصول الأحكام: لابن حزم /ج ١/١٠٢.
(٤) حديث الآحاد حجة بنفسه.

وأحاديث البرزخ، وحديث إسلام شيطان النبي، كما ردّها قبلهم، محمد عبده ورشيد رضا ومن تبعهم.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «أصول العقائد وقضايا الإيمان التي يكون بها المرء مؤمناً... لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد»[1].

وقال الشيخ محمد الغزالي: «إن العقائد: أساسها اليقين الخالص الذي لا يتحمل أثارة من شك، وعلى أي حال فإن الإسلام تقوم عقائده على المتواتر النقلي، والثابت العقلي، ولا عقيدة لدينا تقوم على خبر واحد، أو تخمين فكر»[2].

وقد ناقشنا حجية حديث الآحاد في الأبواب السابقة[3].

٣ ـ موقفهم من الفقه والفقهاء:

لقد هاجم العصرانيون الفقهاء وأهل الحديث معاً، حتى يحطموا تراث أمتنا الناصع، ويخلو لهم الجو لزرع ما يريدون من تطوير عقلي، لا يخضع لضوابط الشرع الحنيف.

قال حسين أحمد أمين يهاجم الفقهاء وأهل الحديث معاً: «لقد شاءت المعارضة، التي باتت لها الغلبة في الدولة، أن ترجع كافة الأحكام الشرعية إلى سند من القرآن أو السنة، وأبت الأخذ بالرأي والاجتهاد» وذلك في القرنين الثاني والثالث من الهجرة.

ثم يقول: «وإذا كانت الأحاديث المتوفرة آنذاك قليلة ولا تكفي، لجأ القوم إلى الاختلاق، وقد عظم هذا الاختلاق للأحاديث كلما زاد إصرار العلماء والعامة على الاستناد إلى الحديث في بيان الأحكام، أي أن العرض زاد بزيادة الطلب»[4].

---

(١) مجلة المنار / مجلد ١٩/ ص ٢٩/.
(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: ص ٦٦.
(٣) انظر: موقف المعتزلة والإصلاحيين من حجية حديث الآحاد.
(٤) دليل المسلم الحزين: (ص ٦٢).

وقد اتهم حسين أحمد أمين بني أمية بتشجيع الفقهاء لوضع الأحاديث، ومنها حديث «لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد» ليصرفوا الناس عن الحج أثناء سيطرة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على الحجاز وذلك بزيارة مسجد الصخرة الذي بناه عبد الملك بن مروان في القدس[1].

والاتهامات ساقطة من أساسها، وتافهة لا تنم إلا عن ضحالة فكر وتبعية ذليلة لمستشرق حاقد.

وهذا الاتهام مسروق من أستاذه (جولد زيهر) الذي قال: «وقد استغل هؤلاء الأمويون أمثال الإمام الزهري بدهائهم في سبيل وضع الحديث»، وإن عبد الملك وجد الزهري وهو ذائع الصيت مستعداً لأن يضع له أحاديث فوضع حديث «لا تشد الرحال» وحديث «الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه».

والحديث في المساجد الثلاثة رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم: كتاب الحج[2].

«ورمي هذا المستشرق اليهودي للزهري بالوضع لم يشركه فيه أحد من العلماء، ولم يؤثر عن أحد منهم تشكيك في أمانته وثقته ودينه، بل كان من الثقة والتثبت والتقوى والورع بمكان عظيم»[3]. وإن ما يردده حسين أحمد أمين من التشكيك بعلماء الحديث والفقه مستمد من أقوال المستشرقين بل من أشدهم حقداً وعصبية، يردد قول جولد زيهر: «ونظراً لما وقع في أيديهم ـ أي العلماء ـ من الأحاديث، لم يكن ليسعفهم في تحقيق أغراضهم، أخذوا يخترعون من عندهم أحاديث رأوها مرغوب فيها، ولا تنافي الروح الإسلامية، وبرروا ذلك أمام ضمائرهم بأنهم إنما يفعلون

---

(١) السابق: (ص ٢١ ـ ٢٢).
(٢) وقد ناقشنا هذه الاتهامات في فصل (التغريب) مطاعن المستشرقين على السنة النبوية.
(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي ص ٢١٣.

هذا في سبيل محاربة الطغيان والإلحاد والبعد عن سند الدين»[1].

ومن الغريب أنّ دعاة العقلانية يلغون عقولهم، أمام حقد المستشرقين بشكـل مسف وساذج.

٤ ـ ويرد العصرانيون كثيراً من الأحاديث بحجة أن القرآن أولى بالاتباع:

لأنه لا شك في صحته، وأن كتاب الله فيه كليات الشريعة وأصولها التي لم يتلاعب بها الرجال.. ولعل هؤلاء قد تأثروا بانحرافات القرآنيين في شبه القارة الهندية وبشطحات المعتزلة. قال محمد الغزالي: «كان أئمة الفقه الإسلامي يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب، يعتمد على القرآن أولاً، فإذا وجدوا في ركام المرويات ما يتسق معه قبلوه، وإلا فالقرآن أولى بالاتباع»[2].

ومن المعلوم أن معارضة السنة بالقرآن مذهب رديء تبناه أهل البدع والضلالة من المعتزلة ومن سار على منوالهم.

«وزعم الغزالي أن أئمة الفقه كانوا يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولاً زعم منافٍ لما كان عليه أئمة الفقه، فما كانوا رحمهم الله ينظرون إلى السنّة نظرة الغزالي لها، تلك النظرة التي تبنى على تهميشها وتهوين أمرها، وإنما كانوا يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن والسنّة، لاعتقادهم أنّ السنة الثابتة لا تخالف القرآن»[3].

ويدعو محمد عمارة إلى تقليد مكتبات أمريكا في عرض الكتاب المقدس وخدمته فيقول: «لقد رأيت في أمريكا كثيراً من المكتبات التي تعرض الكتاب المقدس وخدمته بوسائل مدهشة، فلماذا لا نفيد من ذلك، ونهتم بالمصدر الأول لديننا وتشريعاتنا بدلاً من التقاتل حول أحاديث الآحاد، وهي لا تفيد كثيراً في مجال العقائد والتشريعات»؟![4].

---

(١) السابق: (ص ٢٠١).

(٢) السنة النبوية: (ص ١٨).

(٣) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين (ص ٧٤٩ ـ ٧٥٠).

(٤) جريدة المسلمون: العدد (٢٧٦) السنة السادسة.

وقال أيضاً: «إذا وجدت حديثاً منسوباً إلى رواة عدول لا ألجم عقلي وأمنعه من النظر بحجة أنّ السند هو كل شيء، لأنه لا بد أن يكون لعقلي مجال في المتن، ولا بد أن أحاكم هذا الذي هو ظني الثبوت إلى ما هو قطعي الثبوت، وهو كتاب الله وحقائق العلم»(١).

إنه منهج الاعتزال الذي لم يحد عنه القوم قيد أنملة، بل كانوا أشد صلفاً وأبلغ جرأة وتمادياً في التيه.

ولقد سأل رجل عمران بن حصين فحدثه فقال الرجل: حدثونا عن كتاب الله عزّ وجلّ، ولا تحدثونا عن غيره.

فقال: إنك امرؤ أحمق، أتجد في كتاب الله صلاة الظهر أربعاً لا تجهر فيها؟ أتجد هذا مفسراً في كتاب الله؟!

كتاب الله قد أحكم ذلك، والسنّة تفسره.

● وقال علي رضي الله عنه لعبد الله بن عباس حين بعثه إلى الخوارج: «ولا تخاصموهم بالقرآن، فإنه حمال ذو وجوه، ولكن حاججهم بالسنّة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً»(٢).

لقد أصبح هذا المصطلح تكأة في يد بعض العلمانيين وأصحاب الأهواء إذْ أرادوا الخروج على الشريعة، وتجاوزوا حدود الله، إذ يتبجحون بأنهم ليسوا «نصوصيين» وإنما هم يدركون (روح الدين) ويراعون المقاصد العامة للإسلام(٣).

والحديث الشريف ـ ثاني مصادر الشريعة الإسلامية ـ هو المفسر الأول والمبين لكتاب الله تعالىٰ، ولذلك عني به علماء المسلمين عناية تفوق

---

(١) جريدة المسلمون: العدد السابق (ص ١١).
(٢) راجع أصول التشريع الإسلامي: علي حسب الله، (ص ٣٨، ٣٩) نقلاً عن: العصريون معتزلة اليوم (ص ٧٩).
(٣) انظر: ثقافة الضرار / جمال سلطان/ ص ٦٨ ـ ٦٩/ .

الوصف، فظل الحديث مصفّى من الشوائب، وكان لا بد للمبتدعة من أن يحاولوا اختراق هذا الجدار المنيع الذي يحمي أسس العقيدة أو الشريعة، ليتمكنوا من الزيادة في الدين أو النقص منه حسب ما يشاؤون..»[1].

٥ ـ التشكيك في منهج المحدثين[2]:

رغم أن نهج المحدثين كان وما يزال من أروع المناهج دقة وضبطاً وأمانة وحسن أداء، إلا أن أهل البدعة في القديم والحديث حاولوا الغض من هذا البنيان الشامخ بلا دليل معقول أو توجه مقبول، فقد شككوا في مدى اعتناء أهل الحديث بمتن الحديث واتهموهم بقلة فقههم بالمرويات وفيما يلي أبرز شبهاتهم:

أ ـ زعموا أنّ علماء الحديث وقفوا مع الإسناد ولم يتعدوه إلى غيره، فقد اهتموا اهتماماً بالغاً بنقد الأسانيد وتمحيصها، ولكنهم لم يعتنوا بنقد المتون، ولو فعلوا لقضى نقد المتون على كثير من الأحاديث التي ثبتت صحة أسانيدها[3].

● وهذه شبهة استقاها هؤلاء القوم من أساتذتهم المستشرقين، وتعتبر تجنياً سافراً على منهج المحدثين الذين تناولوا الحديث من كل جوانبه، سواء فيما يتعلق بالإسناد أو المتن، وهذه مؤلفاتهم أعظم شاهد على ذلك.

ب ـ قلة فقه علماء الحديث بالمرويات: قال الغزالي معرضاً بأهل الحديث: «إن أهل الفقه هم الذين يتحدثون عن الإسلام ويشرحون المرويات التي حفلت بها الكتب ووقع عليها الدهماء كما يقع الذباب على

---

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث: محمد العبدة (ص ٨١ ـ ٨٣).

(٢) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق (ص ٨٢٤ ـ ٨٤٤).

(٣) انظر: تفسير المنار ٣/١٤١، ومجلة المنار: مجلد ٩/٤٨٦، وفجر الإسلام (ص ٢١٧ ـ ٢١٨) وضحاه: ٢/ ١٣٠، أضواء على السنة المحمدية (ص ٤ ـ ٥) وانظر طعن المستشرقين في منهج المحدثين / جولدزيهر الفصل الرابع/ ص ١١٣ وما بعدها.

العسل، وقد كان أهل الفقه قديماً هم المتحدثين عن الإسلام، وأعرف الناس بتراث النبوّة[1].

وهذه تهمة قديمة، روجها أهل الابتداع من قبل، وذلك لما جهلوا السنة، وقل علمهم بحديث الرسول، وتشبثوا بالرجال: شنوا حملة على أهل الحديث وعلمائه حرباً لا هوادة فيها، وعلماء الحديث عنوا بفقه الأحاديث عنايتهم بحملها وروايتها، فلم يكونوا زوامل للأخبار وحملة للأسفار فقط كما يزعمون، ومن الذي يدعي أن مالكاً والشافعي وأحمد بن حنبل والزهري والثوري والأوزاعي والبخاري ومسلماً، وأمثالهم ممن حمل علم الحديث ليسوا بفقهاء، وإنما حملة أسفار، فإن لم يكن هؤلاء هم أئمة الفقه وجهابذته فمن يكون غيرهم[2].

«وفي الحقيقة لا يتوفر الفهم والذكاء والغوص على المعاني في طائفة من الطوائف كما يتوفران في أهل الحديث.. بل لو رجعت إلى المتأخرين منهم ممن اهتم بالحديث كابن الصلاح والنووي وابن تيمية وابن القيْم وابن كثير وابن حجر والشوكاني وابن عبد الوهاب وغيرهم الكثير، لوجدتهم أئمة في الفقه والأصول واللغة والتفسير وغير ذلك. فما بالك بالأئمة السابقين الذين هم أكثر اجتهاداً وأبلغ استنباطاً، وأحد ذكاء وأعمق فقهاً وعلماً من هؤلاء؟!»[3].

والغريب في الشيخ الغزالي، أنه يطعن في علماء الحديث على حساب علماء الفقه، وهي تفرقة غريبة، ومن فرق لم يقصد بذلك الإساءة إلى من يشتغل بالحديث أو بالفقه كما يفعل الغزالي[4].

---

(١) السنة النبوية: (ص ١١١).

(٢) انظر: دفاع عن السنة (ص ٣٤، ٣٥). وموقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ص ٨٣٢.

(٣) انظر كشف موقف الغزالي من السنة /ص ٨١/ مكتبة ابن القيم/ المدينة /١٤١٠ هـ.

(٤) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية /ص ٨٣٤/.

قال الطحاوي رحمه الله: «وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، من أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل»[1].

جـ ـ اختلاف منهج المحدّثين في الجرح والتعديل:

وقد سبق الجواب على هذه الشبهة لدى مناقشتها مع المستشرقين، وما يردده العصرانيون هنا، ما هو إلا تكرار لشبهة أساتذتهم السابقة[2].

● ولكن السؤال المطروح هنا، هو هل قدّم العصرانيون أو من سبقهم منهجاً آخر لنقد الأحاديث النبوية؟!

أم أن في القضية هدماً واتباعاً للحاقدين؟!

العصرانية عموماً تقر بالسنة مصدراً من مصادر التشريع، ولكنها تثير اعتراضات عديدة، مما يجعل إقرارها نظرياً بحتاً.. وما اعتراضاتهم السابقة إلا ادعاءات مكررة منذ قرون خلت، وذلك على أيدي الخوارج والرافضة والمعتزلة، ومن تلاهم من المستشرقين وتلاميذهم المعاصرين، وكلها ادعاءات معروفة توافرت لنقدها، والرد عليها كتب قديمة وحديثة[3].

فنقد السند أشبعه العلماء بحثاً ودقة، أما نقد المتن فقد اهتم به علماء الحديث ووضعوا له قواعد ردوا بها كثيراً من الأحاديث الموضوعة[4].

● وقد لخص **الدكتور مصطفى السباعي هذه القواعد** وبلغ بها خمس عشرة قاعدة منها:

---

(١) متن العقيدة الطحاوية / ص ١٩٠/.

(٢) ينظر فصل التغريب / من الباب الأول/ ص ٩٣ وما بعدها.

(٣) من هذه الكتب:

ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: السباعي.

ـ الرسالة للإمام الشافعي.

ـ تأويل مختلف الحديث: لابن قتيبة.

(٤) ينظر: مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد ص ٢٣٣ ـ ٢٣٩.

ـ ألا يكون الحديث ركيك اللفظ، وألا يخالف بديهيات العقول، ولا القواعد العامة في الحكم والأخلاق، ولا مخالف للحس والمشاهدة، وألا يكون، داعية إلى الرذيلة، وألا يخالف المعقول في أصول العقيدة من صفات الله ورسله، وألا يخالف القرآن، أو محكم السنة بحيث لا يحتمل التأويل . . . إلخ[1].

ولا أحد حتى الآن من العصرانيين أو غيرهم قدم منهجاً متكاملاً يمكنه أن يعتبر منهجاً بديلاً، ولا يعدو الأمر أن يكون دعوى وضجة عن ضعف مناهج الأقدمين، وإمكانية تقديم منهج عصري، ناهيك عن الجرأة (الشديدة في الادعاء، والقصور والعجز[2].

● وأخيراً فما حكم من يرد سنة رسول الله ﷺ؟ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وروى ابن ماجه بسنده إلى المقدام بن معد يكرب الكندي أن رسول الله ﷺ قال:

«يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عزّ وجلّ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإنّ ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله»[3].

---

(١) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١١٥ وما بعدها، (وص ٢٥٠) مطبعة المدني / القاهرة/ ١٣٨٠ هـ.

(٢) مفهوم تجديد الدين (ص ٢٣٧).

(٣) سنن ابن ماجه: المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ برقم ١٢، وأخرج نحوه الترمذي من حديث أبي رافع، كتاب العلم، وقال: هذا حديث صحيح ٥/٣٦ ـ ٣٧، وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني ٦/٣٦٥، برقم (٨٠٣٨).

فالقرآن والخبر الصحيح شيء واحد، وحكمهما واحد في وجوب الطاعة لهما.

قال ابن حزم رحمه الله: «والقرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض، وهما شيء واحد في باب وجوب الطاعة لهما...»[1]. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [سورة الحجر] وسوف نفصل في حكم من يرد سنة رسول الله في الباب الرابع من هذا الكتاب[2].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١/٩٨، تقديم د. إحسان عباس/ ط بيروت / ١٩٨٠ م.

(٢) الباب الرابع: المدرسة العصرانية في الميزان ص ٣٤٥ ـ ٤١٧ من هذا الكتاب.

المبحث الثاني

مزاعم التجديد في الفقه وأصوله

المطلب الأول: موقف العصرانيين من أصول الفقه.

١ ـ نماذج من أقوالهم.

٢ ـ الوسائل والأهداف:

أ ـ السنّة التشريعية وغير التشريعيّة.

ب ـ شريعة الله وشريعة الفقهاء.

جـ ـ الثابت والمتغير في الشريعة.

د ـ ماذا وراء تطوير الفقه وأصوله؟!

● **المطلب الثاني: شذوذات العصرانيين في ميادين الفقه المختلفة.**

١ ـ موقفهم من الحدود الشرعية.

٢ ـ إباحة بعض أنواع من الربا.

٣ ـ موقفهم من قضية المرأة.

٤ ـ إلغاء أحكام أهل الذمة.

المطلب الأول

موقفهم من أصول الفقه

بعد أن شكك العصرانيون بحجية السنّة النبوية، راحوا يهاجمون الفقه والفقهاء، ويدعون إلى تطوير أصول الفقه، والاجتهاد في كثير من القضايا وخاصة في المعاملات، ولو أنهم تخطوا النصوص الشرعية، باسم المصلحة العامة للأمة.

فدعوتهم في ظاهرها تزعم فتح باب الاجتهاد، ولكن ليس هو الاجتهاد، كما عرفه الفقهاء استنباطاً من النصوص، وكشفاً وإظهاراً لحكم الله، وإنما هو اجتهاد لتخطي النص، بل وتخطي سنّة رسول الله ﷺ.

يقول أحد كتابهم: «في العبادات ينبغي الأخذ بالقرآن، وما صح من الحديث، وفي المعاملات يؤخذ بالقرآن وحده، ويستأنس بالحديث استئناساً فقط... ويُبرِّر هذا التفريق بالمأثور الشائع، أنتم أدرى بشؤون دنياكم»[(١)].

والحقيقة إن مآل هذه الدعوة هو الفصل بين الدين والدولة، وقد سلكوا إلى ذلك وسائل عديدة كما سيأتي بيانه في هذا الفصل والفصول اللاحقة.

وقد عرفنا أن المستشرقين بذلوا جهداً ضخماً لتطوير الشريعة الإسلامية فاتهموا الفقه بالجمود، ودعوا إلى تجديد أصوله، وقالوا: إن شريعة الفقهاء ـ كما يسمونها ـ ليست ثابتة، وإن الحياة متطورة متجددة،

---

(١) أين الخطأ: عبد الله العلايلي / ص ١٢١ ـ ١٢٢/ طبعة دار العلم للملايين ـ بيروت/ ١٩٧٨ م.

وأن العرف والعادة يمكن أن يتساويا مع الشريعة، وزعموا أنّ القوانين (الأحكام) لا تدخل في مفهوم الدين...[1].

١ ـ نماذج من أقوال العصرانيين حول تجديد الأصول:

● وقد آتت هذه الدعوة ثمارها عن طريق العصرانيين الجدد، وكان من أوائل الذين دعوا إلى فتح باب الاجتهاد: «**مجلة المسلم المعاصر**». إذ كتب مؤسسها جمال عطية في العدد الأول يصف المجلة بأنها مجلة الاجتهاد وأنها: «تنطلق من ضرورة الاجتهاد، وتتخذه طريقاً فكرياً، ولا تكتفي في البحث في ضرورة فتح باب الاجتهاد في فروع الفقه، بل تتعدّاه إلى بحوث الاجتهاد في أصول الفقه»[2].

ويردد هذه الدعوة آخرون منهم:

● **الدكتور أحمد كمال أبو المجد**: إذ كتب يقول «والاجتهاد الذي نحتاج إليه اليوم، ويحتاج إليه المسلمون، ليس اجتهاداً في الفروع وحدها، وإنما هو اجتهاد في الأصول... ولا يعني امتناع الاجتهاد في الأصول، إلا التزاماً بما لا يلزم، وتقصيراً في بذل الجهد بحثاً عما ينفع الناس»[3].

● **والدكتور حسن الترابي: ممن دعوا إلى تطوير أصول الفقه**، للوفاء بحاجتنا المعاصرة فقال: «وفي يومنا هذا أصبحت الحاجة ملحة إلى المنهج الأصولي، الذي ينبغي أن تؤسس عليه النهضة الإسلامية... إلاّ أن المسألة تتعقد علينا بكون علم الأصول التقليدي... لم يعد مناسباً للوفاء بحاجتنا المعاصرة حق الوفاء، **لأنه مطبوع بأثر الظروف التاريخية** التي نشأ فيها...»[4].

---

(١) ينظر الباب الأول من هذا الكتاب: «المستشرقون وتطوير الشريعة» الفصل الرابع ص ١٢٠.

(٢) مجلة المسلم المعاصر: العدد الافتتاحي / شوال ١٩٧٤ م، د. جمال عطية.

(٣) مجلة العربي: العدد / ٢٢٢ ـ ١٩٧٧ م ـ مقال: مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الإسلامي المعاصر / ص ٢٥٧.

(٤) تجديد أصول الفقه الإسلامي: د. حسن الترابي / ص ١٢/ مكتبة دار الفكر - الخرطوم / ١٤٠٠ هـ.

ولتبرير حملة الرفض لفقه القدماء، وتمييع الإجماع يقول الدكتور الترابي: «إن الفقهاء، ما كانوا يعالجون كثيراً من قضايا الحياة العامة، إنما كانوا يجلسون مجالس العلم المعهودة، ولذلك كانت الحياة العامة تدور بعيداً عنهم، والنمط الأشهر في فقه الفقهاء والمجتهدين، كان فقه فتاوى فرعية...

فالفتاوى المتاحة تهدي (عادةً) الفرد كيف يبيع ويشتري، أما قضايا السياسية الشرعية الكلية، وكيف تدار حياة المجتمع بأسره إنتاجاً وتوزيعاً، استيراداً وتصديراً، علاجاً لغلاء المعيشة أو خفضاً لتكاليفها، هذه مسائل لم يعن بها أولياء الأمور، ولم يسائلوا عنها الفقهاء، ليبسطوا فيها الفقه اللازم»[1].

ثم يتابع الدكتور الترابي اتهامه لصلاح الفقه في مسايرته للحياة المعاصرة فيقول: «إنّ العلم البشري قد اتسع اتساعاً كبيراً، وكان الفقه القديم مؤسساً على علم محدود بطبائع الأشياء وحقائق الكون وقوانين الاجتماع، مما كان متاحاً للمسلمين في: زمن نشأة الفقه وازدهاره، أما العلم النقلي الذي كان متاحاً في تلك الفترة فقد كان محدوداً أيضاً، مع عسر في وسائل الاطلاع والبحث والنشر، بينما تزايد المتداول في العلوم العقلية المعاصرة بأقدار عظيمة، وأصبح لزاماً علينا أن نقف في فقه الإسلام وقفة جديدة لنسخر العلم كله لعبادة الله، ولعقد تركيب جديد يوحد بين علوم النقل (والعقل) التي تتجدد كل يوم، وبذلك العلم الموحّد نجدد فقهنا للدين...»[2].

ويقول: «ولا نكاد نجد في الفقه إلا أحكاماً لا يمكن أن تؤسس لنا بناء اقتصادياً للمجتمع الحديث، فإذن فكرنا الاعتقادي والفقهي قد تقادم وينبغي أن يتجدد بالرجوع إلى الأصول مرة أخرى»[3].

---

(١)(٢)تجديد أصول الفقه الإسلامي: د. حسن الترابي / ص ١٤ وص ٨.

(٣) تجديد الفكر الإسلامي / الترابي/ ص ١٣، الدار السعودية للنشر / ١٩٨٧ م.

● ومن الذي قال إن الفقه الإسلامي كان مؤسساً على ثلاثة علوم محدودة: هي العلم بطبائع الأشياء والعلم بحقائق الكون وبقوانين الاجتماع؟!

إن كل مبتدىء في علم الفقه وأصوله يعلم أنّ الأحكام الفقهية مؤسسة على الكتاب والسنّة والقياس والإجماع، ومن الذي قال: إن العلم النقلي من نصوص الكتاب والسنّة كان محدوداً في زمن نشأة الفقه وازدهاره؟[1].

أما سمع الإمام أحمد يقول: «انتقيت هذا المسند من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفاً»[2].

● لقد هاجم الترابي أصلي القياس والإجماع وراح يدعو إلى فتح باب الاجتهاد لكل مسلم.

يقول: «وإذا لجأنا هنا للقياس لتقوية النصوص وتوسيع مداها، فما ينبغي أن يكون ذلك هو القياس بمعاييره التقليدية، فالقياس التقليدي أغلبه لا يستوعب حاجتنا، لما غشيه من التضييق انفعالاً بمعايير المنطق الصوري، التي وردت على المسلمين مع الغزو الثقافي الأول، الذي تأثر به المسلمون تأثراً لا يضارعه إلا تأثرنا اليوم بأنماط الفكر الحديث»[3].

وعلى طريق الديمقراطية ومشاركة الشعب في الاجتهاد يقول: «الاجتهاد مثل الجهاد وينبغي أن يكون منه لكل مسلم نصيب»، «وكذلك اتسم فقهنا التقليدي بأنه فقه لا شعبي، وحق الفقه في الإسلام أن يكون فقهاً شعبياً»[4].

---

(١) انظر: التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين ص ١١ ـ ١٢/ د. محمود الطحان/ مكتبة التراث /الكويت/ ١٤٠٥ هـ.

(٢) تدريب الراوي للسيوطي: ١/ ١٠، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط ٢/ دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

(٣) تجديد الفكر الإسلامي /ص ٨٢/ ط الدار السعودية للنشر.

(٤) تجديد الفكر الإسلامي: محاضرة بجامعة الخرطوم /١٩٧٧ م ص ١٠.

● **ويتابع الدكتور محمد عمارة زملاءه في حملتهم على الفقه والفقهاء**، ودعوتهم إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، لكل مدعٍ وعامي لا علم له بالكتاب والسنة.

يقول: «إن الاجتهاد يجب أن يخرج وأن نخرج به من ذلك الإطار الضيق الذي عرفه تراثنا الفقهي، الذي لا يزال يفكر فيه دارسو الفقه... فهؤلاء ليسوا وحدهم المطالبين بالاجتهاد، بل إن المطالب به هم علماء الأمة وأهل الخبرة العالية فيها، ومن كل المجالات والتخصصات، لأن ميدانه الحقيقي هو أمور الدنيا، ونظم معيشتها ونمط حضارة المسلمين، وليس إلحاق فروع الدين بأصولها، لأن هذه الأصول قد تمت بتمام الوحي، وتلك الفروع قد أوسعها الأقدمون بحثاً واجتهاداً»[1].

فالمجتهد عند عمارة يمكن أن يكون بلا علم بالقرآن والسنّة واللغة والأصول، لأنّ مجال المجتهد هو (أمور الدنيا) ولا يشترط لها كل هذا من العلوم الشرعية، وإنما يشترط لها أن يكون المرء «مستنيراً» «عقلانياً» تقدمياً ثورياً حضارياً، فمن جمع هذه الصفات فهو شيخ الإسلام حقاً، وهذا أغرب الأقوال في الاجتهاد، ولو سمع به السلف لأمروا بضرب صاحبه بالجريد وصفعه بالنعال.

وقد بنى كلامه على باطل وهو التفريق المزعوم بين الدنيا والدين، وما بني على باطل فهو باطل»[2].

«وإن الشروط التي وضعت للاجتهاد ابتداء بما رآه الشافعي من العلم بالقرآن ناسخة ومنسوخه والعلم بالسنّة، ومعرفة مواضع الإجماع والخلاف... هي شروط حادثة لحدوث تدوين علم الأصول نفسه»[3].

---

(١) الإسلام والمستقبل: محمد عمارة /ط أولى/ القاهرة/ دار الشروق / ١٩٨٥ م.

(٢) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: سليمان بن صالح الخراشي/ دار الجواب/ الرياض/ ص ٤٧٠.

(٣) رسالة في أصول التشريع الإسلامي: الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم.

وتدعو هذه الرسالة إلى التوسع في أصل الاستصحاب مع أصل المصالح المرسلة، لتتهيأ للمسلمين أصول واسعة لفقه الحياة العام في الإسلام[1].

● ومن غرائب الاجتهاد العصراني **أن بعضهم يدعو «إلى صهر المذاهب الفقهية في بوتقة واحدة** وجعلها مستمداً لا ينضب معينه، وذلك «بالتسليم بكل ما قالت المدارس الفقهية على اختلافها، وتناكرها، حتى الضعيف منها، وبقطع النظر عن أدلتها... واختزانها في مدوّنة منسقة الأبواب كمجموعة «جوستنيان»، وأعني كل ما أعطت المدارس: الإباضية والزيدية والجعفرية والسنية (من حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية وأوزاعية وظاهرية) وذلك بجعل هذه الثروة الفقهية منجماً لكل ما يجد ويحدث»[2].

ويقول أيضاً: «والمرجح هو الظرف فقط... ما دمنا قد سلمنا بأقوال الفقهاء جميعاً، وما هجرناه اليوم من قول في مسألة ما، ثم اقتضاه الظرف بعد حين، نعمد إلى ترجيحه والأخذ به»[3].

وهذه الدعوة التي تطالب بإعادة النظر في التشريع الإسلامي كله دون قيد ليفتح الباب على مصراعيه للقادرين وغير القادرين، ولأصحاب الورع وأصحاب الأهواء، حتى ظهرت الفتاوى التي تبيح الإفطار لأدنى عذر... وتبيح الربا ـ إلا ربا النسيئة أو أصنافاً معينة ـ. وظهرت آراء تحظر تعدد الزوجات وتحذر من الطلاق.. وبذلك تحول الاجتهاد في آخر الأمر إلى تطوير للشريعة الإسلامية، يهدف إلى مطابقة الحضارة الغربية، أو الاقتراب منها إلى أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل على أقل تقدير[4].

وإنها لدعوى عريضة في الاجتهاد غير المؤصل، **وأبرز الأمور** التي أثارها هؤلاء للوصول إلى أغراضهم هي:

---

(١) السابق (ص ٢٣، ٢٥).
(٢)(٣) أين الخطأ: عبد الله العلايلي (ص ١٠٧ ـ ١١٠) مفتي لبنان السابق.
(٤) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين ص ٧٠.

أ ـ السنّة التشريعية وغير التشريعية[1]: يقوم مبدأ تقسيم السنّة إلى تشريعية وغير تشريعية على مبدأ التمييز بين بشرية الرسول ونبوته، وهي من القضايا التي تلتقي فيها العصرانية يهوديها ونصرانيها ومسلمها في هذه القضية، التي يعبر عنها أحياناً بمبدأ التمييز بين ما هو إلهي وبشري في الدين.

ولعل لليهود والنصارى عذرهم في المناداة بهذا المبدأ، لأن الحاخامات والبابوات عندهم، زعمت أن كل ما يصدر منها هو وحي من عند الله، وادّعت المسيحية ألوهية المسيح، ولذلك كانت المطالبة بفصل ما هو إلهي، ومصدره الإله، عن ما هو بشري ومصدره البشر، وتأكيد بشرية المسيح، مطالبة لها مسوغاتها ودوافعها في اليهودية والنصرانية، أما في الإسلام فهو تقليد أعمى ليس غير. وقد اتخذت فكرة الفصل بين الجزء الإلهي في الدين والجزء البشري مبدأين في الإسلام على أيدي العصرانيين:

الأول: التمييز بين بشرية النبيّ ﷺ ونبوّته.

الثاني: التمييز بين شريعة الله وشريعة الفقهاء.

ويشرح الشيخ عبد الوهاب خلاف مبدأ التمييز بين بشرية النبيّ ونبوّته فيقول تحت عنوان «ما ليس تشريعاً من أقوال الرسول وأفعاله هو ما صدر عن رسول الله من أقوال وأفعال، إنما يكون حجة على المسلمين واجباً اتباعه إذا صدر عنه بوصفه أنه رسول الله ﷺ، وكان مقصوداً به التشريع والاقتداء.

وما صدر منه بمقتضى طبيعته الإنسانية من قيام وقعود ومشي ونوم فليس تشريعاً، لأنّ هذا ليس مصدره رسالته ولكن إنسانيته، لكن إذا صدر منه فعل إنساني ودل دليل على أن المقصود من فعله الاقتداء به كان تشريعاً بهذا الدليل».

---

(١) انظر مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد (ص ٢٤٢ ـ ٢٥٦).
وقد تحدثنا عن هذا التقسيم في المبحث السابق من حيث محاولات العصرانيين لرد الأحاديث المتعلقة بأحكام المعاملات وشؤون المجتمع والسياسة الشرعية. ونكمل ذلك الآن من حيث محاولاتهم تعميق قضية فصل الدين عن الدولة.

• وما صدر منه بمقتضى الخبرة الإنسانية والتجارب في الشؤون الدنيوية فليس تشريعاً أيضاً لأنه ليس صادراً عن رسالته كحادثة تأبير النخل، واختيار مكان معين خلال الحرب.

• وما صدر عن رسول الله، ودل الدليل الشرعي على أنه خاص به، وأنه ليس أسوة فيه، فليس تشريعاً عاماً، كتزوجه بأكثر من أربع زوجات.

والخلاصة أن ما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال في حال من الحالات الثلاث التي بيناها فهو من سنته، ولكنه ليس تشريعاً ولا قانوناً واجباً اتباعه، وأما ما صدر من منه أقوال وأفعال بوصفه أنه رسول ومقصود به التشريع العام واقتداء المسلمين به فهو حجة على المسلمين قانون يجب اتباعه[1].

• وقد توسع بعض العصرانيين: **كالسيد أحمد خان**، ومن على شاكلته في دائرة السنة غير التشريعية، حتى انتهوا عملياً إلى حصر الدين في مجموعة العقائد والعبادات فقط، وهي العلمانية الجديدة باسم الدين.

• ومن ذلك ما قاله: **أحمد كمال أبو المجد**: «إن كثيراً من أقوال الرسول وأفعاله قد صدرت عنه بحكم بشريته ﷺ دون أن يكون المقصود منها التشريع، وتقرير الأحكام الملزمة للناس من بعده»[2].

• **فما حجج العصرانيين في تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية؟**

من أبرز أدلتهم التي يسوقونها: أفعال الرسول الجبلية، وخططه الحربية، وحديث تلقيح النخل، والأحاديث النبوية حول الطب، وتصرفات الرسول ﷺ في قضايا الإمامة والقضاء.

هذا وإن «أفعال الرسول الجبلية، ليس فيها أسوة أو قدوة ولا يتعلق

---

(١) علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف ص ٤٤ بإيجاز /ط الكويت/ ١٩٦٨ م/ الثامنة.

(٢) مجلة العربي: العدد / ٢٢٥/ أغسطس/ ١٩٧٧/ ص ١٦/.

بها أمر باتباعه ﷺ، أو نهي عن مخالفته ولكن مع ذلك فإن هذه الأفعال تدل على إباحتها، والإباحة من الأحكام الشرعية»[١].

إلاّ أن الذين بحثوا هذا الموضوع من العصرانيين، لم يحددوا بالضبط ما يريدون من مصطلح السنّة التشريعية أو غير التشريعية.

ـ وحديث تلقيح النخل «أنتم أعلم بأمور دنياكم»[٢]. له رواية أخرى عند مسلم أيضاً بلفظ «ما أظن ذلك يغني شيئاً». وعندما أخبروا ذلك تركوه، فأخبر الرسول ﷺ بذلك، فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عزّ وجلّ».

«والحقيقة أن النبيّ ﷺ لم يصدر منه أمر للقوم بترك التلقيح، وإنما كان ظناً منه، وهم فهموا أنّ ظنه نهي. ويذكر النووي هذه الحقيقة فيقول: «قال العلماء: ولم يكن هذا القول خبراً، وإنما كان ظناً، كما تبين في هذه الروايات»[٣].

إلاّ أن **الدكتور العوّا** يقول عن هذا الحديث: «ولو لم يكن غير هذا الحديث الشريف في تبيين أنّ سنته ﷺ، ليست كلها شرعاً لازماً، وقانوناً دائماً، لكفى ففي نص عبارة الحديث تبين أن ما يلزم اتباعه من سنة رسول الله ﷺ، ما كان مستنداً إلى الوحي فحسب، وذلك غالبه متعلق بأمور الدين، وأقله متعلق بأمور الدنيا، فإن ما لا وحي فيه من شؤون الدنيا، فالأمر فيه للخبرة والتجربة والمصلحة..»[٤].

والواقع أن الحديث لا يبيح الابتداع في الدين، ولا يعطي ضوءاً أخضر في تنحية الدين جانباً بحجة أننا أعلم بشؤون دنيانا.

---

(١) إرشاد الفحول: للإمام الشوكاني ص ٣٣/ مطبعة السعادة القاهرة/ ١٣٢٧ هـ.

(٢) رواه مسلم: ج ١٥/ ص ١١٦/ شرح النووي.

(٣) شرح النووي على مسلم /ج ١٥/ ص ١١٧.

(٤) مجلة المسلم المعاصر: ص ٢٩/ العدد الافتتاحي.

وتقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية أمر غير منضبط، وهذا لا يقوم إلا في أذهان العصرانيين فقط، ولم يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين، وأئمة المجتهدين والفقهاء خلال أربعة عشر قرناً، أنه ردّ سنة من سنن الرسول بحجة أنها خاصة بأمور الدنيا، ذلك أن **السنة كلها تشريع** ما كان منها أقوالاً أو أفعالاً[(١)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «إن جميع أقوال الرسول ﷺ يستفاد منها شرع... ويدخل في ذلك ما دل عليه من المنافع في الطب»[(٢)].

روي أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما كان يكتب ما يسمع من النبيّ ﷺ، فقال له بعض الناس: «إن رسول الله ﷺ يتكلم في الغضب، فلا تكتب كل ما تسمع، فسأل النبيّ ﷺ عن ذلك. فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج من بينهما إلا حق - يعني شفتيه الكريمتين -»[(٣)].

أما الأفعال فكلها تشريع، إلا تلك الأفعال الجبلية التي لا تدخل في طوع بشر في اختيار كيفيتها وهيئتها.

ب - شريعة الله وشريعة الفقهاء:

وهو المبدأ الثاني الذي تحاول العصرانية أن تضع به حداً فاصلاً، بين الجزء الإلهي في الدين والجزء البشري إذ يميز العصرانيون بين شريعة الله فتوصف بالثبات والدوام، وبين شريعة الفقهاء، فتوصف بالتغير والتقلب حسب ظروف العصر.

«إننا نؤكد ضرورة التمييز بين الشريعة والفقه، فالشريعة هي الجزء الثابت من أحكام الإسلام، والفقه هو تفسير الرجال لهذا الجزء الثابت المستمد مباشرة من النصوص القطعية وقياساتهم عليه، واجتهاداتهم فيما لا

---

(١) مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد/ ص ٢٥٦ - ٢٥٧.
(٢) الفتاوى لابن تيمية: ج ١٨/ ص ١٢/.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٦٢ وأبو داود في كتاب العلم.

نص فيه، وهو اجتهاد بشر، يتفقون ويختلفون وقلما يجتمعون، وخطؤهم وصوابهم ليس تشريعاً... وذلك كله يرمز إلى الجزء المتغير من تراث الإسلام»[1].

● والحقيقة أن كلمة التغير تحتمل معاني عديدة، ومن الخطأ البين أن يقصد منها إطراح فقه العصور الماضية، والبدء في تدوين فقه عصري جديد.

«وإذا قرر الجيل الحاضر أن يعرض عن كل ما أنجزته الأجيال الماضية من عمل وجهد، وأن يؤسس له بناء جديداً على قواعد جديدة، فإن الأجيال الآتية بعده، ستتخذ قراراً سفيهاً مثل هذا.

ولذا فإن شعباً لم يفارقه العقل، لا يبيد الجهود والأعمال التي تمت على أيدي أسلافه، وإنما يتقدم في الأمام، مضيفاً إلى الأعمال السابقة، أعمالاً جديدة، لم يتح للأولين أن يقوموا بها، وهكذا لا يزال يتقدم بخطى حثيثة في ميدان الكمال والارتقاء»[2].

وإذا كان تقسيم الشريعة إلى شريعة الله، وشريعة الفقهاء، له إيحاءات خاطئة فالأفضل منه أن يجعل ذلك التقسيم أكثر تفصيلاً حتى يكون أكثر بياناً ووضوحاً.

وقد قسم ابن تيمية الشريعة إلى ثلاثة أقسام:

«شريعة منزلة وهي القرآن والسنة، وشريعة اجتهادية وهي ما توصل إليها عن طريق الاجتهاد، وشريعة محرمة وهي التي يظن أنها من الشرع وهي محض افتراءات»[3].

---

(١) مجلة العربي / العدد ٢٢٢/ ص ٢٢/ عدد مايو/ ١٩٧٧ م.
مقال بعنوان: مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الإسلامي المعاصر.

(٢) مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة: أبو الأعلى المودودي (ص ١٧٢) الكويت / دار القلم/ ١٩٧٧ م.

(٣) الفتاوى لابن تيمية: جـ ٣٠٨/١٩.

فالشريعة الاجتهادية تتعدد فيها الآراء، فنقبل ونرفض حسب الأدلة، أما الانحرفات والتحريفات فمرفوضة كلها[1].

جـ ـ الثابت والمتغير في الشريعة:

ركز العصرانيون على الفصل بين الثابت والمتغير من الشريعة، وزعموا أن تبدل الزمان والمكان، ينقل الأحكام، لأنها كانت صالحة لزمان أهلها فقط.

وقد مرّ معنا في الأبواب السابقة آراء لعدد من كتابهم حول تطوير الشريعة بسبب تبدل الزمان والمكان.

من ذلك ما قاله الدكتور النويهي: «إن كل التشريعات التي تخص أمور المعاش الدنيوي والعلاقات الاجتماعية بين الناس، والتي يحتويها الكتاب والسنّة، لم يقصد بها الدوام وعدم التغير، ولم تكن إلا حلولاً مؤقتة احتاج إليها المسلمون الأوائل وكانت صالحة وكافية لزمانهم، فليست بالضرورة ملزمة لناج...»[2].

● ويذكر العصرانيون تأييداً لرأيهم في **تغير الأحكام تبعاً لتغير المصالح حججاً واهية**، من أبرزها:

اجتهادات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهم يرون أنه لم يتمسك فيها بالتطبيق الحرفي للنصوص، من ذلك أنه منع عطاء المؤلفة قلوبهم رغم أن النص القرآني ما يزال ثابتاً.

ومنها استبدال الإمام الشافعي لمذهبه العراقي القديم، بمذهبه المصري الجديد[3].

---

(١) مفهوم تجديد الدين: ص ٢٥٩/ بسطامي محمد سعيد.

(٢) مجلة الآداب، بيروت عدد مايو /١٩٧٠/ ص ١٠١/ من مقال للدكتور محمد النويهي بعنوان «ثورة الفكر الديني».

(٣) راجع مقال الدكتور معروف الدواليبي /النصوص وتغير الأحكام، مجلة المسلمون / العدد السادس/ السنة الأولى (ص ٥٥٣ وص ٥٥٥).

يقول النويهي عن ذلك: «فأي شيء هذا إن لم يكن إلغاء تشريع قرآني حين اعتقد أن الظروف المتغيرة لم تعد تجيزه؟ لكن هل يجرؤ علماؤنا وكتابنا على مواجهة هذه الحقيقة الصريحة؟»[1].

● رد الشبهات التي أثارها العصرانيون:

ـ الحقيقة أن عمر رضي الله عنه، حينما لم يبق وجود لمصرف الزكاة للمؤلفة قلوبهم أوقفه، وليس ذلك إلغاء لتشريع قرآني، فإذا وجد هؤلاء في أي عصر أعطوا، وإذا لم يوجدوا لم يعطوا[2].

ومن ذلك عندما درأ عمر الحد بالشبهة عام المجاعة، في قضية وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين.

ـ والإمام الشافعي في مذهبه القديم والجديد، إنما كان ذلك من باب إعادة النظر في آرائه القديمة، وتغير اجتهاده فيها، وهو أمر عادي، بسبب زيادة علمه وخبرته، لا بسبب تغير الظروف فقط. يقول أشهر تلامذته وهو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، عن كتبه القديمة والجديدة: «عليك بالكتب التي وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق، ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك»[3].

يقول المودودي يرد على المتلاعبين في نصوص الشريعة: «وليس معنى ذلك أن الإسلام كالألعوبة في أيدي الأطفال، يجوز لكل من شاء من الناس أن يعبث بأحكامه وتعاليمه ويصدر فيها آراءه، كما هو الشأن في قضية أعلام المجتهدين وفتاواهم، ولو لم يكن قد بذل أدنى سعي في فهم

---

(١) مجلة الآداب ـ بيروت /ص ١٠٠/ عدد مايو/ ١٩٧٠ م/.

(٢) راجع منهج عمر بن الخطاب في التشريع: محمد بلتاجي /ص ١٧٥ ـ ١٩١/.

(٣) مناقب الشافعي: البيهقي، ١/٢٦٣، تحقيق أحمد صقر/ القاهرة مكتبة دار التراث / ١٩٧١ م.

القرآن والسنّة والتبصر فيهما. . . وكيف نقبل في أمر الدين ادعاء هؤلاء القوم الذين يتكلمون فيه من غير معرفة بأصوله ومبادئه»[١].

ما الحد الفاصل بين الثابت والمتغير في الشريعة؟![٢]

ـ يقول ابن حزم رحمه الله: «إذا ورد النص من القرآن أو السنة الثابتة في أمر ما، على حكم ما. . . فصح أنه لا معنى لتبدل الزمان، ولا لتبدل المكان، ولا لتغير الأحوال، وأن ما ثبت فهو ثابت أبداً، في كل زمان وفي كل مكان، وعلى كل حال، حتى يأتي نص ينقله عن حكمه في زمان آخر ومكان آخر، أو حال أخرى»[٣].

وعلى هذا فإن القاعدة الفقهية «لا ينكر تغير الأحوال بتبدل الزمان» قد وضعها الفقهاء للقسم الثاني من الأحكام، وهي التي لا تستند مباشرة على نص شرعي، بل مصدرها عرف أو مصلحة سكتت عنها النصوص»[٤].

وهذا ما يؤكده الدكتور مصطفى الزرقاء في بحثه لهذا الموضوع إذ يقول: «من المقرر في فقه الشريعة، أن لتغير الأوضاع والأحوال الزمنية تأثيراً كبيراً في كثير من الأحكام الشرعية الاجتهادية، وعلى هذا الأساس أسست القاعدة الفقهية القائلة: لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان، وقد اتفقت كلمة فقهاء المذاهب على أن الأحكام الاجتهادية من قياس ومصلحة، وهي المعنية بالقاعدة الآنفة الذكر، أما الأحكام الأساسية التي جاءت الشريعة لتأسيسها وتوطيدها بنصوصها الأصلية، فهذه لا تتبدل بتبدل

---

(١) نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور. أبو الأعلى المودودي / ص ٢٤٤، بيروت ـ مؤسسة الرسالة / ١٩٦٩.

(٢) ينظر: مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد / ٢٥٩ ـ ٢٦٢/ .

(٣) الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم / ج ٥/ ٧٧١ وما بعدها.

(٤) انظر شرح المجلة: تأليف محمد خالد الأتاسي / ج ١/ ص ٩١ مطبعة حمص / ١٣٤٩ هـ/ .

الأزمان. بل هي الأصول التي جاءت بها الشريعة لإصلاح الأزمان والأجيال»[1].

- **ماذا وراء تطوير الفقه وأصوله؟!**[2]

زعم العصرانيون أن أصول الفقه ابتدعها الفقهاء، وأن القوانين الوضعية لا تخالف الشريعة الإسلامية.

والنتيجة التي يود هؤلاء أن يصلوا إليها من تطوير الشريعة هو تحكيم القوانين الوضعية، وفي ذلك تنفيذ لمخططات الاستشراق الحاقدة، فقد أثار المستشرق اليهودي «جولد زيهر» قضية أن الفقه الإسلامي، مأخوذ من الفقه الروماني!![3]

وها هو الدكتور محمد فتحي عثمان ينقل كلام أستاذه السنهوري الذي هو نفس رأي «جولدزيهر» السابق. يقول: «الفقه الإسلامي: هو من عمل الفقهاء، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون المدني، وقد صنعوه فقهاً صحيحاً، فالصياغة الفقهية، وأساليب التفكير القانوني واضحة فيه وظاهرة...»[4].

والغاية من كلام السنهوري وإقرار تلميذه له أن يخضع الفقه الإسلامي لإشراف القانون الوضعي ويكيف نفسه حسب ما يقتضيه ذلك الخضوع، وقد حكم عليه السنهوري حكماً صارماً بقوله: «وحيث يحتاج الفقه الإسلامي إلى التطور يتطور، وحيث يستطيع أن يجاري مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير، وهو في الحالتين فقه إسلامي خالص، لم تتداخله

---

(١) مجلة المسلمون: العدد الثامن، ص ٨٩١ ـ الشيخ مصطفى الزرقاء «مقال بعنوان: تغير الأحكام بتغير الزمان».

(٢) انظر: المستشرقون: د. عابد السفياني /ص ١٢٣ ـ ١٣٧/.

(٣) انظر الاستشراق والاستعمار، في الباب الأول من هذا الكتاب ص ١٠٦.

(٤) الفكر الإسلامي والتطور: محمد فتحي عثمان /ص ٢٩/.

عوامل أجنبية، فتخرجه من أصله»، «وحينئذٍ يتجدد شباب هذا الفقه وتدب فيه عوامل التطور فيعود كما كان فقهاً صالحاً للتطبيق المباشر مسايراً لروح العصر»[1].

● «والواقع أن قول السنهوري بأن أساليب الفقه الروماني ظاهرة في الفقه الإسلامي غير صحيح، لأنه يختلف تماماً عنه سواء في طبيعته أو في أغراضه...

فالفقه برأي السنهوري عمل بشري وصناعة لا صلة لها بتلك الأصول التي ابتدعها الفقهاء، وإنهم عندما يقولون الأصل: الإجماع أو القياس، إنما يقولون ذلك تواضعاً...

وتكفي الإشارة هنا إلى أن كل أصل من الأصول ثبتت حجيته بالكتاب والسنّة، وقد بين أهل العلم أدلة وحجية كل من الإجماع والقياس والمصلحة... فهي ليست مبتدعة ـ كما يزعم ـ بل هي منهج الاستنباط الشرعي الذي هو من الدين»[2].

لقد أراد السنهوري برغبة شديدة تطوير الفقه الإسلامي، وإخضاعه لطريقة القوانين وأهدافها، ولا يصل إلى ذلك إلا عن طريقين: **الأول**: قوله إن أسلوب الفقه كأسلوب القانون الروماني، **والثاني**: إنه عمل بشري، غُيّر فيه وبدِّل وأخضع للتطوير والتحوير والفقه الإسلامي مثله، يتصف بأنه بشري، وأسلوبه كأسلوبه. ثم يقول السنهوري: «السيادة في القانون الإسلامي لله وحده، ولكنه يفوضها للأمّة كلّ الأمة، وليس لشخص، ولا لأي مجموعة من الناس أياً كانت».

قال الدكتور الأشقر، بعد أن رد شبه السنهوري وأمثاله: «لا يخفى

---

(١) الفكر الإسلامي والتطور: فتحي عثمان (ص ٣٠).
(٢) المستشرقون: د. عابد السفياني (ص ١٢٥ ـ ١٢٦) بتصرف وإيجاز وانظر: الاجتهاد في كتابه: الثبات والشمول.

على المسلم ما في هذه الأقوال من كفر وضلال»[1].

ولكن أين الدليل الذي يثبت أن الله منح الأمّة حق التشريع، وفوض إليها وضع القانون؟! هل ورد في الكتاب أم في السنة؟ كلا لم يرد وإنما ورد ذلك في قاموس الفكر الأوروبي...

وقد حاول المستشرقون (أساتذته) جاهدين لإعطاء الأمّة حق النشريع وحق النسخ عن طريق دليل الإجماع، إلا أن **الفقه الإسلامي**: له أصوله الشرعية، وهو مرتبط بهذه الأصول من حيث اعتقاد حجيتها، وأنه ليس لفقيه أن يخرج عنها، ولا يذكر الفقهاء حكماً واحداً، إلا بينوا كيفية ارتباطه بالكتاب والسنّة[2].

إلاّ أن بعض رجال القانون المعاصرين يكابرون، ويصرون على التشابه بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي.

يقول الدكتور عبد المنعم الصرّة: «يتبين لي أن الفقه الإسلامي يجمع كل الآراء والمذاهب التي توجد في نطاق القانون الوضعي ولهذا لا نبعد عن الصواب كثيراً حينما نردد ما أورده بعض الزملاء في المحاضرات التي ألقيت في الجلسة الماضية - خلال أسبوع الفقه الإسلامي - فقد كانوا على حق حينما قالوا: إن أكثر من تسعين في المائة من أحكام القانون الوضعي لا تخالف أحكام الشريعة، لأنه في الواقع معظم أحكام المعاملات تتفق مع مصالح الناس، ومن المعقول جداً أن جميع الآراء الوضعية لا بد أن تكون قد وردت في نطاق الفقه الإسلامي»[3].

وقد علق الدكتور الأشقر على ما سبق بقوله: «هذا الذي يقرره بعض

---

(١) الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د. عمر سليمان الأشقر ص ١١١ دار النفائس - مكتبة الفلاح - الثالثة / ١٤١٢ هـ.

(٢) المستشرقون: السفياني ص ١٢٨.

(٣) أسبوع الفقه الإسلامي: نقلاً عن الشريعة الإلهية للأشقر ص (١١٣ - ١١٤).

رجال القانون الوضعي ليس له من الصحة نصيب، وقائلوه إما مخادعون أو مخدوعون، وتبين هذا الخداع لا يخفى على من له بصيرة في دينه»[1].

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

والفوارق شاسعة ومتناقضة في قضايا الاعتقاد وفي المقاصد.

إذ أن الشريعة الإلهية هي حكم الله، والقانون الوضعي حكم جاهلي، كله سفه ونقص وعجز وقصور.

والشريعة الإلهية فصلها الله الذي خلق الإنسان، وهو أعلم به فهي ثابتة باقية إلى يوم القيامة، أما القانون الوضعي فهو صناعة بشرية من أناس يتصفون بالعجز والنقص والتحريف، وتتحكم فيهم الشهوات..[2].

إلا إنها التبعية عند العصرانيين الجدد الذين يرون التقدم في القوانين الأجنبية منذ أقدم العصور. يقول فتحي عثمان: «وعلينا ألا نتطرف في التنكر لأنظمة مرت بمراحل تقدمية كبرى في الفكر والتطبيق، قبل أن نتطور بثروتنا الفقهية التي تكدس عليها غبار القرون من التعطيل والتجميد»[3].

ولنا أن نتساءل عن هذه المراحل التقدمية؟!

يقرر البحث العلمي أن مراحل القانون الوضعي تبدأ بقانون «حمورابي» وقانون «مانو» وقانون «أثينا» والقانون «الروماني». والقانون «الكنسي الأوروبي» مأخوذ من القانون الروماني، ومما شرعه الرهبان، ثم قانون نابليون، وهذه هي المراحل التقدمية الكبرى في الفكر والتطبيق عند المؤلف[4].

---

(١) الشريعة الإلهية: الأشقر ص ١١٣.

(٢) المستشرقون: د. عابد السفياني (ص ١٣١ ـ ١٣٢) بإيجاز.

(٣) الفكر الإسلامي والتطور: فتحي عثمان / ص ١٦٨.

(٤) انظر الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية / ص ٤٥ ـ ٥٠.

أعرفت أخي القارىء!! ماذا يكمن وراء هذا الضجيج لتطوير الفقه وأصوله؟! أرأيت الهدف الكامن وراء محاولات هدم هذا الصرح الشامخ؟!

إنها العلمانية الجديدة، التي غزت عقول هؤلاء وأفئدتهم، لتبرير تحكيم القوانين الوضعية في ديار المسلمين، أو للتهوين من شأنها، ومن ثم مساواتها بأحكام شريعة السماء[1].

---

(١) سوف نفصل القول في حكم الإسلام في تحكيم القوانين الوضعية، وتبني العلمانية في شؤون الحياة. الباب الرابع من هذا الكتاب فصل: العصرانية دعوة إلى العلمانية ص ٤٠٧.

المطلب الثاني

شذوذات العصرانيين في ميادين الفقه المختلفة

١ ـ موقفهم من الحدود الشرعية.

٢ ـ إباحتهم للربا.

٣ ـ موقفهم من قضية المرأة: حجابها، وحقوقها السياسية والاجتماعية.

٤ ـ إلغاء أحكام أهل الذمة.

لقد خرج العصرانيون علينا بفقه غريب شاذ، يريد تبرير الواقع المعاصر، لإدخال كثير من القيم الغربية في دائرة الإسلام. ذلك أن موقفهم من النصوص الشرعية عجيب، فإذا كانت الآية واضحة الدلالة، والأحاديث النبوية صحيحة. قالوا: إن هذه النصوص كانت لمناسبات تاريخية، لا تصلح لعصرنا الحاضر، وإذا كانت أحاديث آحاد قالوا: لا يؤخذ من خبر الآحاد تشريع ولا تبنى عليه عقيدة، أو أنغوا بعض الأحاديث الصحيحة بحجة أنها سنة غير تشريعية... ثم يتهمون الفقهاء بعد ذلك بالجمود وضيق الأفق!!.

إن هذه التجاوزات ـ لو أخذ بها ـ فلن تترك ثابتاً من ثوابت الإسلام إلا وحاولت مسخه أو تشويهه، ومن ثم فالعصرانيون يرددون دائماً آراء من سبقهم من أصحاب المدارس العقلية، أو ترهات المستشرقين وأحقادهم.

١ ـ موقفهم من الحدود:

حاول العصرانيون تبرير رفضهم لإقامة الحدود الشرعية، بحجج واهية كالشفقة، وأن قطع اليد أو الرجم، ما هي إلا قسوة ووحشية، لا تناسب العصر الحاضر؟!

هكذا يملي عليهم أساتذتهم من المستشرقين - يهوداً أو نصارى - وإلا فإن الرسول ﷺ غضب أيما غضب، عندما أراد أسامة بن زيد - حِبّ رسول الله - أن يشفع بالمرأة المخزومية التي سرقت...

«فالمجني عليه أحق بالشفقة من الجاني».

ولأساطين العصرانية آراء عجيبة في هذا المجال...

● **فالشيخ عبد الله العلايلي**: مثلاً، يرى أنّ إقامة الحدود لا تتم إلا في حال الإصرار، أي المعاودة تكراراً ومراراً، إذ أن آخر الدواء الكي.. وبلغ من استهزائه بالحدود الشرعية أن قال: «إن إنزال الحد لا يتفق مع روح القرآن الذي جعل القصاص صيانة للحياة، وإشاعة للأمن العام، وليس لجعل المجتمع مجموعة مشوهين: هذا مقطوع اليد، والآخر مقطوع الرجل والآخر مفقوء العين، أو مصلوم الأذن، أو مجدوع الأنف»[1].

أما الرجم: فيقول فيه بمذهب الخوارج: «لا رجم في الإسلام كما هو مذهب الخوارج عامة، ومنهم من يعتد بخلافه فقهياً... على أن ما شاع من قول بالرجم يعتمد على طائفة من الأحاديث لم ترتفع عن درجة الحسن، منها الحديث المتعلق بماعز بن مالك، والحديث المتعلق بالغامدية الأزدية[2]. ثم يقول: «ولا يتسنى لزاعم متزمت اتهامي بأني أنكرت نصاً من القرآن، لأني جعلته أقسى العقوبات الزواجر، وأقصى الروادع، التي يلجأ إليها، وذلك على نحو من التأويل المقبول الذي لا يحمّل النص ما لا يحتمل»[3].

ثم يقول: «ومهما يكن فالرأي عندي في الحدود مطلقاً أنها في الشريعة العملية ليست مقصودة بأعيانها، بل بغاياتها، ولا يلجأ إليها إلّا عند اليأس مما عداها»[4].

---

(١) أين الخطأ: عبد الله العلايلي / ص ٧٩ - ٨٠/.

(٢) أين الخطأ (ص ٨٧). العلايلي.

(٣)(٤) أين الخطأ: عبد الله العلايلي/ ص ٩١، ص ٨٩/.

وما دام باب الاجتهاد مفتوحاً وميسوراً عند هؤلاء، فلا عجب أن يبادروا إلى تطوير الأحكام الشرعية، وأن يذهبوا فيها مذهباً عجيباً.

وحد السرقة: عند أبي زيد الدمنهوري يتلخص في «أنه من لم يتعود اللصوصية، لا يعاقب بقطع يده لأن قطعها فيه تعجيز له، ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه»[1] وإلى هذا الرأي ذهب المستشار مصطفى كمال المهدوي، وأيد رأيه الدكتور مصطفى محمود، وزعم أن فيه التزاماً واحتراماً وأن فهمه جدير بالاستماع والتأمل والبحث[2].

والزاني والزانية: في عرف هؤلاء، لا يقام عليهما الحد إلا أن يكونا معروفين بالزنا، وكان من عادتهما وخلقهما، فهما بذلك يستحقان الجلد[3].

ولحسين أحمد أمين فتوى عجيبة في حد السرقة، عندما يقول: «لقد كان الاعتداء على الساري في الصحراء بسرقة ناقته، بما تحمل من ماء وغذاء وخيمة وسلاح في مصاف قتله. لذلك كان من المهم للغاية، أن تقرر الشريعة عقوبة جازمة رادعة بالغة الشدّة لجريمة السرقة في مثل هذا المجتمع»[4].

٢ ـ إباحة الربا في البنوك:

وقد بدأ ذلك الاجتهاد، محمد عبده، وتلميذه الشيخ رشيد رضا،

---

(١) ينظر تفسير الهداية والعرفان، وكان قد حكم على الكتاب بالمصادرة وعلى صاحبه بالزيغ والضلال/ نقلاً عن الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: محمد حسين الذهبي /ص ٩٤/ دار الاعتصام /١٣٩٦ هـ.

(٢) مجلة صباح الخير العدد /١٠٩٣/ ١٦ ديسمبر /١٩٧٦ م مقال: قطع اليد في القرآن: د. مصطفى محمود.

(٣) الهداية والعرفان: ص ٢٧٤.

(٤) دليل المسلم الحزين: (ص ١٤١) طبعة مدبولي /نقلاً عن: إسلام آخر زمن: الأستاذ منذر الأسعد /ص ٨٤/ دار المعراج /١٤١١ هـ.

بحجة الحفاظ على اقتصاد البلاد. والربا المحرم عند هؤلاء هو الربح المركب، أي الذي يكون أضعافاً مضاعفة. وقد فصلنا آراء هؤلاء فيما سبق[1].

وممن قال بذلك من المعاصرين: الشيخ عبد الله العلايلي، وهو يكرر ما قاله أسلافه. يقول: ما دام المصرف لا يزيد على أنه مقر سمسرة بتقاسم المردود مشاركةً مع من أسلم إليه مالاً، مفوضاً إياه ليعمل به، حيث قضت خبرته، ولا قائل بحرمة عمالة السمسار». ويرى «أن المسألة من أصلها لا تخرج عن كونها من خداع الألفاظ الذي كثيراً ما يكون مطية للخطأ، فقد أطلقوا على ما يأخذه المستثمر فائدة مال لا سعي فيه، فأوهمتهم كلمة «الفائدة» أنها ربوية، وكان هذا التوهم من خداع الألفاظ فقط، لأنه لا ضمانة حتمية للمال الأصلي نفسه... وجملة القول في المسألة: إما أنها من الضرورات المبيحة، وإما أنها شكل من القراض، وهما سيان في الإفضاء إلى النتيجة الواحدة[2].

ومعظم العصرانيين يبيحون الربا، على ما سبق بيانه، ومنهم أبو زيد الدمنهوري إذ «يجعل الربا المحرم شرعاً هو الربح الزائد عن حده في رأس المال، وتقدره كل أمة بعرفها»[3]. فحرمة الربا واضحة، ونصوصه قطعية في الكتاب والسنّة، وكذلك قضية الحدود، إذ ورد تحريم السرقة في الكتاب والسنة وطبق الرجم على عهد رسول الله ﷺ، وعهد أصحابه رضي الله عنهم، ولذلك فمن فضول القول أن نناقش هذه الفتاوى، لأنها واضحة الضلالة والانحراف، وخارجة عن إجماع فقهاء الأمّة خلال عصورها المفضلة.

---

(١) ينظر المدرسة الإصلاحية: الباب الأول «الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد» ص ٥٠ ومثلها آراء سيد أحمد خان / الفصل الثالث من الباب الأول ص ٧٧ وما بعدها/.

(٢) أين الخطأ: عبد الله العلايلي / ص ٦٨ ـ ٦٩/.

(٣) الهداية والعرفان: ص ٥٣، وانظر منهج المدرسة العقلية في التفسير د. فهد الرومي / ص ٧٣٩/ ففيها تفصيل عن هذا التفسير.

يقول الشيخ محمد الشنقيطي في هذه الفتاوى المنحرفة: «أما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض... كدعوى تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأن الرجم والقطع ونحوها أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان... إلخ»[1].

● ويكفي أن نعلم أن الأمم عندما ألغت القصاص في جاهليتها المعاصرة ـ قد شاعت فيها الجرائم، وضجت المحاكم وابتليت المجتمعات، فشاعت الفوضى ونضب معين الأمن، وخاصة في مجتمعات الغرب، فهل يرضى العصرانيون لأمتهم أوحال تلك المجتمعات؟! ألا يفيقون ويرجعون عن متابعتهم إياهم إلى جحر الضب؟!

أما الخوف على الاقتصاد من إباحة الربا فقد جعل الهلع شديداً وشبح الفقر قوياً، لأن الله تعالى قد آذن مرتكبي هذه الكبيرة بحرب إن لم يتوبوا قال تعالىٰ: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، وهل هناك أشد ابتلاء من هذه الحرب حيث القلق يسيطر على الناس غنيهم وفقيرهم، مع قلة في البركة وزيادة الضنك الشديد.

٣ ـ موقفهم من قضية المرأة:

لقد اهتم العصرانيون بقضية ما يسمى بتحرير المرأة، وإعطائها حقوقاً سياسية كالمرأة الغربية، ودعوا إلى الثورة على الحجاب وعلى تعدد الزوجات وإباحة الطلاق.

لقد أكمل هؤلاء (المؤامرة على المرأة في ديار المسلمين)[2] والتي قادتها الحركة النسائية بعد قاسم أمين ربيب المدرسة الإصلاحية وزعمائها: محمد عبده وسعد زغلول حيث قاما بحمايته[3].

● لقد اعتبروا مسألة تعدد الزوجات ـ التي شرعها الله ـ من سمات عصر الإقطاع. يقول **محمد عمارة**: «إن تعدد الزوجات، وتتابع الزواج،

---

(١) أضواء البيان: ٤/ ٨٤، ٨٥/ محمد الأمين الشنقيطي/ عالم الكتب/ بيروت.

(٢)(٣) انظر كتابنا: المرأة بين الجاهلية والإسلام (الباب الثالث) (ص ٢٥٧ ـ ٣٠٠).

واتخاذ السراري والجواري، من سمات عصر الإقطاع والدولة الإقطاعية[1].

● ويدعو **فتحي عثمان** إلى تقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات، وإلى الاختلاط وترك الحجاب، والضابط لذلك كله هو الظروف وواقع العصر والبيئة.

«ويعتبر أن قضية المرأة وأشباهها وثيقة الارتباط بواقع البيئة الاجتماعية، والمجتمع الواحد يختلف من زمن لآخر... ولذلك يجب ألا يحمّل (الدين) عبء هذه الفوارق الطبيعية الحتمية، بل أولى للجميع أن ينسبوا هذه الأحكام الاجتهادية لواقع العصر والبيئة»[2].

وهذه آراء جريئة في تخطي النصوص القطعية في قضايا التعدد والطلاق، وللإسلام هديه فيما شرع[3].

● موقفهم من حجاب المرأة المسلمة:

يرى العصرانيون أنّ الحجاب الشرعي قيد يجب التخلص منه، ثم راحوا يبررون الاختلاط بين الرجال والنساء بعد أن زينوا للمرأة الخروج من بيتها وصونها...

● فالدكتور محمد عمارة يرفض أن تعود المرأة مكبلة بحجابها ويؤكد «أن جذور هذه القضية ترتبط بالتمدن والتحضر والاستنارة أكثر مما هي مرتبطة بالدين»[4].

وقال جميل صدقي الزهاوي معبراً عن آراء هذه الفئة بقصيدته الشهيرة في الحجاب[5]:

---

(١) فجر اليقظة العربية: د. محمد عمارة/ ص ١١٨.

(٢) الفكر الإسلامي والتطور: ص ٢٢٢.

(٣) انظر: الزواج والطلاق وما يترتب عليهما في ظلال الإسلام، من كتابنا المرأة بين الجاهلية والإسلام (ص ١٣٧ ـ ١٥٧).

(٤) الإسلام وقضايا العصر: محمد عمارة / ص ٩٠/ .

(٥) الشعر العراقي الحديث: يوسف عز الدين / ص ١٩.

مزقي يا ابنة العراق الحجابا **واسفري فالحياة تبغي انقلابا**
مزقيه واحرقيه بلا ريث **فقد كان حارساً كذابا**
وانزعيه بقوة وطئيه **واجعلي في فم الحنيق ترابا**

وقد كثر لغط العصرانيين حول هذه القضية.

● فهذا حسين أحمد أمين يقرر أنّ الحجاب «وهم صنعه الفرس والأتراك، وليس في القرآن نص يحرم سفور المرأة أو يعاقب عليه» «وأن الرجال يتمسكون بالحجاب ليستبدوا بالمرأة، فينفسوا عن قهرهم سياسياً واجتماعياً»(١).

ويؤول حسين أحمد أمين آية الحجاب تأويلاً بعيداً، عندما يقول: «بالنسبة للحجاب الذي فُرض في المدينة حيث كان النساء يلقين من المتسكعين من شباب المدينة كل مضايقة وعبث كلما خرجن وحدهن إلى الخلاء، فنزلت آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وذلك حتى يميز الشبان بين المحصنات وغير المحصنات(٢).

● والدكتور الترابي يقصر الحجاب على نساء النبيّ ﷺ فقط، ويقول: «أما الحجاب المشهور فهو من الأوضاع التي اختصت بها نساء النبيّ ﷺ، وقد قررت آية الحجاب التي حكمت ألا تظهر زوجة النبيّ للرجال ولو بوجهها وكفيها، مما يجوز بالطبع لسائر النساء المسلمات»(٣). ولا دليل مع الكاتب يستحق الذكر.

● روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه

---

(١) موقف القرآن من حجاب المرأة: حسين أحمد أمين /الأهالي القاهرية /٢٨/ ١١/ ١٩٨٤ م/ عن كتاب غزو من الداخل / ص ٥٥.
(٢) دليل المسلم الحزين: ص ١٣١.
(٣) انظر: كتاب المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع: د. حسن الترابي (ص ٢٧) قدمه الاتجاه الإسلامي في اتحادات المدارس والجامعات السودانية.

الآيـــــــة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ قال: «أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة».

وروى ابن كثير عن محمد بن سيرين قال: «سألت عبيدة السليماني عن قول الله عزّ وجلّ ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ فغطى وجهه ورأسه، وأبرز عينه اليسرى».

هذا ورغم ورود الآيات والأحاديث في تحريم السفور، ورغم الواقع النظيف للمرأة في مجتمعاتنا الإسلامية، تطلع علينا مدرسّة الدين الإسلامي بتعاليم الجاهلية لتقول: «والذين ينادون بأن تتحجب المرأة لم يفهموا المرأة المسلمة، ولم يدرسوا أحاديث الرسول ﷺ ولم يقرؤوا القرآن قراءة صحيحة!! ولم يطلعوا على التاريخ بل أخذوا أشياء دخيلة على الإسلام الحقيقي!! وعلى الحضارة المصرية الحقيقية ـ تعني الفرعونية ـ فأنا لي خمسة وعشرون عاماً أدرّس الدين الإسلامي وأقارن، فما وجدت آية واحدة تنص على تحجب المرأة، وزوجات النبيّ لم يكنّ محجبات»[1].

هكذا وبكل بساطة تفتي هذه الأستاذة بقضايا تخالف فيها حقائق التاريخ، وبدهيات الإسلام.. متناسية أنّ الإسلام قد حرص على إقامة مجتمع العفاف والطهر، وقضى على انحرافات الجاهلية، فمنع الاختلاط ودواعيه، وحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، ونهى عن مصافحة المرأة الأجنبية وحثّ على غض البصر، وأمر بلباس شرعي ساتر للمرأة المسلمة[2].

إلاّ أن هؤلاء العصرانيين يتجاوزون النصوص الشرعية ويبيحون الاختلاط لأسباب واهية، والتحليل والتحريم ليس من اختصاص البشر، إنما هو من اختصاص المهيمن الجبار.

---

(١) مجلة: الأهالي القاهرية ـ تحقيق ـ نوال السعدواي العدد / ١٠٤ في ٥/ ١٠/ ١٩٨٣ م.

(٢) انظر هدي الإسلام في الحجاب /ص ١٧٦ ـ ١٩٥/ من كتابنا المرأة بين الجاهلية والإسلام.

فالاختلاط: مباح في عرفهم إذ «ليست الحياة العامة مسرحاً للرجال وحدهم، ولا عزل بين الرجال والنساء في مجال جامع»[1]. ويقول الدكتور الترابي: «فلا ينبغي أن يزدحم الرجال والنساء بحيث تتقارب الأنفاس والأجساد، إلا لضرورة عملية، كما في الحج وكما في المركبات العامة وقاعة المحاضرات، ومؤتمرات الأحزاب والليالي السياسية...؟!». هكذا تكون الضرورات المباحة للترابي، «وتجوز المصافحة العفوية التي يجري بها العرف في جو طاهر وذلك عند السلام/كما يزعم»[2].

إن الترابي يخالف في أقواله هذه أحاديث صريحة وصحيحة. فقد جاء في الحديث الشريف عن أميمة بنت رقيقة قالت: «جئت النبيّ ﷺ في نسوة نبايعه، فقال لنا «فيما استطعتنّ وأطقتن، إني لا أصافح النساء»[3].

وقد ورد الوعيد الشديد في النهي عن مصافحة النساء عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لأن يُطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[4].

● ويرى الترابي كذلك أنّ للمرأة أن تستقبل ضيوف الأسرة وتحدثهم وتخدمهم وتأكل معهم»[5].

أين هذا من تحريم الإسلام الخلوة بالمرأة الأجنبية. عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يخلون أحدكم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما»[6].

---

(١) المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع: د. حسن الترابي ص ٢١.

(٢) المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع: د. حسن الترابي /ص ٣٥.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه /الألباني، ٢/١٤٥.

(٤) الترغيب والترهيب للمنذري /رقم ٣٧٩٩/ وعزاه للطبراني والبيهقي. وقال: رجال الطبراني ثقات، رجال الصحيحين.

(٥) المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع: ص ٢٥.

(٦) رواه الإمام أحمد: ١٨/١، والترمذي: ٢٠٧/٣، والحاكم: ١١٣/١، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

● ويدعو الدكتور فتحي عثمان إلى ما يسميه الاختلاط المأمون. لأن المجتمع الذي يلتقي فيه الرجال والنساء في ظروف طبيعية هادئة محكمة، لن يغدو مثل هذا اللقاء قارعة تثير الأعصاب، إذ سيألف الرجل رؤية المرأة ومحادثة المرأة، وستألف المرأة بدورها الرجل... فيضيق مجال الانحراف والشذوذ، وتتجمع لدى الجنسين خبرات وحصانات وتجارب»[1]، وواقع الغرب المزري ـ في الاختلاط ـ ما ينقض هذا الرأي.

حقوق المرأة السياسية المزعومة:

وتابع العصرانيون سلفهم قاسم أمين في دعوته إلى ما يسمى بتحرير المرأة.

«فلا يرى الدكتور محمد عمارة مانعاً من عمل المرأة في السياسة والقانون والفنون والتجارة والاقتصاد، والصناعة والزراعة...

ويرى جواز مشاركة المرأة في الانتخابات والمجالس النيابية، محتجاً بأن الصحابيات بايعن الرسول واشتركن في بيعة العقبة»[2].

أما ولاية المرأة للقضاء وحتى الولاية العامة: فهي جائزة عند العصرانيين بإطلاق. يقول محمد عمارة: «إن ما لدينا في تراثنا حول قضية ولاية المرأة لمنصب القضاء، هو فكر إسلامي وآراء فقهية... وليس ديناً وضعه الله، وأوحى به إلى رسوله عليه الصلاة والسلام...

وليس هناك إجماع فقهي فيها حتى يكون هنالك إلزام للخلف بإجماع السلف فهي من قضايا الاجتهاد المعاصر، أما قوله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» فهو نبوءة سياسية من الرسول بفشل الفرس المجوس، أولئك الذين ملكوا عليهم امرأة، وليس حكماً بتحريم ولاية المرأة للقضاء، فلا ولايتها العامة ولا الخاصة كانت بالقضية المطروحة، حتى على مجتمع النبوّة، كي تقال فيها الأحاديث»[3].

---

(١) الفكر الإسلامي والتطور: (ص ٢٠٤).

(٢) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، الخراشي /ص ٥١٤.

(٣) الإسلام والمستقبل: محمد عمارة /ص ٢٣٧، ٢٤١/.

● وعندما سئل الدكتور الترابي في الندوة التلفزيونية، هل يجوز للمرأة أن تتبوأ القضاء والنيابة والتشريع؟! أجاب: «صحيح أن هناك حديثاً مشهوراً يقول: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة[1].

«ولكنه حديث كان في مناسبة معينة، لولاية معينة في بلد معين، والفقهاء لهم مذاهب في ذلك، ولك أن تختار المذهب الذي تراه... والمذهب الذي نختاره نحن هو أن تتولى كل القضاء»[2]. إلا أن العلماء على غير ذلك.

● قال ابن قدامة الحنبلي: «... ولا تصلح المرأة للإمامة العظمى، ولا تولية البلدان، ولذا لم يول النبيّ ﷺ ولا أحد من خلفائه ولا مَنْ بعدهم امرأة قضاء ولا ولاية بلد فيما بلغنا، ولو جاز ذلك لم يخل منه جميع الزمان غالباً»[3].

إنّ الفتوى التي اختارها الدكتور الترابي تخالف المذاهب الأربعة واجتهادات الفقهاء.

«وقد خرج الترابي على النصوص المحكمة في الكتاب والسنّة، وليس هناك مذهب يولي المرأة القضاء»[4].

إلا أن بعض أهل الشذوذ أجازوا للمرأة تولي القضاء ولو كان هذا جائزاً، لفعله النبيّ وخلفاؤه الراشدون»[5].

---

(١) أخرجه البخاري: ٦/ ١٠، دار إحياء التراث العربي، وأخرجه النسائي والترمذي.

(٢) الندوة التلفزيونية أجراها الأستاذ محمد بشير مع الترابي في شهر ١٩٨٨/٦ م ـ أشار إليها كتاب مخطوط بعنوان الدكتور حسن الترابي وفساد نظرية تطوير الدين ـ تأليف: د. عبد الفتاح محجوب محمد إبراهيم ـ جامعة أمر القرى.

(٣) المغني لابن قدامة: ٧/ ٣٦.

(٤) انظر مقالاً: بقلم الأستاذ عبد الله فضل الله المهندس نشر في ١٩٨٨/٦/٣٠ م بجريدة الأيام بهذا التاريخ، وانظر المخطوط: عبد الفتاح محجوب / ص ٢٩/.

(٥) انظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام ففيه تفصيل لحكم الإسلام في ولاية المرأة / ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦/.

● وقد ورد سؤال من مدير تحرير مجلة المجتمع إلى الشيخ عبد العزيز بن باز هذا نصه: «ما موقف الشرع الحنيف من ترشيح المرأة نفسها لرئاسة الدولة، أو رئاسة الحكومة والوزارة؟!» فأجاب: «تولية المرأة واختيارها للرئاسة العامة للمسلمين لا يجوز، وقد دل الكتاب والسنّة والإجماع على ذلك. قال تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ والحكم في الآية عام وشامل لولاية الرجل وقوامته في أسرته، وكذا في الرئاسة العامة من باب أولى، ومن السنّة قوله ﷺ، لما ولى الفرس ابنة كسرى «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» ولا شك أنّ هذا الحديث يدل على تحريم ولاية المرأة الإمرة العامة وكذا توليتها إمرة إقليم أو بلد... وقد أجمعت الأمّة في عصر الخلفاء الراشدين، وأئمة القرون الثلاثة المشهود لها بالخير إجماعاً عملياً على عدم إسناد الإمارة والقضاء إلى امرأة».

* * *

إلا أن ما نشاهده اليوم من تولي بعض النساء الوزارة أو رئاستها في ديار المسلمين، والمشاركة في البرلمانات ومزاحمة الرجال في المناكب... إنما هو ارتكاس إلى الجاهلية الأولى، إذ كان أهل الجاهلية يولون عليهم بعض النساء في الحكم، أو قيادة الجيوش.

ومن الغريب أن أكبر ثلاث دول إسلامية ترأس حكوماتها نساء في هذه الفترة: تركيا ـ دولة الخلافة ـ وباكستان وبنغلادش.

٤ ـ إلغاء أحكام أهل الذمّة:

لم يترك العصرانيون حكماً ثابتاً من أحكام الإسلام، إلا وقد حاولوا تعطيله بشكل أو بآخر... باسم الإسلام ومزاعم المصلحة العامة. من ذلك قضية أهل الذمة، وموقعهم في المجتمعات الإسلامية. وقد أكثر العصرانيون من الحديث حول أهل الذمّة، وأظهروا أنّ الأحكام المضروبة عليهم،

والمعروفة باسم «أحكام أهل الذمّة» قد كانت لظروف خلت، وأن تطور العصر يرفضها. وممن تصدّى لهذه المسألة وخصص لها كتاباً: فهمي هويدي بعنوان «مواطنون لا ذميون»[1] نقتطف منه بعض الفقرات.

يقول في فصل «ذميون.. لا يزالون»؟:

«إن تعبير أهل الذمة وإن استخدم في أحاديث النبيّ وعهوده إلا أنه كان جزءاً من لغة الخطاب في تعامل القبائل العربية قبل الإسلام، إذ كانت عقود الذمّة والأمانة هي صيغة التعايش التي تعارف عليها عرب الجاهلية...».

«أي أننا نقف في حقيقة الأمر، في مواجهة صيغة لا تستند إلى نص قرآني، واستخدامها في السنّة النبوية كان من قبيل الوصف لا التعريف، الأمر الذي لا يصنفه في أي من درجات الحكم الشرعي الملزم، بالإضافة إلى ذلك فإن الوصف... وإن لم يكن الوحيد الذي استخدم في خطاب الآخرين، إلا أنه كان تعبيراً عن حالة «تعاهدية، تعارف عليها عرب الجاهلية في تنظيم علاقات القبائل والأفراد، استمر إلى ما بعد الإسلام ضمن ما أخذ به من تقاليد وأعراف»[2].

● وتحت خضوع شديد لضغط الواقع يقول:

«وبعد هذا وذاك أليس غريباً أن يجيز الفقهاء، أن يخوض المسلمون الحرب دفاعاً عن «أهل ذمتهم»[3]، ثم يحجب البعض عن هؤلاء حق التصويت في انتخابات مجلس الشورى مثلاً؟!». ثم يقول: «أما تعبير أهل الذمة، فلا نرى وجهاً للالتزام به، إزاء متغيرات حدثت،... وإذا كان التعبير قد استخدم في الأحاديث النبوية، فإن استخدامه كان من قبيل

---

(١) مواطنون لاذميون: فهمي هويدي / دار الشروق/ ١٤٠٥ هـ.

(٢) فصل «ذميون لا يزالوان؟» (ص ١١٠) وما بعدها.

(٣) السابق: / ص ١٢٤، ١٢٥/.

الوصف، وليس التعريف، فضلاً عن أنه كان بمثابة استخدام للغة ومفردات وصياغات سادت في جزيرة العرب، قبل الإسلام، ويبقى مع ذلك أن هذا الوصف «تاريخياً»، لا يشترط الإصرار عليه دائماً»[١].

● فالكاتب يحاول إلغاء الأحكام بلا دليل، إلا زعمه أن ذلك أمر تاريخي فقط، وكأن الاجتهاد في الإسلام تحول إلى لعب أطفال، أو خيال كتاب، وأوهام مبتدعة.

● وفي فصل «الجزية... التي كانت» يقول:

«ومن غرائب ما قيل في هذا الصدد تعريف ابن القيم للجزية بأنها هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً، وأن هذا يتنافى مع روح الإسلام، ودعوته للمسامحة بين الناس جميعاً»[٢] ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ.

● وللأستاذ فهمي هويدي اجتهاد مبتكر في فهمه للأحاديث النبوية والنصوص الأخرى المتعلقة بمعاملة المسلمين لغير المسلمين. يقول الكاتب تحت عنوان «شبهات وأباطيل»:

يهمنا ذلك في محاولة لفهم وقراءة هذه النصوص وهي على وجه التحديد.

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقها» ـ متفق عليه ـ.

٢ ـ ما أخرجه الإمام مالك في الموطأ: «أن النبيّ ﷺ قال: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان».

---

(١) السابق: /ص ١٢٤، ١٢٥/.

(٢) مواطنون لاذميون /ص ١٢٨، ١٣١/. ولابن القيم كتاب قيّم بعنوان «أحكام أهل الذمة»؛ بإمكان القارىء الكريم أن يرجع إليه ليرى عدل الإسلام مع هؤلاء الذميين الذين يتباكى عليهم عصرانيو آخر زمن!!.

٣ ـ عهد عمر رضي الله عنه في معاملة غير المسلمين...[١].

● يقول فهمي هويدي: «لا يؤخذ من الأحاديث عادة إلا ما كان مقصوداً به التشريع العام والاقتداء».

«والأحاديث السابقة، كانت إجراءً استثنائياً في ظروف استثنائية، فالحديث الأول: يخالف نصوصاً أخرى تدعو إلى رد التحية بأحسن منها، ولكن اليهود كانوا يتظاهرون بالتحية للرسول وأصحابه بعبارة «السام عليكم» أي الموت. أما عهد عمر رضي الله عنه، فالكاتب يشكك في صحته تاريخياً من حيث السند!![٢].

● لقد حكمت الشريعة الإسلامية بضعة عشر قرناً من عمرها، لم يعرف في التاريخ عدلاً وإنصافاً ورحمة بأقليات دينية كما عرفها في تلك القرون تحت مظلة الشريعة، بل كانت الطوائف تفر من بطش أبناء دينها لتنعم بالأمن والاستقرار في ظل عدل الإسلام وإنصاف المسلمين.

---

(١) مواطنون لاذميون: ص ١٧٧ بإيجاز.

(٢) السابق: /ص ١٨١/.



المبحث الثالث

فصل الدين عن الدولة

وفيه الموضوعات التالية:

١ ـ محاولات جادة لتنحية الشريعة.

٢ ـ إلغاء الخلافة في منظور العصرانيين.

٣ ـ دعوتهم إلى علمانية جديدة باسم الإسلام.

المبحث الثالث

فصل الدين عن الدولة

● كان تطبيق الشريعة الإسلامية شوكة في حلوق أعداء هذا الدين، وكانت الخلافة تعتبر رمز قوّة المسلمين ووحدتهم.

ولذلك دأب المستعمر وأعوانه على إقناع بعض المسلمين من أجل اللحاق بالغرب بفصل الدين عن شؤون الدولة والحياة، بعد أن تآمروا على نظام الخلافة في مطلع هذا القرن.

وقد بذل المستشرقون جهداً ضخماً لتطوير الشريعة، وتجديد الفقه وأصوله، وضللوا أتباع التغريب بأن الأحكام الشرعية لا تدخل في مفهوم الدين، يريدون تطبيق ما حل بالنصرانية على بلاد المسلمين. وكانت قمة المؤامرة كتاب: «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرازق.

وها هم العصرانيون يقولون الآن أكثر مما قال علي عبد الرازق مدّعين أنهم أصحاب الفكر الديني المستنير، وأهل العقول الراجحة المواكبة للتطور والرقي... وبعد قليل سنورد نماذج من أقوالهم المنشورة في كتبهم أو في المجلات العامة.

محاولات تنحية الشريعة:

ما كان أحد يظن أنّ المسلمين قد يتنازلون عن تحكيم شريعتهم بعد أن سادت أحكامها ثلاثة عشر قرناً، وما كنا نظن أن ينبري نفر من أبناء جلدتنا ممن يتكلمون لغتنا لهدم شرع الله واستبداله بقوانين أرضية وافدة، باسم التجديد والتطوير. «على أنّ هنالك اتفاقاً عاماً بين أصحاب الفكر الديني المستنير!! على ضرورة تجديد الإسلام ذاته، بمعنى تعديل أحكامه

وتشريعاته أو نسفها واقتلاعها من الجذور»[1].

● فالدكتور محمد أحمد خلف الله: «يرى ضرورة انعتاق الأحكام من إسار الشريعة إلى بحبوحة القوانين الوضعية، التي تحقق لها الحرية والتقدم المذهلين، وأن خروج المعاملات من نطاق الشرع إلى نطاق القانون، قد حقق لها ألواناً من الحرية والانطلاق، لم يكن لهم بها عهد من قبل»[2].

«ويرى أن العدل الإسلامي أمنية من الأماني، وليس واقعاً يتحقق «وذلك أن هذه المعايير ـ معايير العدل الإسلامي ـ من القدم بحيث تعجز عن أن تحق حقاً أو تبطل باطلاً! وأن تقيم عدلاً في العصر الذي نعيش فيه. . .».

«ولذلك فهو يعجب من هؤلاء الجامدين الذين يتمسكون بتلك المعايير البالية، لمجرد أنها وردت في القرآن والسنّة»[3].

إنّ دعاة التغريب قد انتهوا من المجاملات، وصارت طروحاتهم صريحة واضحة لأن قرناً من التخريب والتشكيك قد آتى ثماره هذه الأيام.

● فالتبجح في مخالفة الأحاديث الصحيحة أصبح لا يحرك، ساكناً عند هؤلاء المتغربين، وحجة تحقيق المصلحة هي الأساس لديهم حتى لو خالفت الأحاديث الصحيحة. **يقول محمد عمارة:**

«نحن مطالبون حتى نكون متبعين للرسول بالتزام سننه التشريعية ـ أي تفسير القرآن ـ لأنها دين، أما سنّته غير التشريعية، ومنها تصرفاته في السياسة والحرب والسلم والاجتماع والقضاء ومثلها ما شابهها من أمور الدنيا!! فإن اقتداءنا به يتحقق بالتزامنا المعيار الذي حكم تصرفه ﷺ، فهو

---

(١) ينظر: غزو من الداخل، جمال سلطان / ص ٣٤ ـ ٣٥/.

(٢) من مقال بعنوان: المعاملات بين الشرع والقانون / الطليعة القاهرية فبراير/ ١٩٧٦ م/.

(٣) الطليعة القاهرية / نوفمبر/ ١٩٧٥ م، بعنوان العدل الإسلامي وهل يمكن أن يتحقق؟!.

كقائد للدولة كان يحكم منها على النحو الذي يحقق (المصلحة)، للأمّة، فإذا حكمنا (كساسة) بما يحقق مصلحة الأمة، كنا مقتدين بالرسول، حتى ولو خالفت نظمنا وقوانيننا ما روي عنه في السياسة من أحاديث لأن المصلحة، بطبيعتها متغيرة ومتطورة»[١].

بل يعبر عمارة بصراحة أشد عن عدم ملاءمة الشريعة لقضايا العصر، عندما يقول: «فإن أحداً لن يستطيع الزعم بأنّ الشريعة يمكن أن تثبت عند، ما يقرره نبي لعصره»[٢].

ويدعو عمارة كذلك إلى مدنية السلطة، وجعل حق التشريع في يد جمهور الأمّة عندما يقول: «فأصحاب السلطة الدينية قد احتقروا جمهور الأمة، عندما سلبوها حقها في التشريع، وسلطاتها في الحكم» على حين قرر القائلون بمدنية السلطة: «أن الثقة كل الثقة بمجموع الأمة، بل جعلوها معصومة من الخطأ والضلال»[٣].

● فأبواق التغريب من اليمين إلى اليسار، قد تنادوا من كل واد لهدم مقومات الإسلام من الداخل، متعاونين مع أساتذتهم من الشرق والغرب. . .

ـ فالدكتور أحمد كمال أبو المجد: يرفض رفضاً باتاً تلك «النظرة الشمولية للدين، والتي تستغرق أحوال الفرد والجماعة». ويرى «أن الدين ـ والإسلام بصفة خاصة ـ يمتد اختصاصه إلى جميع جوانب الحياة الفردية والجماعية للمؤمنين به، ولكنه امتداد عناية وتوجيه وليس ـ بالضرورة ـ اختصاص تدخل مباشر بالتنظيم، وتقديم الحلول النهائية الثابتة».

---

(١) الإسلام وقضايا العصر: محمد عمارة ص ٢٥.

(٢) المعتزلة وأصول الحكم: ص (٣٣٠) ـ محمد عمارة سلسلة الهلال العدد / ٤٠٠/ ١٩٨٤ م.

(٣) الإسلام والسلطة الدينية: (ص ٧).

«ولذلك فهو يتعجب ويتأفف من هؤلاء المسرفين الذين يرون ضرورة إسقاط القوانين الوضعية، ويدعو من ثم إلى زلزلة قواعد الشريعة، حيث لا يقصر الاجتهاد على الفروع فحسب، بل والأصول أيضاً»[١].

ـ ويعتبر الدكتور زكي نجيب محمود: أن الشريعة «شريعة الأسلاف» لم تعد تصلح لواقعنا المعاصر، ثم علينا أن نبني حضارتنا على النموذج الغربي المادي الحديث، دونما التفات إلى أي أسس أخلاقية أو قيمة ثقافية، أو عقدية. . .

ويقول: «وتسألني: ماذا نحن صانعون بآدابنا وفنوننا ومعارفنا التقليدية. . فأجيبك بأنها مادة للتسلية في ساعات الفراغ؟! لم أعد أقول: إنها خليقة بأن يقذف بها في النار»[٢].

وهكذا فقد توصل هؤلاء الكتاب إلى أن يهدموا تراث أمتهم الديني والثقافي، بما في ذلك إلغاء شريعة الإسلام، وفي ذلك مخاطر على عقيدتهم ودينهم، وردّة شديدة في اتباع أحكام الجاهلية.

٢ ـ سقوط الخلافة في منظور العصرانيين:

لقد تكالب أعداء هذا الدين على إسقاط الخلافة، وكان من أهم شروط اتفاقية (سايكس بيكو) ١٩١٥ م، عندما خرجت تركيا مهزومة من الحرب، أن اشترط الحلفاء إلغاء نظام الخلافة وطرد السلطان العثماني خارج الحدود ومصادرة أمواله، ثم إعلان علمانية الدولة[٣].

---

(١) حوار لا مواجهة: أحمد كمال أبو المجد/ ص ١٠ ـ ١٣/ وانظر غزو من الداخل: جمال سلطان / ص ٤١ ـ ٤٢/ .

(٢) غزو من الداخل: جمال سلطان / ص ٤٠/ وانظر كتاب التراث والتجديد: حسن حنفي / ص ٦٩ طبعة/ ١٩٨٠ القاهرة.

(٣) انظر تاريخ الدولة العثمانية: علي حسون / المكتب الإسلامي بيروت ودمشق.

وركز العصرانيون حملتهم للتشكيك بنظام الخلافة، متبعين في ذلك كبيرهم الشيخ علي عبد الرازق، الذي وصف الخلافة بأنها «خطط دنيوية صرفة، لا شأن للدين بها.. وليس لنا حاجة إليها في أمور ديننا ولا دنيانا، ولو شئت لقلنا أكبر من ذلك، فإنما كانت الخلافة، ولم تزل نكبة على الإسلام والمسلمين، وينبوع شر وفساد»[1].

وجاء العصرانيون الجدد ليكملوا المشوار ضمن حلقات من التآمر ضد الإسلام، وضد نظام الخلافة، وتحكيم الشريعة.

● يقول محمد أحمد خلف الله: «نظام الحكم في الإسلام نظام مصدره الاجتهاد وليس النص... وعلى الجماعات الدينية أن تترك هذه القضية لتكون محل اجتهاد جديد، والفكر السياسي في نظام الحكم هو فكر بشري خالص، وتستطيع المؤسسات العلمية من أمثال كليات العلوم السياسية أن تجتهد فيه»[2].

ويرى أنّ النظام الملائم والحكم الحضاري **هو الديمقراطية**، والديمقراطية التي نقصد هي الديمقراطية الغربية، التي وفدت إلينا كعنصر حضاري من عناصر الثقافة الإسلامية»[3].

● ويزعم الدكتور محمد عمارة: «أن اشتراط قرشية الخليفة كان تعبيراً عن موقف قومي عربي ضد عجمة الدولة، ممثلة في رأس سلطتها وقائدها الأعلى...

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين، ج ٢/٨٣.

(٢) الاجتهاد والحكم في الإسلام: محمد أحمد خلف الله/ مجلة العربي العدد /٣٠٧/ رمضان /١٤٠٤ هـ.

(٣) مجلة اليقظة العربية القاهرية: العدد الأول السنة الأولى/ نقلاً عن كتاب: غزو من الداخل /ص ٤٧/ لجمال سلطان.

وجدير بالذكر أنّ هذا الشرط لم يظهر في الفكر السياسي الإسلامي إلا عندما بدأ تغلب الأسر الأعجمية، والاتجاهات الشعوبية على الخلافة العربية العباسية، وظهرت أن السيطرة المملوكية التركية على الدولة منذ عصر المتوكل العباسي»[١].

وهذه مغالطات عجيبة إذ يناقض صاحبها حقائق التاريخ. ونصوص الحديث النبوي الشريف.

قال ﷺ: «الأئمة من قريش»[٢].

وجاء في الحديث الشريف: «فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[٣].

وبعد كل هذه الأحاديث يفتري الدكتور عمارة فيقول: إن اشتراط قرشية الخليفة كان تعبيراً عن موقف قومي عربي ضد الشعوبية.

* * *

٣ ـ حقيقة دعوتهم في الحكم: علمانية جديدة:

يصرح بعض العصرانيين بحقيقة دعوتهم في الحكم وفصل الشريعة عن قضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويدعون إلى علمانية مصبوغة بمفهومهم عن الإسلام.

- فالدكتور حسن حنفي يرى أنّ العلمانية هي أساس الوحي.

ويقول: «نشأت العلمانية استرداداً للإنسان، ولحريته في السلوك

---

(١) الإسلام والعروبة والعلمانية: محمد عمارة / ص ١٨/ دار الوحدة بيروت/ ١٤٠٥ هـ.
(٢) حديث صحيح رواه الإمام مسلم «كتاب الإمارة».
(٣) رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

والتعبير، وحريته في الفهم والإدراك، ورفض لكل أشكال الوصاية عليه، ولأي سلطة فوقية، إلا من سلطة العقل والضمير!!

العلمانية إذن هي أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره، والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ»[1].

● والإسلام عند د. محمد عمارة هو العلمانية ذاتها، لا شأن للدين فيها بالحكم والقضاء والإمامة والسياسة. يقول: «إن للدين مفاهيم عليا ومثلاً عليا، ثم للناس أن يحددوا ويشرعوا ويطوروا حياتهم وفق المصلحة بعد ذلك»[2].

ومن ثم يرى كذلك أن الإسلام قد قرر الفصل بين (أمة الدين) و (أمة الدولة)، وأن سنّته ﷺ تنقسم إلى سنّة دينية ملزمة وسنّة دنيوية غير ملزمة.

فالإسلام الدين عند الدكتور عمارة: تمثل ويتمثل في النص القرآني، وفي السنّة النبوية التشريعية التي جاءت تفصيلاً لمجمل القرآن وشرحاً لموجزه، وهذان المصدران هما اللذان تجسدا ثمرة (للاجتهاد) في علوم الوحي، أي العلوم الشرعية، هذا هو الإسلام الدين. وهناك الإسلام «الحضارة» كما تمثل ويتمثل في ثمرات «العقل المسلم وتجربة المسلمين في مختلف نواحي الحياة الدنيا...».

ثم يقول: «فلم تكن الدولة هدفاً من أهداف الوحي، ولا مهمة من مهام النبوّة والرسالة، ولا ركناً من أركان الدين، وإنما اقتضتها ضرورة حماية الدعوة الجديدة، والدفاع عن المؤمنين ضد اضطهاد المشركين.

فكان تأسيسها وتدعيمها إنجازاً سياسياً وحضارياً وقومياً حفظ الدين، وساعد على انتشاره، على الرغم من أنه ليس جزءاً أصيلاً من مهام النبوّة

---

(١) التراث والتجديد: ص ٦٩ د. حسن حنفي.

(٢) المعتزلة وأصول الحكم: د. محمد عمارة ص ٢٩٥.

والرسالة، ولا هو أصل من أصول الدين[1]. هذه نفس آراء علي عبد الرازق وسادته من المستشرقين. ومن ثم يقول: «إن موقف (الإسلام الحضارة)، كان هو التطبيق في مجال السياسة والدولة، (لموقف الإسلام الدين) الذي ينكر وجود «سلطة دينية» لبشر خارج نطاق الموعظة والإرشاد والذي لم يحدد نطاقاً معيناً للحكم»[2].

هذه تقسيمات لم يقل بها أحد قبل أن يطلع علينا أصحاب الاستنارة والتجديد، وإلا فما الفرق بين مقولة النصارى: «دع ما لقيصر لقيصر وما للّه للّه؟!» وبين مقولتهم وما معنى قوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾؟! قال ابن كثير «أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله»[3].

وهذا يشمل شؤون الحياة كلها سياسية أو غير سياسية، حتى الأعداء لم ينكروا أنّ الإسلام دين ودولة.

قال المستشرق «فيتز جرالد»: «ليس الإسلام ديناً فحسب، ولكنه نظام سياسي أيضاً... وإن صرح التفكير الإسلامي كله قد بني على أساس أنّ الجانبين متلازمان لا يمكن أن يفصل أحدهما عن الآخر»[4].

فالعصرانيون بفصلهم الدين عن شؤون الدولة والحياة، يدعون إلى علمانية قد يسمونها إسلامية، ولكنها في الحقيقة أشدّ بعداً عن الدين من العلمانية اللادينية كما اتضح من تصريحاتهم السابقة، واللاحقة... إذ هنالك كتاب معاصرون حملوا لواء العلمانية باسم الإسلام أيضاً. من هؤلاء:

---

(١) الإسلام والعروبة والعلمانية: ص ٥.

(٢) السابق: ص ٦٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٩٦.

(٤) النظريات السياسية في الإسلام: محمد ضياء الريس.

● محمد سعيد العشماوي[1]: صاحب كتاب «**أصول الشريعة**» الذي خصصه لإثبات أن الشريعة الإسلامية قد أصابها التحريف والتغيير، ولذلك فهي لا تصلح للحكم في هذا العصر.

ويتلخص مضمون «الكتاب فيما يأتي[2]:

١ ـ في أنّ كلمة (الشريعة) غير واضحة في أذهان المسلمين، فهم يطالبون بتطبيقها دون أن يفهموها، وقد وقع التغيير في مفهوم الشريعة بين أهل الإسلام، مثلما وقع في مفهوم التوراة لدى اليهود؟!!

٢ ـ الارتداد عن الإسلام يأتي ضمن حرية الاعتقاد، فلا يصح إقامة الحد على المرتد، كما أنّ رجم الزاني المحصن ليس من أحكام الدين الثابتة الباقية كحد شرعي.

٣ ـ الدين كامل منذ «أوزوريس» ومن قبل أن يبعث محمد ﷺ، والمراد بالآية القرآنية بإكمال الدين[3] إكمال شعائر الحج، لا الدين نفسه، والشريعة تكتمل بتطورها، ومسايرتها للتطور الإنساني.

٤ ـ الخمر مأمور اجتنابها فقط، دون التنصيص بتحريمها في القرآن.

٥ ـ إن قطع اليد وبتر الأعضاء في العقوبة لا يلائم روح الشريعة الإسلامية.

ولا شك أن إطلاق هذه الأحكام كفر صريح، كما سيأتي بيانه[4].

● وممن سار على النهج نفسه: فرج فودة في كتابه «قبْل السقوط» ومما جاء في هذا السقوط:

---

(١) العشماوي: هو رئيس محكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا بمصر، والأستاذ المحاضر في كلية أصول الدين والشريعة.

(٢) ينظر: مجلة البلاغ، في /٨ صفر/ ١٤٠٤ هـ /ص ٣٧ ـ ٣٨/.

(٣) أي ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

(٤) ينظر: الباب الرابع (المدرسة العصرانية في الميزان) ففيها بيان الأحكام الشرعية لهذه القضايا ص ٣٤٧.

ـ فصل الدين عن الدولة باعتبار أنّ هناك فرقاً بين الإسلام الدين والإسلام الدولة ـ كما يرى الكاتب ـ.

ـ تعطيل الحدود الشرعية، حيث أن تطبيق الشريعة يقود إلى دولة دينية تحكم بالحق الإلهي، فتطبيق حد الزنا مثلاً يترتب عليه منع ملاهي شارع الهرم؟!!.

ـ خصص الإسلام بالقضايا الروحية، ويرفض الكاتب أن يكون الدين موجهاً للسياسة باسم الإسلام[1].

● يريد هؤلاء الكتاب حكماً علمانياً وفي أحسن أحواله ديمقراطياً برلمانياً على طريقة الغرب في أن يكون للأمة حق التشريع.. يريدون أن يتلهوا بلعبة الديمقراطية التي وضعها تشرشل حين ثار المصريون ثورتهم الوطنية عام /١٩١٩/، وكان وزيراً في حكومة المحافظين آنذاك، عندما سأل: ماذا يريد المصريون؟! قيل له: يريدون أن يكون لهم برلمان ودستور. فقال ساخراً: «أعطوهم لعبة يتلهون بها»!![2].

وها هو واقع الديمقراطية الغربية يشهد بإفلاس شعاراتها عند التطبيق في منبعها، فما بالك بتطبيقها في ديار المسلمين؟

إنّ فصل الدين عن الدولة، كان هدفاً أساسياً من أهداف حملة التنصير والاستشراق، وها هو يُحقق على أيدي الأجيال التي ربيت في محاضن مدارسهم وساستهم، منذ أوائل هذا القرن. وكان إبعاد هيمنة الدين عن الحياة من أخطر ما انزلق إليه المسلمون، حتى وصلوا إلى مهاوي الذل والتمزق والهوان.. ولن يصلح آخر هذه الأمّة إلا بما صلح عليه أولها وهو

---

(١) انظر: مجلة منار الإسلام /عدد رمضان/ ١٤٠٦ هـ/ (ص ١٥٠ ـ ١٥٢).

(٢) عن كتاب: هلم نخرج من ظلمات التيه للأستاذ محمد قطب /نشر دار الوطن للنشر/ ١٤١٥ هـ/ ص ٤٧/.

الإسلام، ولعل دعاة الإسلام الصادقين يعيدون الأمّة إلى رشدها، ويرجعونها إلى التمسك في دينها في جميع مجالات الحياة[1].

(١) سوف يأتي بيان لحكم فصل الدين عن الدولة، وتحكيم القوانين الوضعية /الباب الرابع إن شاء الله/ ص ٤١٣/.

المبحث الرابع

تزوير التاريخ وتمجيد الشخصيات المنحرفة

ويشمل الموضوعات التالية:

١ ـ الفتوحات الإسلامية.

٢ ـ تزوير الحقائق من منظور قومي.

٣ ـ تمجيد الفرق والحركات المنحرفة.

- تمجيد الدولة العبيدية.
- الإشادة بثورة الزنج في العصر العباسي.

٤ ـ تمجيد الشخصيات المنحرفة.

المبحث الرابع

تزوير التاريخ وتمجيد الشخصيات المنحرفة

كان تحطيم التاريخ الإسلامي، والعبث به هدفاً من أهداف المدرسة العصرانية، ولم تقف عملية التزوير عند عصر دون عصر، ولا عهد دون عهد، بل شملت كافة عصور الإسلام بلا استثناء.

ولم يسلم من أذى العصرانيين أحد حتى عهد النبوة وعهد الصحابة الكرام.

● «فحروب الردّة لم تكن ـ برأي عمارة ـ حروباً دينية، ولا حرب علي مع خصومه كانت دينية، لأنها كانت حرباً في سبيل الأمر، أي الخلافة والرئاسة والإمامة، وهذه سلطة ذات طبيعة سياسية ومدنية، ومن ثم كانت الحرب التي نشبت لأجلها سياسية ومدنية هي الأخرى»[1].

● أما الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيقرر عمارة أنه العلماني الأول في الإسلام «فقد كان رائد التمييز بين السياسة والدين، مع معارضة جمهور الصحابة له، ولقد بنى الدولة الإسلامية على هذا التمييز»[2].

«وحتى يوم السقيفة واحتجاج الصدّيق رضي الله عنه بقول النبيّ ﷺ: «الأئمة من قريش»[3] يرى الدكتور عمارة أنّ هذا الكلام محض افتراء

---

(١) انظر: المعتزلة وأصول الحكم: محمد عمارة /ص ٣٤٨/.

(٢) المعتزلة وأصول الحكم: محمد عمارة /ص ٣٤٨.

(٣) حديث صحيح رواه الإمام مسلم /كتاب الإمارة/ وانظر فتح الباري: ١٠١/١٣، طبعة دار الفكر ـ بيروت /١٩٩٣ م.

وكذب، وأنه نسب إلى السنّة ليكون فكراً سياسياً قرشياً، كان شائعاً في ذلك العصر، ويعكس ثقل قريش في المجتمع العربي في ذلك الحين»[1].

● ويزعم حسين أحمد أمين بصفاقة، أن ثالث الخلفاء الراشدين، عثمان بن عفان رضي الله عنه، حذف من القرآن «٥٠٠» خمسمائة آية، تطعن في بني أمية، وتذم أبا سفيان[2].

ويرى أن معركة بدر ناتجة عن حسابات كانت للنبي ﷺ وصحابة المهاجرين، يريدون تصفيتها مع قريش التي طردتهم من ديارهم[3].

وهذا ما يراه الدكتور محمد عمارة في غزوة بدر الكبرى، إذ أنها «معركة كانت بين الرسول ﷺ وأصحابه، وبين الأرستقراطية الملكية وحلفائها»[4].

١ ـ **الفتوحات الإسلامية**: إنّ هذه الفتوحات قد شهد الأعداء قبل الأصدقاء بعدالة أصحابها ورحمتهم، ودوافعهم النبيلة في نشر الدعوة الإسلامية.

إلاّ أن العقوق أوقع بعض أبناء هذه الأمة بمغالطات ليس لها نصيب من الواقع.. فراحوا يزوِّرون حقائق التاريخ بشكل ليس له نظير.

● **فالدكتور عبد المنعم ماجد**: يعجب من توهم بعض المستشرقين الذين يرون أن العرب المسلمين فتحوا البلدان بدافع إسلامي، ويقول: لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم: إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الديني، فمن غير المعقول أن يخرج البدوي ـ وهو الذي لا يهتم بالدين ـ لينشر الإسلام»[5].

---

(١) المعتزلة وأصول الحكم: محمد عمارة / ص ٢٤٢/ وانظر: غزو من الداخل / جمال سلطان/ ص ٩/.

(٢)(٣) إسلام آخر زمن: منذر الأسعد / ١٩٨٧ م/ص ٥٨ /وص ٦٣.

(٤) فجر اليقظة القومية: محمد عمارة / ص ١٠٣/.

(٥) التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ١/ ١٦٣، مطبعة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧١ م.

فلمصلحةِ مَنْ هذا الافتراء؟! لقد أصبح الدكتور مستشرقاً أكثر من أساتذته، يغير ويزور لمصلحة أعداء أمته.

● ويعتبر **حسين أحمد أمين**، أنّ الفتوحات الإسلامية هي نوع من الاستعمار، كالاستعمار الغربي لبلاد المسلمين فيقول:

«إنّ الدول الإسلامية، كانت في عصر من العصور على وشك التهام القارة الأوروبية، بعد التهامها أقطار عدّة في أفريقيا وآسيا...

«وقد يحتج بعض المسلمين بأن الاستعمار الإسلامي!! لدولة إسبانيا كان بناءً، وفي خدمة التمدين والعمران، ولم يتخذ شكل النهب والسب، الذي اتخذه الاستعمار الأوروبي لدولة آسيوية وأفريقية.

غير أنّ الاستعمار الأوروبي لأمريكا الشمالية وأستراليا كان هو الآخر بنّاء، وفي خدمة التمدين والعمران، في حين لم يجلب الاستعمار العثماني (!!!) للبلقان غير الخراب»[1].

ولست أدري كيف يستوي ـ عند مسلم ـ نشر دين الله وإقامة العدل بأروع صورة بين البشر، مع غزو الأوروبيين الذي قام على النهب واستنزاف ثروات الشعوب... ولذلك فهو يهاجم الكاتب (جوستاف لوبون) الذي قال: «لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب!!»[2].

* * *

ويحاول المستنيرون الجدد طمس معالم صفحات مضيئة من تاريخنا الإسلامي، من منطلق دوافع قومية، ومن ذلك ما يتعلق بالخلافة العثمانية، أو انتصار المماليك، وحتى انتصار السلطان صلاح الدين على الصليبيين!![3].

---

(١) دليل المسلم الحزين / ص ١٧٢/ طبعة مدبولي.

(٢) إسلام آخر زمن: منذر الأسعد / ص ٦٦/ نشر مكتبة مدبولي / ١٩٨٧ م، نقلاً عن كتاب حسين أحمد أمين / دليل المسلم الحزين.

(٣) انظر: غزو من الداخل، جمال سلطان: (ص ١٥ ـ ١٧).

● فالدكتور **محمد جابر الأنصاري** يحرص على **تجريد العثمانيين من كل فضيلة** حتى غدوا في نظره «جماعة من الهمج المتوحشين الذين دمروا الحضارة العربية الزاهية»[1].

● وهو ينزعج بشدة من تلك المحاولات العجيبة التي تحاول إعادة الاعتبار للتاريخ العثماني، ولتاريخ السلاطين الأتراك باعتبارهم رموز للجامعة الإسلامية، وللكيان الإسلامي الواحد»[2].

● ويتابع **الدكتور عمارة** صاحبه، **فيصف الفتح العثماني** بأنه: «**طوفان الدمار التركي**، وأرجال الجيش العثماني الذي لف العالم العربي بردائه الأسود أكثر من أربعة قرون»[3].

فهل يعتبر هذا الهجوم على العثمانيين جزاء إيقافهم للزحف الأوروبي على ديار العرب عدّة قرون، وهل هذه هي مكافأة للجيش الذي فتح القسطنطينية؟! أم أنّ حقد عملاء التغريب كان بسبب هذه المواقف الجهادية؟!

حتى السلطان صلاح الدين الأيوبي لم يسلم من أذى هؤلاء القوم فيصفه الدكتور محمد عمارة بأنه «القائد الإقطاعي البارز؟!»[4].

ويأسف الدكتور لانتصار المسلمين في الحروب الصليبية لأنها أعادت الحيوية للإقطاع العربي «فلقد كانت الحروب الصليبية مرحلة من الأحداث الكبرى التي أتاحت للإقطاع العربي فترة من استرداد الحيوية والنشاط»[5].

وهو يتبرأ كذلك من النصر الذي حققه المماليك المسلمون على

---

(١) نظرة في الجذور: الدوحة القطرية، العدد /١٠١/ شهر رجب ١٤٠٤ هـ/.
(٢) الدوحة القطرية: العدد /٩٩/ جمادى الأولى/ ١٤٠٤ هـ.
(٣) فجر اليقظة العربية: ص ٣٦٢، محمد عمارة، عن غزو من الدخل / ص ١٧.
(٤)(٥) المرجع السابق: / ص ٢٢٨/.

المغول التتار... لأنهم غرباء عنا حضارياً وتاريخياً وتراثياً، ولأنهم لم يكونوا من العَرب»[1].

ثم يقول: «ولكن القوى التي أحرزت هذا الانتصار العسكري كانت في الأساس مؤلفة من جند المماليك، ومن ثم فقد كانت قوة غريبة، قومياً وحضارياً عن الأمة والشعب والتراث والتاريخ»[2].

ما أدري من هو الغريب ثقافياً وحضارياً عن تاريخ الأمّة، أهؤلاء الذين يحققون أهداف رجال التنصير والاستشراق وأعداء الأمة؟! أم أولئك الذين طردوا الصليبيين والمغول عن بلادنا، تحت شعار الجهاد في سبيل الله؟! يقول لورنس العرب: «أهدافنا الرئيسية: تفتيت الوحدة الإسلامية، ودحر الأمبراطورية العثمانية وتدميرها»[3].

ويبدو أن **الخلفية القومية للكاتب، واليسارية كذلك قد أملت عليه مفاهيم الإقطاع والعنصرية ضد قادة المسلمين، الذين نعتز بهم** وعلى رأسهم صلاح الدين، والسلطان محمد الفاتح، ومن سار على دربه من بني قومه، وسيف الدين قطز والظاهر بيبرس. رحمهم الله، وجزاهم خير الجزاء على ما قدموا لأمة الإسلام، دون ارتكاس في أوحال القومية، أو نزعات اليسار والعنصرية.

٢ ـ تزوير الحقائق من منظور قومي:

يقول الدكتور عمارة: «إن العرب في العراق والشام كانوا قد رحبوا بالفتح العربي الإسلامي مما يدل على [الموقف الحضاري القومي» في هذا التعاطف.

---

(١) غزو من الداخل: /ص ٢٤ ـ ٢٥/ جمال سلطان.

(٢) تيارات اليقظة الإسلامية /ص ٨/ محمد عمارة.

(٣) الوقائع السرية في حياة لورنس العرب /ص ٥٢/ وانظر لورنس العرب لزهدي الفاتح /ص ٦٤/ دار النفائس بيروت.

ويقول: «وعرب العراق سواء أكانوا مجوساً أم نصارى أم وثنيين، رحبوا بالفتح العربي الإسلامي، وقاتل كثير منهم في صفوف الجيش الفاتح لأنهم حضارياً كانوا عرباً، مثلهم في ذلك مثل الفاتحين، رغم التمايز في الدين.

ـ «ومعركة القادسية زاخرة بالأمثلة التي تبرز دور (الموقف الحضاري القومي) في تعاطف أهل العراق والخليج مع الفتح الإسلامي...

وكذلك كان حال العرب الغسانيين النصارى في الشام، رحبوا بالفتح وأسهموا فيه... لأنهم حضارياً وقومياً كانوا عرباً كالفاتحين»[1].

والحقيقة أنّ هذه تعميمات عاطفية، أملاها منطق قومي متعصب ليس غير.

وإلاّ فأين المصادر التي اعتمد عليها الكاتب؟! إنّ المصادر التاريخية لعلمائنا الثقات تقول غير هذا.. من هؤلاء ابن كثير في تاريخه، والإمام الطبري فيما نقل في تاريخه.. يقول ابن كثير: «ففي غزوة مؤتة انضم إلى هرقل بالبلقاء مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لخم وجذام وبلي وغيرهم مائة ألف»[2]. «وكانت الروم تضرب البعوث على العرب الضاحية، وكانت تستنفرهم فينفر إليها من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان» «وحين اتجه خالد بن الوليد نحو الحيرة ليفتحها تحصن أهلها العرب[3] في أربعة حصون يرمون المسلمين، ثم طلبوا الصلح فصالحهم خالد على الجزية في ربيع الأول سنة ١٢ هـ، ثم أغار رضي الله عنه على عرب تغلب الموالية للفرس في الثني، ثم في الزميل»[4].

---

(١) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة /ص ١٦٤/ دار الوحدة ـ بيروت / ١٩٨٠ م/.
(٢) البداية والنهاية: ابن كثير ٤/ ٢٤٣.
(٣) حركة الفتح الإسلامي: د. شكري فيصل ص ٤٤، ٤٨ نقلاً عن: تاريخ الطبري ١/ ٤/ ٢٠٨١، ١/ ٥/ ٢٣٤٧، طبعة (ليدن ـ بريل).
(٤) انظر أحداث عام (١٢ هـ) تاريخ الطبري جـ ٣/ ص ٢٤٣ وما بعدها.

فأين رابطة العروبة المزعومة التي جعلت أتباع الفرس والروم يسخرون لقتال عرب الجزيرة المؤمنين ويقودهم رجال من ذؤابة قريش؟ ومن أصحاب رسول الله ﷺ.

إنّ الفتوحات الإسلامية كانت متوجهة لقتال أهل الشرك جميعاً، من الفرس والعرب والروم، كانت تريد تحرير هؤلاء من خرافة الوثنية، وتنقلهم إلى رحابة التوحيد[١].

● ومن هذا الكلام المتهافت أيضاً ما يقوله: محمد عمارة وهو يفسر التاريخ الإسلامي، تفسيراً قومياً مزوّراً الحقائق، وخاصة في القرن الأول الهجري.

يقول: «إن الرعية السياسية لدولة الإسلام الأولى قد تكونت من العرب رغم اختلاف الدين، أي وفق معيار قومي عربي، فضمت المهاجرين والأنصار، وضمت معهما الأجزاء التي تهودت من قبائل المدينة وهي على يهوديتها»[٢] يشير إلى الصحيفة التي نظمت أحوال أهل المدنية آنذاك.

● ومن هذه الغرائب المضللة ما يقوله الكاتب عن علاقة المسلمين باليهود في المدينة وما حولها.

يقول: «إن الحرب التي شنّها المسلمون ضد اليهود في المدينة وما حولها، لم تكن ضد هؤلاء اليهود العرب الذين انخرطوا مع المؤمنين العرب في بناء الدولة الجديدة... وإنما كانت هذه الحربَ في الأساس ضد اليهود ذوي الأصول العبرانية، الذين كانوا يحتلون في ذلك المجتمع مكان الغزاة، المتعالين بكتابهم على العرب الأميين، والزراعيين الذين غرسوا بذور الخلاف بين الأوس والخزرج قبل الهجرة...

أما الأجزاء العربية من قبائل المدينة التي تدينت باليهودية قبل الإسلام

---

(١) انظر تفصيلاً لذلك: كتابنا الحياة السياسية عند العرب ص ٢٤٩ ـ ٢٥٥.

(٢) الإسلام والعروبة والعلمانية ص ١٤ /محمد عمارة.

فقد دخلت ـ من منطلق قومي عربي ـ في إطار الرعية السياسية للدولة الجديدة، ثم دخلوا بعد ذلك في دين الإسلام»[1].

هذا منطق عجيب، وأباطيل تخالف ما صح من كتب السيرة والتاريخ . . .

وهل أبقى الرسول يهوداً لم يقاتلهم عرباً كانوا أو عبرانيين؟! لقد حارب الجميع ولم يستثن منهم أحداً لأنهم أهل غرور وخداع، وأوصى بإخراج من بقي منهم من جزيرة العرب، فأخرجهم عمر رضي الله عنه[2].

● ويعتبر محمد عمارة أنّ تحويل القبلة نحو الكعبة كان تحقيقاً لرغبة العرب وما يريدون. يقول: «وفي تلك الفترة، وبسبب أن الكعبة تاريخياً ومنذ القدم، هي قبلة العرب القومية، ومركز حجهم، وموطن مقدساتهم، ولارتباطها بدياناتهم المتبقية القديمة. . . فلقد تطلعت رغبات المسلمين بالمدينة إلى قبلتهم القومية، بدلاً من بيت المقدس، وتصاعدت هذه العواطف والرغبات دعاء ودعوات استجاب لها المولى سبحانه، فحقق للعرب المسلمين ما يريدون!!»[3].

٣ ـ تمجيد الفرق والحركات المنحرفة:

لم يكتف أصحاب هذه المدرسة بتزوير صفحات تاريخنا الناصع، وتشويهه أمام الناشئة، وإنما بدأوا يمجدون الفرق الضالة في تاريخ المسلمين، ويمدحون كل الشخصيات ذات الدور التخريبي، سواء في مجال الفكر أو العقيدة.

● «فقد **مجدوا الخوارج** واعتبروا أنهم حزب العدالة والجمهورية والقيم الثورية التي جاء بها الإسلام» رغم أنهم كلاب أهل جهنم، وقد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، كما ذكرت ذلك الأحاديث الصحيحة.

---

(١) الإسلام والمستقبل: (ص ١٦٩ ـ ١٧٠) ط أولى القاهرة/ دار الشروق.

(٢) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: ص ٤٢٤ سليمان الخراشي.

(٣) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة / ص ١٦٢/ .

والقرامطة «هم الجناح اليساري في الحركة الشيعية، وكانوا حركة ثورية ضد الإقطاع» كما يرى الدكتور عمارة[(١)].

والقرامطة هم الذين احتلوا مكة المكرمة وقتلوا الحُجاج آنذاك، ورموا جثثهم في بئر زمزم، ونهبوا حلي الكعبة واقتلعوا الحجر الأسود وبقي عندهم أكثر من عشرين سنة.

وقد **مجد العصرانيون المعتزلة**، وأعجبوا بمنطقهم وفلسفتهم، كما أعجبوا بالقدرية والشيعة، ويرى الدكتور عمارة أنّ ثورات الخوارج والمعتزلة والشيعة كانت بسبب الظلم الاجتماعي ونبذ بني أمية لمبدأ الشورى[(٢)].

فالدكتور عمارة وأصحابه يكررون ما قاله المستشرقون أمثال «بروكلمان» في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية»، فهو يعلي فيه من شأن القرامطة وثورة الزنج، وافترى على الصحابة افتراءً عجيباً.

ولعل الخلفية الفكرية عن صراع الطبقات والقضية العرقية عند الدكتور عمارة، هي التي أوحت إليه بتلك التصورات المضطربة[(٣)].

● **وقد روج العصرانيون الجدد للاشتراكية والديمقراطية واليسار** ومن أقوالهم في ذلك: «ولم يكن هنا ما يغير الاشتراكية، ما دامت تبقي الإصلاحات الاقتصادية، وتطالب برفع الظلم عن كاهل العمال والفقراء، ولكنها أضحت فكراً خاطئاً حين لبست ثوب الأفكار الماركسية»[(٤)].

---

(١) انظر: فجر اليقظة القومية: محمد عمارة /ص ١٤٠، ١٥٤/ وانظر غزو من الداخل /ص ٢٦/ جمال سلطان.

(٢) ينظر: التراث في ضوء العقل: محمد عمارة /ص ١٦٣/.

(٣) ينظر: محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: سليمان الخراشي. يقول الخراشي: «لقد اعتقل عمارة عام ١٩٥٩ م لمدة خمس سنوات ونصف أثناء فترة اعتقالات التيار اليساري والحركة اليسارية في مصر، وكان كذلك عضواً في حزب مصر الفتاة» وهو حزب قومي/المقدمة.

(٤) انظر: العصريون، يوسف كمال /ص ٣٨ ـ ٤٠/. وحكمة الدين: وحيد الدين خان /ص ٩/.

«واليسار المسلم يتمسك بالديمقراطية، إذ هي حكم الله في المصالح والعلاقات الإنسانية، حيث لا يكون النص الإلهي الملزم القاطع في وروده ودلالته»[1].

* * *

ومن الفرق الضالة التي مجدها العصرانيون: الدولة العبيدية، وثورة الزنج في البصرة. وهم يخالفون في ذلك جميع المؤرخين الثقات منساقين وراء فتنتهم بالثورات، وجرياً وراء آراء أساتذتهم من المستشرقين.

تمجيد الدولة العبيدية:

وقد خصص الدكتور محمد عمارة كتاباً كاملاً في تمجيد هذه الدولة الرافضية الإسماعيلية بعنوان: «عندما أصبحت مصر عربية»[2].

واعتبر أنّ توليها على مصر اكتمال لعروبتها[3].

ولننظر الآن في آراء علماء المسلمين المعتبرين حول هذه الدولة.

قال ابن كثير رحمه الله: «كانت مدة ملك الفاطميين «العبيديين» مائتين وثمانين سنة وكسراً، فصاروا كأمس الذاهب «كأنْ لمْ يغنوا فيها» وكان أول ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حداداً اسمه عبيد وكان يهودياً، فدخل بلاد المغرب ويسمى بعبيد الله وادّعى أنه شريف علويّ فاطمي.. . وصار ملكاً مطاعاً **يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض...**». قال عنهم ابن كثير: «كان الخلفاء الفاطميون من أغنى الخلفاء وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعبّاد...»[4].

---

(١) مجلة المسلم المعاصر: العدد الافتتاحي / فتحي عثمان.

(٢) عندما أصبحت مصر عربية: محمد عمارة / طبعة بيروت ١٩٧٤ م.

(٣) ينظر: محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: الخراشي / ص ٦٨٢ ـ ٦٨٩/.

(٤) البداية والنهاية: ابن كثير، جـ ٢٦٧/١٢.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في فتوى له بشأن دعوى عصمتهم ونسبهم: «... هم من أفسق الناس ومن أكفر الناس، وما يدعي العصمة في النفاق والفسوق إلا جاهل مبسوط الجهل، أو زنديق يقول بلا علم»[(١)].

وقال رحمه الله أيضاً: «ادّعوا أنهم من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولم يكونوا من أولاده، بل كان جدهم يهودياً ربيباً لمجوسي، وأظهروا التشيع، ولم يكونوا في الحقيقة على دين واحد من الشيعة الإمامية ولا الزيدية، بل ولا الغالية، الذين يعتقدون إلهية علي أو نبوّته، بل كانوا شراً من هؤلاء كلهم»[(٢)].

وقال أبو الحسن القابسي: «إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل، ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت»[(٣)].

فأية جناية يقوم بها العصرانيون في تمجيد هؤلاء الضالين الذين يكفرهم علماء المسلمين؟!

ثورة الزنج:

من الثورات الطائشة التي اهتم بدراستها المستشرقون، كعادتهم في تمجيد التيارات الحاقدة في تاريخنا. وقد خصص الدكتور محمد عمارة مبحثاً كاملاً من كتابه «الإسلام والثورة» للحديث عن ثورة الزنج، إكمالاً لرسالة رجال الاستشراق والتنصير.

وكان مما قاله: «كان قائد هذه الثورة شاعراً وعالماً، وهو ثائر عربي

---

(١) الفتاوى: ٣٥/ ١٢٧.

(٢) الفتاوى: ٤/ ١٦٢.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: (ص ٤ ـ ٦).

وعلوي ـ رغم تشكيك خصومه في صحة نسبه العلوي ـ وأغلب قوادها كانوا عرباً»[1].

ثم يقول: «وكان لهذه الثورة أفكار اجتماعية متقدمة وبطولات ثورية، في ثورتهم هذه ضد النظام السياسي والاجتماعي الذي ساد بغداد»[2].

ويقول كذلك: «هذه الثورة قد بدأت في سلطة عربية ضد سلطة المماليك الترك، الذين كانوا يفرضون طغيانهم على خلفاء بني العباس وخلافتهم في بغداد»[3].

وقد كتب الأستاذ محمد جمال رسالة بعنوان «الفتنة السوداء» يقول فيها ما موجزه[4]:

«لقد سماه المؤرخون «صاحب الزنج» وهو رجل فارسي الأصل، محتال خبيث، يعمل عقله أكثر مما يعمل سلاحه، اصطنع لنفسه نسباً إلى آل البيت».

قال ابن كثير: «ولم يكن صادقاً، وإنما كان أجيراً عند بني عبد القيس، واسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم، وأصله من قرى الري».

● وكان يقول لأصحابه: «لقد عرضت عليّ النبوة، فخفت ألا أقوم بأعبائها، فلم أقبلها».

وعلى الرغم من ادعائه النسب إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما، فإنه لم يجهر بعقائد المذهب الشيعي، وإنما جهر بعقائد الخوارج، وكان يسب علياً وعثمان ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

● يقول ابن الرومي يصف البصرة عندما اقتحمتها هذه الثورة الخبيثة:

---

(١)(٢) الإسلام والثورة: محمد عمارة ص (٢٦٠، ص ١٨).

(٣) التراث في ضوء العقل: (ص ٢١٩).

(٤) انظر: محمد عمارة، سليمان بن صالح الخراشي (ص ٦٧٣ ـ ٦٧٥).

ذادَ عـن مـقـلـتـي لـذيـذ الـمـنـام شـغـلـهـا عـنـه بـالـدمـوع الـسّـجـام
أي نـوم مـن بـعـدمـا انـتـهـك الـز نـج جـهـاراً مـحـارم الإسـلام
أقـدم الـخـائـن الـلـعـيـن عـلـيـهـا وعـلـى الله أيـمـا إقـدام
لهف نفسي عليك أيتها البصرة لـهـفـاً كـمـثـل لـهـب الـضـرام

قال الأستاذ محمد جمال في ختام بحثه القيّم عن هذه الفتنة: «هذه يا أخي القارئ حقيقة ما يسميه بعض من يزوّر الحقائق «بثورة الزنج التحررية». نقلت لك أخبارها بأمانة من أوثق كتب التاريخ الإسلامي»[١].

● إن العصرانيين يدعون إلى **ثورة لكنها ثورة شوهاء**: ضد كل ثوابت هذا الدين، مع تمجيد الشخصيات المشبوهة في تاريخ المسلمين، انظر إلى هذا اللغط المحموم الذي يجسد آمال أعداء الإسلام فيه والذي يقول: «إن المثقف العربي يجب أن يجعل من نفسه الامتداد المتطور لثوار مصر الفرعونية ضد غزاتها، ولشعراء الفتوة وفرسان الصعاليك في عرب الجاهلية، ولثورة الإسلام التي جعلت الإنسان سيد الطبيعة، وللنضال الجماهيري لأبي ذر في سبيل العدل وللتطبيق العادل الذي صنعه أفراد مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز.

ولرواد العقلانية العربية الإسلامية من المعتزلة، ولديمقراطية الخوارج وثورتهم المستمرة، ولحركات الشيعة السرية وثوراتها، وللذين أحيوا تراث اليونان والهند والفرس بعد أن مات بين يدي أهله..

ولرواد عصر نهضتنا ويقظتنا، الذين أعادوا الروح إلى هذه الأمة بعد ليل العثمانيين والمماليك، من الطهطاوي إلى الأفغاني، ويعقوب صنوع إلى قاسم أمين، إلى طه حسين... إلى الأخيار الذين يجاهدون قوى التخلف والرجعية إلى الأبد»[٢].

---

(١) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: الخراشي/ ص ٦٧٥.

(٢) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة (ص ٢٨٧)/ .

الحقيقة أن هذا الكلام متهافت متناقض، لا يفسره لنا إلا اتباع الهوى والثورة على قيم التاريخ الإسلامي وأهله.

* * *

٤ ـ تمجيد الشخصيات المنحرفة:

وهو أمر غريب في تاريخ هذه الأمة إذ لم يترك العصرانيون شخصية خبيثة في معتقدها، منحرفة في مسلكها إلا وقد حاولوا تمجيدها، إذ مجدوا غلاة الصوفية كابن عربي والحلاج وأمثالهما، ومدحوا الحركات الباطنية كإخوان الصفا والحشاشين والقرامطة. ومعلوم أن المستشرق «ماسينيون» قد اهتم ببعث التراث الصوفي الفلسفي كالحلاج وكتابه الطواسين، واهتم بابن سبعين وبمذاهب الباطنية[١].

قال الدكتور محمد عمارة: «ابن عربي في التصوف الفلسفي قمة القمم، لا في حضارتنا العربية الإسلامية فقط، بل وعلى النطاق الإنساني، وهو بمقياس «السلفية المحافظة» أو «الفقهاء» وثني زنديق»[٢].

وكثيراً ما أشاد عمارة وأمثاله (بالتصوف الفلسفي) رغم خروج أصحابه على الشريعة، إلا أنه يعتبره نظرة للكون وتصور للوجود تتخذ من العقل ومن الذوق معاً أدوات للنظر في الكون والوجود. وأصحاب هذا النهج لا يقفون عند حدود الشريعة، كما حددها الفقهاء، ومن هنا جاء الصراع بين الصوفية والفقهاء، لكن تاريخ هذا الصراع يشهد بأن الفقهاء كانوا أضيق أفقاً كما كانوا أدوات للسلطة الحاكمة على عكس الفلاسفة الصوفيين[٣].

وفلاسفة الصوفية قالوا بوحدة الوجود، وتعطيل الشريعة ورفع التكاليف عنهم، وكان لهم تأثير سلبي على الحياة الاجتماعية في القرن

---

(١) ينظر: ما كتبناه عن الاستشراق والاستعمار، الباب الأول الفصل الرابع ص ١٠٦.
(٢) التراث في ضوء العقل/ ص ٢٩١/ .
(٣) السابق: (ص ٢٩٦).

السابع الهجري وما تلاه[1].

● **ويمجدون غيلان الدمشقي كذلك**، وكان قد قتل على بدعته في القدر، إذ ناظره الأوزاعي وأفتى بقتله. قال الذهبي: «غيلان بن أبي غيلان المقتول في القدر ضال مسكين»[2]. وقال الساجي: «كان قدرياً دعا عليه عمر بن عبد العزيز.. فقتل وصلب وكان غير ثقة، ولا مأمون. كان مالك ينهى عن مجالسته»[3].

● ويعمق العصرانيون انحرافات المعتزلة لتمجيد رجالاتهم، بعد لمز علماء السنة.

فها هو عمارة، يشيد بقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني فهو: «أعظم أئمة المعتزلة في عصره، وصاحب التراث الذي لولاه لما بقي لنا من تراث المعتزلة، ما يجلو موقفهم الفكري على حقيقته..

وقد قاد الصحوة الاعتزالية في عصر اضطهاد المعتزلة، فقد بلغت الدولة العباسية في ذلك الاضطهاد، إلى حد تحريم فكر المعتزلة بمرسوم هو أشبه ما يكون بمراسيم الحرمان الكنسية أيام الخليفة القادر»[4] مما يذكرنا برأي أحمد أمين بالمعتزلة.

ويمجد عمرو بن عبيد «فهو زاهد المعتزلة وناسكهم وعالمهم.. وقائدهم.. وقد ساهم في الثورة ضد بني أمية..»[5].

أما المدرسة الإصلاحية: فهي صاحبة الفكر المتطور والمتجدد، يقول

---

(١) ينظر: كتابنا، بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة، الباب الثالث (التصوف . . .).

(٢) الميزان: للذهبي جـ ٣/ ٢٣٨.

(٣) لسان الميزان: ٤/ ٤٢٤.

(٤) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة (ص ١٠٩ ـ ١١٠). دار الوحدة/ بيروت/ ١٩٨٠ م.

(٥) التراث في ضوء العقل: (ص ٢٧ ـ ٤٠).

محمد عمارة: «إن تيار الجامعة الإسلامية الذي أسسه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، قدم أكثر تصورات العصر دقة وعمقاً وجرأة للإسلام.. وإن هذا الإسلام بهذه التصورات كان الامتداد المتطور والمتجدد للإسلام الدين، والإسلام الحضارة، مطبقاً على مشكلات العصر ومستجيباً لها»[1].

● وها هو حسين أحمد أمين يمدح يزيد بن أبي سفيان صاحب الحرة الذي استباح مدينة الرسول ﷺ وقتل كثيراً من أهلها، ومنهم أصحاب رسول الله ﷺ.

ويمجد الحجاج بن يوسف الثقفي الذي حاصر مكة المكرمة وقتل ابن الزبير وخرب الكعبة بالمنجنيق، وكان جباراً ظالماً. يقول فيه: «إنه أعظم الإداريين في تاريخ العالم»[2].

ومع هذا فإنه يصب جام غضبه على الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله. فيرى أنه ساهم بجهله في الشؤون السياسية في تدهور أحوال الدولة الأموية ثم سقوطها. ثم يقول: «ولم تجلب سياسته المالية والإدارية غير خراب الدولة»[3].

هكذا تكون الموضوعية والأمانة في دراسة التاريخ الإسلامي، عند دعاة التغريب!!.

● ويعود الدكتور عمارة ليشيد بالجوانب المظلمة من سيرة جمال الدين الأفغاني، كتنظيم جمعية العروة الوثقى السرية، ومبادئها مليئة بالإشارات والرموز السرية، ويتحدث عن تأسيسه محفلاً وطنياً شرقياً، علاقاته مع المحفل الفرنسي. استمع إليه وهو يقول: «من مجموعة الأوراق والوثائق والمراسلات التي بقيت من آثار هذا التنظيم نضع يدنا على خبرة

---

(١) الإسلام والعروبة والعلمانية: ص ٨١/ دار الوحدة/ بيروت ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م.
(٢) انظر: دليل المسلم الحزين، طبعة مدبولي، (ص ٢٦٩).
(٣) السابق ص ٢٠٣، وإسلام آخر زمن: منذر الأسعد (ص ٦٩ ـ ٧٠).

في العمل السياسي والتنظيمي بلغت درجة عالية من النضج والعبقرية.. وهذه خبرات نعتقد أن لها صلات وثيقة بتراث العرب والمسلمين في التنظيم السري منذ جمعيات المعتزلة، وإخوان الصفا والقرامطة والحشاشين»[١].

ثم مجد **العصرانيون** الشيخ علي عبد الرازق على خدماته الرائعة لهدم الشريعة!! على طريقة الكنائس النصرانية. وقد عرفنا فيما سبق أن واضع الكتاب الأصلي مستشرق يهودي محترف هو (مرجليوث)، وأنه أهداه للشيخ علي عبد الرازق، وأن علي عبد الرازق كان ينتمي إلى أسرة عريقة في خدمة المستعمر الإنجليزي[٢].

رغم ذلك كله يقول محمد عمارة فيه: «تتفق آراء كثير من المفكرين على اعتبار كتاب الشيخ علي عبد الرازق ـ الإسلام وأصول الحكم ـ أهم الكتب التي صدرت منذ بداية النهضة العربية الحديثة..

لأنه يمثل موقفاً شجاعاً من شيخ واجه الملك وعلماء الدين الدائرين في فلك الملك والعامة المنقادين لعلماء الدين!

ولقد كان الشيخ من تلامذة مدرسة الإمام محمد عبده، وتأثير فكر الإمام المعادي للسلطة الدينية، واضح تماماً في منطلقات علي عبد الرازق..»[٣].

هكذا وقف العصرانيون في صف أعدائنا في قضايا الحكم والتشريع، وفي السنة النبوية وقضايا الإسلام الأخرى.

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمد عبدة: ١/ ١٢٩، ٣٥/ تأليف محمد عمارة/ بيروت/ دار القدس/ ١٩٧٨ م.
(٢) انظر: الإسلام والخلافة، ضياء الدين الريس/ ص ١٦٦ ـ ١٨٥.
(٣) التراث في ضوء العقل/ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢/ محمد عمارة.

المبحث الخامس

الدعوة إلى وحدة الأديان

- خطورتها العقدية.
- نشأتها: وجدت عند ملاحدة الصوفية، وعند التتار، وراودت تفكير جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده.
- العصرانيون الجدد والقول بوحدة الأديان: د. عبد العزيز كامل - د. أحمد كمال أبو المجد - د. حسن حنفي - عبد اللطيف غزالي - فهمي هويدي.
- صلتها بالماسونية: الميمات الثلاث ومبادىء الحرية والإخاء والمساواة.

المبحث الخامس

الدعوة إلى وحدة الأديان

تتمثل عقيدة المسلمين في أن الإسلام هو الدين الحق الذي جاء مكملاً للأديان السماوية، ومصححاً ما حرفه أصحاب تلك الأديان.

إلا أن شعارات منحرفة، ومصطلحات غريبة، بدأت تغزو المجتمعات ومنها مجتمعات المسلمين، أمثال: العالمية وتوحيد الأديان، أو التقارب بينها.. وهي دعوة ماسونية في أهدافها، والمضمون واحد في الدعوتين.

«ويزعم أصحاب هذه الدعوة أن العالمية هي السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد، تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام محل الخلاف.

والدعوة باطلة من أساسها، لأنها تخالف سنة ثابتة من سنن الله في الأرض، وهي دفع الناس بعضهم ببعض، وضرب الحق والباطل، والهدم والبناء وجهان لهذه السنة، لا يفتآن يعملان دون انقطاع، وكل ميسر لما خلق له»[1].

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (سورة البقرة: ٢٥١). وقد حرص الإسلام على تمييز المسلمين من سائر الأمم بوصفهم أمة ذات كيان مستقل، وفي سبيل هذا الحرص.. نهاهم عن أن يقلدوا غيرهم في ملبسهم

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين/ ص ١٩٣.

أو عاداتهم فقال عليه الصلاة والسلام: «من تشبّه بقوم فهو منهم»[1].

وعمد الإسلام إلى مخالفتهم في هيآتهم في كثير من الحالات.
فالدعوة إلى العالمية ـ وما شابهها ـ دعوة هدامة مخرّبة من وجوه كثيرة، ولها تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة، من سياسية ودينية واقتصادية وأدبية..

إذ الهدف أن تصبح الأرض وطناً واحداً يدين بدين واحد.. ويتذوق الآداب بذوق مشترك، وهي تشكك الناس في ولائهم الديني والوطني، ثم تتركهم في الفوضى والقلق وسط أنقاض ما هدّمت من عقائد، وما قطّعت من وشائج»[2].

● والدعوة إلى وحدة الأديان فكرة قديمة، **وجدت عند ملاحدة الصوفية** كما ذكر ابن تيمية رحمه الله في عدد من كتبه وهذه الفكرة الخبيثة قد وجدت قديماً عند ملاحدة الصوفية كابن سبعين وابن هود والتلمساني[3]، قال ابن تيمية رحمه الله: «كان هؤلاء كابن سبعين ونحوه يجعلون أفضل الخلق «المحقق» عندهم، وهو القائل بالوحدة، وإذا وصل إلى هذا فلا يضره عندهم أن يكون يهودياً أو نصرانياً، بل كان ابن سبعين وابن هود والتلمساني وغيرهم يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقاً إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين»[4].

كما وجدت عند التتار. يقول ابن تيمية في ذلك: «وكذلك الأكابر

---

(١) رواه أبو داود في كتاب اللباس.
(٢) انظر الإسلام والحضارة الغربية/ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦/.
(٣) انظر نواقض الإيمان: د. عبد العزيز العبد اللطيف/ ص ٣٧٨.
(٤) الرد على المنطقيين لابن تيمية: ص ٢٨٢/ الطبعة الثانية/ ١٣٩٦ هـ/ طبعة لاهور باكستان ومجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٥.

من وزرائهم وغيرهم، يجعلون دين الإسلام، كدين اليهود والنصارى، وأن هذه كلها طرق إلى الله بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين»[1].

● وهذه الدعوة راودت تفكير **جمال الدين الأفغاني** منذ أواخر القرن الثامن عشر. قال محمد عمارة: «لقد راودت الأفغاني أحلام السعي لتوحيد المؤمنين بالدين، وأبناء الشرائع السماوية الثلاث، سدّاً للثغرات أمام الأعداء، وتعبيراً عن اتحاد مقاصد الشرائع السماوية نحو الخير والحق والعدل.. وعن هذا الهدف كتب فيلسوفنا العظيم يقول: «لقد لاح لي بارق أمل كبير: أن يتحد أهل الأديان الثلاثة، مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها، وبهذا الاتحاد يكون البشر قد خطوا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة»[2].

ومن أقوال الأفغاني أيضاً: «إن الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية[3]، على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية وإذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير المطلق، استكملته الثانية.. وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير أن يتحد أهل الأديان الثلاثة»[4].

● وتأثر بهذه الدعوة تلامذة الأفغاني، وعلى رأسهم الشيخ **محمد عبده**، إذ قد دعا إلى التقريب بين الأديان، وكان ذلك بإيعاز من الأفغاني، فقد اتصل الشيخ محمد عبده برجالات الدين النصراني، وتفاوض معهم منذ عام /١٨٨٣ م/ عندما كان منفياً في بيروت.. وقد أخذت هذه الدعوة شكلاً عملياً بعد وفاة الأفغاني..

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٨/ ٥٢٣.

(٢) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة/ ص ٢٣٦/ .

(٣) المحمدية اسم يطلقه اليهود والنصارى على الإسلام. قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الحج: ٢٢).

(٤) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني. محمد عمارة/ ص ٦٩ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ .

حيث اتصل بقس إنجليزي اسمه «إسحق تيلور» وكتب إليه رسالتين للتقريب بين الأديان.. وقد صرح (تيلور) بأن تفسير الإمام يمهد له الطريق لإثبات الوحدة بين الديانتين، في وسط يلتقي فيه المؤمن بالقرآن والمؤمن بالإنجيل.

وسرت هذه الروح بعد الشيخ محمد عبده حتى اشتعلت في مصر ثورة / ١٩١٩ م بقيادة صحبه وتلاميذه، وفي مقدمتهم سعد زغلول، حتى اتحد الصليب والهلال، وخطب شيوخ الأزهر في الكنائس، واعتلى القسس منابر الأزهر[١].

ثم ظهرت هذه الدعوة من جديد في السنوات الأخيرة، حين قام جماعة من المعروفين بميولهم الصهيونية، بعقد مؤتمر للتأليف بين الإسلام والنصرانية في بيروت /١٩٥٣ م، ثم في الاسكندرية عام / ١٩٥٤ م.

وقد كثرت الأقاويل في أهداف هذه الجماعة، وفي مصادر تمويلها، وأصدر الحاج أمين الحسيني بياناً أثبت فيه صلة القائمين على هذه الدعوة بالصهيونية العالمية[٢].

ومن آخر هذه المؤتمرات المؤتر المنعقد في موسكو تحت عنوان «الإسلام والتفاهم بين الأديان والشعوب في العالم المتغير» في الفترة من ٢٦ ـ ٢٨ مايو/ ١٩٩٥ م. تحت رعاية منظمة اليونسكو ومشاركة العديد من الهيئات الدينية، وأوصى المؤتمر بدعوة المسلمين في العالم عامة، وفي روسيا الاتحادية، ودول الكومنولث على وجه الخصوص لمواصلة دورهم الحضاري الفاعل، والتفاعل الإيجابي مع أصحاب الديانات الأخرى، وتحقيق السلام الاجتماعي والتضامن الوطني في بلدانهم[٣].

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية/ ص ٨١ وما بعدها/ وينظر: تاريخ الأستاذ الإمام: ١/ ٨١٧ لمحمد رشيد رضا.

(٢) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٢/٣١٩ ـ ٣٢٠ والإسلام والحضارة الغربية / ص ٢٠٨/ .

(٣) جريدة الشرق القطرية: ٥ محرم ١٤١٦ /٣ يونيو/ ١٩٩٥ م.

والإسلام دين عالمي بمعنى أنه رسالة موجهة لأهل الأرض جميعاً، تدعوهم إلى الدخول فيه، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٩) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، (الأعراف: ١٥٨).

أما أن تختلط شركيات النصارى واليهود بدين الله الخالص، فلا يقول به إلا معتوه، أو من اهتزت ثقته بدينه.

● **العصرانيون الجدد والقول بوحدة الأديان**: لقد تحمس العصرانيون الجدد إلى هذه الدعوة وتجاوزوا فيها كل حد، وهذه نماذج من أقوالهم.

● **قال الدكتور عبد العزيز كامل**: «ونحن في منطقة الشرق الأوسط، نؤمن بالتوحيد بطريقة أو بأخرى، وأقولها واضحة، يستوي في هذا: الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى الإيمان بالأقانيم الثلاثة في الفكر المسيحي يختم بإله واحد. هذه منطقة توحيد، والصور تختلف، وتفسيرها الفلسفي يختلف»[1].

● وينعى الدكتور **أحمد كمال أبو المجد** على الذين يسرفون في القول بتميز الإسلام على غيره، كاليهود والنصارى، فذلك مخالف للقرآن الكريم ذاته ـ كما يزعم ـ.

يقول: «والذين يسرفون في الإلحاح على تميز الإسلام والمسلمين تميزاً شاملاً مطلقاً محجوجون بنصوص القرآن الكريم، التي تصف أنبياء الله بوصف الإسلام ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (آل عمران: ٦٧).

وهم محجوجون كذلك بحقيقة وحدة الإنسانية، ووحدة مصدر الأديان السماوية، وبأن العهد الذي أخذ بحمل الأمانة إنما أخذ على آدم أبي

---

(١) ينظر: كتابه، (الإسلام والعصر / ص ١٩٤/ نقلاً عن: العصريون ليوسف كمال.

البشرية، وعلى بنيه مسلمين وغير مسلمين. ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ (الأعراف: ١٧٢)[1].

● وللدكتور **محمد عمارة نظريته في وحدة الأديان** أعلنها تحت شعار «**وحدة الدين الإلهي**»، فهو يرفض تقسيم الناس على هذا الأساس (المتخلف)، إلى مؤمنين وكفار، لأن ذلك التقسيم، قد ارتبط بالعصور الوسطى وعهود الظلام»[2].

ويرى أن رفاعة الطهطاوي قدم فكراً مستنيراً في هذا الجانب حيث قدم «تقسيماً جديداً، لا يقوم على معايير الكفر والإيمان، وإنما يقوم على مقاييس، التحضر والخشونة»[3].

«والفروق بين المسلمين وأهل الكتاب، ليست من الخطر، بحيث تخرج الكتابيين من إطار الإيمان والتدين بالدين الإلهي»[4].

● أما **الدكتور حسن حنفي**: فهو **أشد صراحة** في طرحه لهذه القضية يقول: «لا يوجد دين في ذاته، بل يوجد تراث لجماعة معينة، ظهر في لحظة تاريخية محددة، ويمكن تطويرها للحظة تاريخية قادمة»[5].

ويعتبر ما تقدم هدماً لأصول الدين على طريقة الفكر الماركسي.

● ويقول **عبد اللطيف غزالي**: «لَم يعتقد أتباع كل دين أن الله يختصهم بالجنة، ويذر غيرهم وأكثر الناس في النار؟ إن إلٰهاً هذا شأنه وإن

---

(١) انظر: حوار لا مواجهة/ ص ٢٠٧، أحمد كمال أبو المجد.

(٢)(٣) تيارات اليقظة الإسلامية: محمد عمارة (ص٢٨٠) / سلسلة الهلال/ ١٩٨٢ م. وانظر غزو من الداخل (ص ٦٤).

(٤) تجديد الفكر الإسلامي: محمد عمارة (ص ٨٢).

(٥) التراث والتجديد: حسن حنفي ص ٢٢.

صح ـ وحاشا أن يصح ـ لا يكون إله طائفة قليلة بالنسبة لسائر الناس، لأنه ليس ثمة دين يضم أكثر البشر.. إن العمل الصالح لهو اليوم أفضل جهاد في سبيل الله»[1].

● ويعجب **فهمي هويدي** من خطيب جمعة رآه يتحدث في خطبة عن أن المسلمين «خير أمة أخرجت للناس»، وأن فرش المسجد ولباس الشيخ من صنع غير المسلمين!![2].

● ويعجب الشيخ **محمود أبو رية** في كتابه (دين الله واحد)، كيف سيحرم (أديسون) مخترع النور الكهربائي من الجنة، وقد أضاء العالم كله، حتى مساجد المسلمين باختراعه؟!.

وعندما قيل له: إن أديسون لم ينطق بالشهادتين. قال: إذا كان هذا الرجل العظيم لم يدخل الجنة شرعاً، أفلا يمكن أن يدخلها عقلاً بفضل الله ورحمته؟ مادام يؤمن بخالق السماوات والأرض[3].

وممن دعا إلى هذه العقيدة في السنوات الأخيرة: رجاء جارودي، كما يتضح ذلك من رسالته المسماة «وثيقة أشبيلية»[4].

* * *

إن **الدعوة إلى وحدة الأديان**، وكما لاحظنا من أقوال دعاتها **دعوة ماسونية**. فالماسونية تدعو إلى الإنسانية، ومحبة البشر كلهم بلا تمييز، والشيوعية كذلك تدعو إلى الإنسانية والسلام ـ حسب زعمها ـ ودعاة التوفيق

---

(١) العصريون: يوسف كمال (ص ١٠٩).

(٢) مجلة العربي / ١٤٠١ هـ/ شهر ربيع الأول.

(٣) العصريون: يوسف كمال، (ص ١١٢) بإيجاز.

(٤) انظر: نواقض الإيمان / ص ٣٧٧، وجارودي كان نصرانياً ثم أعلن إسلامه، وشيوعياً قديماً، ثم بدأ نشاطه نحو توجيه المسلمين، وعلى كلٍ نحن لا نأخذ ديننا عمن أسلم حديثاً

بين الأديان يدعون إلى ديانة مبتكرة يرتضيها كل الناس، منهم البهائية، ومنهم أصحاب الدعوة إلى التقريب بين الإسلام والنصرانية، ومن هؤلاء شهود يهوه، والروتاري[1].

ومن كلام الماسون ما كتبه أحد كبار رجالهم ـ محمد رشاد فياض، رئيس محفل الشرق الأكبر العالمي، والملقب عندهم بالقطب الأعظم ـ في كتابه: «النور الأعظم» حيث قال: «الميمات الثلاث في الموسوية والمسيحية والمحمدية، يجتمعون في ميم واحد، هو ميم الماسونية، لأن الماسونية عقيدة العقائد، وفلسفة الفلسفات، إنها تجمع وتوحد المتفرقات، وإن ما أورثه الآباء الصالحون للأبناء هو مبادىء الحرية والمساواة والإخاء»[2].

«وإن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان»[3].

● إن الدعوة إلى وحدة الأديان كفر صريح، لما تتضمنه من تكذيب للنصوص الصحيحة الظاهرة والتي تقرر ـ قطعياً ـ بأن دين الإسلام الكامل والذي أتم الله به النعمة، ورضيه لنا ديناً، أنه هو الناسخ لما سبقه من ديانات اعتراها التحريف والتبديل. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران: ٨٥). ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقد حرَّم الله تعالى موالاة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ (المائدة: ٥١).

● ورحم الله سيد قطب إذ وضّح هذه القضية فقال: «إن سماحة

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية / ص ٢٠٦/.

(٢) النور الأعظم / ص ١١٢/ نقلاً عن الإسلام والحضارة الغربية / ص ٢٠٧/.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٨٥.

الإسلام مع أهل الكتاب شيء واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين..

إن هؤلاء يغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها.. وسذاجة أية سذاجة أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين أمام الكفار الملحدين!! فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة ضد المسلمين.

فهم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شرّدوا المسلمين في فلسطين وأحلوا اليهود محلهم..

إن التسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي، ولا في النظام الاجتماعي، أما هؤلاء فيحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم، الذي يقرر أن الله لا يقبل ديناً إلا الإسلام[1]. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩) ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٥) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٨٥.

● **وهذه دراسة حول سيطرة الصهيونية العالمية على الحوار بين الأديان من رسالة دكتوراه ننقلها من مجلة الدعوة كما هي[2]:**

مؤتمرات مشبوهة بمسمى «حوارات الأديان»:

إسرائيل.. تدير الحوارات!

القاهرة ـ «الدعوة»:

أكدت رسالة دكتوراه حديثة ناقشتها جامعة الأزهر المصرية مؤخراً أن

---

(١) انظر: في ظلال القرآن: جـ ٢/ ٩٠٩ ـ ٩١٥/ بتصرف.

(٢) العدد ١٥٠٩ ـ الخميس ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٦ هـ الموافق ٢١ سبتمبر ١٩٩٥ م ـ الدعوة ص ١٤/ الصادرة في مدينة الرياض.

جماعات الضغط واللوبي اليهودي والصهيوني في البلدان الغربية تسيطر على كل المؤتمرات والندوات الخاصة بحوار الأديان، وكشفت الرسالة العلمية المتخصصة عن أن هذه المؤتمرات أخذت موقفاً معادياً للحقوق العربية والإسلامية، وتجاهلت التطرق للمقدسات الإسلامية في محاولة للالتفاف على نفس التصورات ووجهات النظر الإسرائيلية والتي تحدد اعتبار مدينة القدس عاصمة موحدة للدولة اليهودية، وأنه لا تنازل أو انسحاب من هذه المدينة بغض النظر عن أية مفاوضات أو مباحثات خاصة بالتسوية في المنطقة.

وأضافت رسالة الدكتورة فايزة محمد بكري خاطر بكلية البنات جامعة الأزهر أن الملاحظات الميدانية والبحثية لمجمل المؤتمرات الخاصة بحوار الأديان كشفت أن إسرائيل تتدخل في تحديد أطرافها والمشاركين فيها والموضوعات التي سوف تناقشها كما تبذل جماعات الضغط الصهيونية دوراً موازياً يتسق مع أهداف ومخططات ومصالح إسرائيل بصفة عامة.

واستعرضت الدراسة تاريخ الحوار بين الأديان السماوية الثلاثة: الإسلام واليهودية والنصرانية، فكشفت الدور الخطير والمتصاعد للصهيونية العالمية في تحريك أطراف الحوار بما يمهد لاستقرار وهيمنة إسرائيل في المنطقة، أو يزيد من صلفها وتعنتها نحو استعادة الحقوق العربية. ففي مؤتمر حوار الأديان الذي عقد في لبنان عام ١٩٧٠م والمعروف باسم مؤتمر «عجلتون» أشارت الرسالة إلى إهمال وتجاهل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في الخارج، بينما اهتم نفس المؤتمر بما أسماه «متطلبات العدالة بين إسرائيل وجيرانها العرب من تكامل وتعاون، وقبول ومشروعية، تحفظ أمن إسرائيل واستقرارها من دون عداء أو حرب مع العرب»، وعلى هذا النحو انعقد مؤتمر آخر في عام ١٩٧٤م يسمى مؤتمر الكنائس الأعلى في جنيف وانتهى المؤتمر إلى أحقية اليهود في أرض فلسطين بحجة أنها مسألة لها سند في الكتاب المقدس، أما حقوق الفلسطينيين فهي مسألة (غير لاهوتية) ومجرد قضية أخلاقية.

وبحلول عام ١٩٨٨م كما تقول الرسالة وصلت مؤتمرات حوار

الأديان إلى مرحلة تطور مهمة وبالغة الخطورة، ففي المؤتمر النصراني الصهيوني الدولي رفض المشاركون إدانة أو شجب أو استنكار المذابح والممارسات التعسفية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، وهو ما تزامن مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية وتصاعد موجة العنف العسكري لقمعها وحصارها، بل إن واحدة من توصيات نفس المؤتمر قالت: إن المعلومات الخاصة بتجاوزات الحكومة الإسرائيلية غير كافية لإدانتها، ومن ثم فإن المؤتمرين يهنئون دولة إسرائيل بالذكرى الـ ٤٠ لقيامها (كان ذلك عام ١٩٨٨م)!

المفارقة التي تعكسها فصول رسالة الدكتوراه التي منحتها جامعة الأزهر للباحثة فايزة محمد بكري أن الضغوط الإسرائيلية الصهيونية وصلت إلى الحد الذي دفع بأحد كبار المهتمين بالحوار بين الأديان في الغرب لأن يكتب مقالاً بمجلة «النيوزويك» الأمريكية الشهيرة مطالباً فيها النصرانية والعالم النصراني باستجماع شجاعتهم للوقوف أمام التحركات الصهيونية، مطالباً بإيقاف الحوار وسرعة إبعاد التحرك الصهيوني فيه لصالح قضاياه مع العرب، ودعا إلى اتحاد أصحاب الديانات الحية الأخرى للوقوف ضد الصهيونية العالمية. وعلى هذا النحو تنقل الدراسة رأياً لأحد المفكرين العرب ينتقد فيه بشدة هذه المؤتمرات فيقول إن المسألة لم تعد نقاشاً دينياً في حوار بين الأديان، ولكنها أصبحت مساومة سياسية هزيلة تقودها جماعات ضغط صهيونية لا تبتغي سوى مصلحة إسرائيل، حتى ولو أدى ذلك إلى الإضرار باستقلال وسيادة أي من شعوب المنطقة. وتنتهي رسالة الدكتوراه إلى عدد من التوصيات فتركز على الدعوة إلى مقاطعة هذه المؤتمرات المشبوهة، وكشف الأسلوب المتخفي لإدارتها وتوجيهها وصياغة تصوراتها نحو عدد من القضايا والمشكلات الراهنة، بالإضافة إلى دعوة عدد من المتخصصين المحايدين والموضوعيين في البلدان الغربية إلى التأكد من نيّات وأفكار الباحثين المشاركين في هذه المؤتمرات، ووضع ضوابط أمام هذه المشاركة بحيث لا تخرج عن هدفها المرسوم.

المبحث السادس

موقف العصرانيين من الجهاد في سبيل الله

- أهمية الجهاد في سبيل الله.
- مدارس حديثة تأثرت بمزاعم المستشرقين السلميّة:
  - المدرسة الإصلاحية.
  - السيد أحمد خان والقاديانيون.
- العصرانيون الجدد: وفكرة اللاعنف والحرب الدفاعية.
- خطورة مواقف العصرانيين في قتل روح الجهاد، وتناسي ما يفعله الأعداء بالمسلمين في هذا العصر.

المبحث السادس

موقف العصرانيين من الجهاد في سبيل الله

أهمية الجهاد في سبيل الله[1]:

أوجب الله الجهاد على المسلمين فقال: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (سورة التوبة: ٤١).

وقال ﷺ: «مَنْ مات ولم يغزُ، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»[2].

لقد وجه الإسلام القتال نحو غايات سامية، وأهداف خيرة، على رأسها إعلان ألوهية الله وحده سبحانه، وتحقيق ربوبيته للعالمين «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[3].

فبالجهاد يحرر البشر ليختاروا العقيدة التي يرونها، وفيها «اعتناق العقيدة بحرية، ثم ليقيم الإسلام نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.. بعد إزالة القوة المسيطرة من قبل طواغيت الأرض»[4].

وبعد نشر التوحيد فهنالك رد الاعتداء عن المسلمين، وحماية ديارهم من شر الكفرة، ثم إرهاب الكفرة وإذلالهم وهذه بعض أهداف الحركة الجهادية في الإسلام.

- والجهاد قد يكون هجوماً، وقد يكون دفاعاً، والثاني فرض عين

---

(١) انظر تفصيلاً لذلك في كتابنا: الحياة السياسية عند العرب /ص ٢٨٥ ـ ٢٩٦.

(٢)(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٣/٥٦/٣ ـ السابق/ ١٣/٤٩.

(٤) في ظلال القرآن /ج ٣/ ١٤٢٥/.

على المسلمين عموماً حتى يندفع شر الأعداء، وفي الحديث الشريف: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»[1].

● إلا أن أعداء هذا الدين غاظهم انتصارات المسلمين وفتوحاتهم وأكل الحقد قلوبهم، فراحوا يشككون السذج من المسلمين بعقيدة الجهاد، وحاول المستشرقون إيهام هؤلاء بأن دينهم قد انتشر بالسيف والإرهاب، والعقائد لا تنتشر بالسيف وهذه من مقولات المستشرق اليهودي «جولد زيهر». إن هؤلاء يكابرون ويتجاهلون أن الإسلام كان رائد رحمة وعدل خلال فتوحات المسلمين، وما حمل أتباعه السيف لإكراه الناس على اعتناقه أبداً، وإنما ليقرروا نظام الإسلام في الأرض ويقرروا حرية الدعوة بعد حرية العقيدة، وهذا ما أخاف الأعداء من عقيدة الجهاد، فخدعوا المتباكين من أبناء المسلمين، بأن الدين الحق، لا ينتشر بالسيف[2].

لقد دب الرعب في قلوب الأعداء من اليهود والنصارى، ولذلك هرعوا لإماتة روح الجهاد في نفوس المسلمين على ثلاث جبهات: جبهة المبشرين، وجبهة المستشرقين، وجبهة الصنائع والمغفلين من أبناء المسلمين[3].

«إن المسلمين قد غزوا الدنيا كلها من قبل، وقد يفعلونها مرة ثانية»[4].

ويقول ولفرد كانتول سميث: «إن أوروبا لا تستطيع أن تنسىٰ ذلك الفزع الذي ظلت تحس به عدة قرون، والإسلام يجتاح الأمبراطورية الرومانية من الشرق والغرب والجنوب».

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١/٢١٢.
(٢) عن الحياة السياسية عند العرب بإيجاز / ص ٢٩٣ ـ ٢٩٧/ .
(٣) انظر: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية: د. علي العلياني / ص ٢٩٧ ـ ٣٠٢/ .
(٤) مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية.

لقد تبنت عدة مدارس تمَيع عقيدة الجهاد، وقصره على الدفاع فقط، وذلك ما سوف نبيّنه فيما يأتي:

مدارس حديثة تأثرت بمزاعم المستشرقين السلمية:

كتب عدد من الكتاب ممن تأثر بمزاعم المستشرقين، مشككين في الجهاد ومحذرين من عودته في العصر الحاضر.

● فأصحاب **المدرسة الإصلاحية** بزعامة الأفغاني ومحمد عبده هم أول من قصر الجهاد على جهاد الدفاع، فقد تأولوا في التفسير وجاروا مذهب الاعتزال في معظم ما كتبوا.

ويرى هؤلاء الإصلاحيون أن الفتوحات الإسلامية اقتضتها طبيعة الملك.. وشرع القتال للدفاع عن الحق وأهله، وعلى ملوك المسلمين أن يعدوا للدعوة عدتها من العلم والحجة، بسبب حال العصر وعلومه.

لقد جارى الشيخ محمد عبده رغبة صديقه اللورد كرومر في دعوته إلى السلم، وكان ذلك ردة فعل أيضاً على اتهامات المستشرقين الذين زعموا أن الإسلام انتشر بالسيف.

قال كرومر في تقريره السنوي لعام (١٩٠٥) م عن الشيخ محمد عبده: «كان لمعرفته العميقة بالشريعة الإسلامية ولآرائه المتحررة المستنيرة أثرها في جعل مشورته، والتعاون معه عظيم الجدوى. وقال: «فأتباع الشيخ يستحقون كل ميل وعطف وتنشيط من الأوروبيين». «وأنه وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع، فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوروبي»[1].

● وكان **السيد أحمد خان**: يرى أن الجهاد يشرع فقط للدفاع عن

---

(١) انظر تفصيلاً لذلك: في منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (ص ٨٠٤ ـ ٨٠٨) فهد الرومي، وأهمية الجهاد: العلياني (ص ٣٢٦ وما بعدها).

النفس، وفي حالة واحدة فقط هي اعتداء الكافرين على المسلمين من أجل حملهم على تغيير دينهم، أما إذا كان الاعتداء من أجل أمر آخر كاحتلال الأراضي، فالجهاد عندها غير مشروع، وذلك ليجد مبرراً لمسالمة الإنجليز أسياده والمحتلين لبلاده[1].

● **أما القاديانية**: فقد حرم زعيمها غلام أحمد فريضة الجهاد على اتباعه، دعماً لأسياده الإنجليز في الهند. يقول في كتابه «تبليغ الرسالة»:

«الجهاد حرام، وطاعة الإنجليز واجبة، والحكومة الإنجليزية سيفي، لماذا لا نفرح بسقوط بغداد على أيدي البريطانيين، نحب أن نرى سيفنا يلمع في العراق، وفي جميع البلدان العربية»[2].

● **أما العصرانيون الجدد**: فقد ساروا على خطا من سبقهم من أصحاب المدرسة الإصلاحية، أو الاستشراق، وقد مرّ معنا تشكيكهم بحركة الجهاد الأولى، وأصحاب الفتوحات الإسلامية، عند الجابري وعمارة وأمثالهما. وطبيعي أن لا يرى هؤلاء إلا جهاد الدفاع، لأن ذلك يتماشى مع الدعوة إلى العالمية ووحدة الأديان، والسلم العالمي الموهوم.

لقد كتب هؤلاء كثيراً عن السلم ونفروا من العنف، واعتبروا الجهاد هو بذل الطاقة والجهد لأجل شهادة الحق، وإن التعايش السلمي يجب أن يحل محل الحرب بين الدول والشعوب.

● **يقول عبد اللطيف غزالي**[3]: «إن العمل الصالح هو العمل المنتج،

---

(١) ينظر: مفهوم تجديد الدين (ص ١٣٠ ـ ١٣١). وحركة السيد أحمد خان، الباب الأول: الفصل الثالث من هذا الكتاب، (ص ٧٥ ـ ٩١).

(٢) انظر: الحركات المناهضة للإسلام: د. محمد يوسف النجرامي / ص ٨٠/ ط دار الفكر / ١٤٠٠ هـ.

(٣) نظرات في الدين: عبد اللطيف غزالي (ص ٣٦ ـ ٣٧).

مثل أن يكون هو العبادة. إن هذا العمل الصالح لهو اليوم أفضل جهاد في سبيل الله» «ولقد صار البديل عن الجهاد هو العمل، ولقد صار البديل عن الحرب هو التعايش السلمي بين الدول والشعوب».

● ويكتب **فهمي هويدي** كثيراً عن هذا الموضوع ويردد آراء المستشرقين الحاقدين. ويعتبر أن القتال يعطل رسالة التبليغ، يقول: «ومنذ البداية سلح الله المسلمين بالكلمة، وكان أول ما أنزله الله على نبيه هو: (اقرأ وليس اضرب)، أو «ابطش»، فكان كتاب المسلمين هو «القرآن الكريم».

«لم يكن سلاح المسلمين سيفاً ولا سوطاً، ولم تكن شريعتهم قانون حرب..».

«إن القتال في التصور الإسلامي ينبغي أن يظل منعطفاً يُكرَه إليه المسلمون، أو نوعاً من «الهبوط الاضطراري»، الذي يعترض المسار الطبيعي لرحلة التبليغ الإسلامية.

من هنا فإن الإسلام يظل ضرورة لازمة، كي يؤدي المسلمون رسالة التبليغ، ويظل القتال عنصراً معطلاً لأداء هذا التكليف الإلهي»[١].

● وفي فصل: «عندما يشهر سيف الإسلام» يقول: «وهكذا تتابعت الفتوح بحكم الضرورات الحربية وحدها.. وجاهد المسلمون أنفسهم والناس جهاداً كبيراً ليؤمّنوا دولتهم»[٢].

وفي تأويله للحديث الشريف «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»[٣]. يقول: «وحقيقة الأمر أن المعني بالناس هنا ليس كل البشر، وإنما هم جماعة من البشر»؟!!.

---

(١) مواطنون لا ذميّون: فهمي هويدي ص (٢٣٦).

(٢) مواطنون لا ذميّون (ص ٢٤٩).

(٣) متفق عليه.

وحديث «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق»[1].

يقول في هذا الحديث: «الحديث لا يدين كل مسلم لا يقاتل في سبيل الله، الأمر الذي قد تشتم منه رائحة التحريض، التي يحاول البعض اصطيادها من السياق..

ولا نرى في الحديث وجهاً لاستثارة المسلمين على غيرهم، ذلك أن الأمر كله كان على عهد رسول الله ﷺ..»[2].

أي أن هذه الأحاديث كانت لمناسبات تاريخية انتهى زمنها.

● وخلال **ندوة تلفزيونية مع الدكتور حسن الترابي**[3]، كان يجيب فيها على بعض الأسئلة، ومنها ما يتعلق بموضوع الجهاد حيث يقول تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (التوبة: ٥).

ويقول الرسول ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم»[4].

قال الإمام أحمد بن حنبل: «وفقه هذا الحديث: أن الجهاد مع كل إمام إلى يوم القيامة»[5].

● ويقول الدكتور الترابي في معرض رده على الأسئلة: «لكن القول بأن القتال حكم ماض، فهذا قول تجاوزه الفكر الإسلامي الحديث، في الواقع الحديث، ولا أقول إن الحكم قد تغير، ولكن أقول: إن الواقع

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مواطنون لا ذميّون: (ص ٢٦١ - ٢٦٢).

(٣) أجراها الأستاذ محمد بشير في شهر ٦/١٩٨٨ م.

(٤) البخاري ومسلم: ينظر صحيح الجامع الصغير /طبعة ثانية/ ص ٦٣٢/ الألباني.

(٥) الجامع الصحيح لسنن الترمذي: جـ ٤/١٧٥، تحقيق كمال يوسف الحوت.

جديد، وهذا الحكم عندما ساد كان في واقع معين، وكان العالم كله قائماً على علاقات العدوان، لا يعرف المسالمة، ولا الموادعة بين الدول.

كانت امبراطوريات، إما أن تعدو عليها، أو تعدو عليك. ولذلك كان الأمر كله قتالاً في قتال، أو دفاعاً في دفاع إن شئت».

* * *

وممّن نفّر من العنف، وأعجب بفكرة السلام العالمي الموهوم، الكاتب الإسلامي: **مالك بن نبي رحمه الله**[(١)]:

وقد أبرز هذه الفكرة في عدد من كتبه، فهو يرى مثلاً: «أن الإسلام والهندوسية تنفيان سيف العقيدة»[(٢)].

ولا يخفي مالك بن نبي إعجابه بغاندي العظيم؟! ويخصه بمقال مملوء بالإكبار، فهو بطل السلام، قاوم الإنجليز مقاومة سلبية: «إذ رجعت الدبابات إلى الوراء، وتقهقرت عند تلك الأجسام التي انفرشت على الأرض أمامها، تقهقرت أمام أفواه ترتل بعض الأذكار المقدسة، وأمام أرواح منغمسة في صلوات صامتة؟! إن جهاز الاستعمار الضخم وقف عند حدوده وباء بالخسران أمام معزة غاندي وسرباله ومغزله، وصلواته وصيامه مع الجماهير وفي خلواته».

«إن رفات غاندي التي ذروها في مياه الغانج المقدسة، ستجمعها الأيام في أعماق ضمير الإنسانية، كيما ينطلق يوماً انتصار اللا عنف ونشيد السلم العالمي»[(٣)].

وفي فصل آخر يتحدث عن إعجابه بنهرو وطاغور، للسبب نفسه ثم

---

(١) هذه الفقرة وما بعدها مقتبسة من كتابنا: الحياة السياسية عند العرب /ص ٣٠١ - ٣٠٧/.

(٢) كتاب الفكرة الأفريقية الآسيوية: مالك بن نبي /ص ١٤٨/.

(٣) في مهب المعركة: مالك بن نبي (ص ١٤٩ - ١٥٢)/ فصل تحية إلى داعية اللاعنف /ط دار الفكر/ ١٩٨١ م.

يتساءل: هل من بين هؤلاء الزراع لفكرة اللاعنف في القرن العشرين.. هل من بينهم مسلمون؟ (ويجيب)، ويؤسفنا أن لا نجد من بينهم..»[1].

إن التعلق بالسلام أمر طيب، والتنفير من الحروب شعور نبيل، إلا أنه حلم مثالي شاعري بعيد عن الواقع وطبيعة البشر، وفكرة غير شرعية تنافي مبدأ الصراع الذي ذكره الله في كتابه ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (سورة الحج: ٤٠).

والإعجاب بالوثنيين ومحبتهم، يناقض ما كان عليه السلف، ويناقض نصوص الشرع الحنيف ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ (المجادلة: ٢٢). وقد أثبتت الأيام أن الهنود دعاة السلام من أتباع غاندي قد داست دباباتهم جنود باكستان المسلمة، في اعتداء صارخ على ديار المسلمين، فضاعت الشعارات، وما نفع رفات غاندي الملقى في مياه الغانج المقدسة؟!.

إن ثقافة مالك الشرعية كانت ضعيفة، إذا قيست بقراءاته الغربية، وهذا ما جعله يخطىء في عدة أمور تتعلق بالأحكام الشرعية.

ورغم ذلك كله كان مالك رحمه الله عميقاً في فهم غدر الاستعمار وأساليبه الخفية، وعميقاً في معالجة القابلية للاستعمار عند المسلمين.. فهو مفكر خبير في نهضة المجتمعات وأمراض المسلم المعاصر، إلاّ أنّ هذه الإيجابيات لا تمنعنا من ذكر بعض السلبيات، ولعل آلامه مما كان يعانيه الشعب الجزائري من الاستعمار الفرنسي، جعلته يحن إلى فكرة اللاعنف بهذا المنظور[2].

---

(١) المرجع السابق فصل رولان ورسالة الهند (ص ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٢) انظر: مجلة البيان، العدد (٢٣) قراءة في فكر مالك بن نبي، للأستاذ محمد العبدة.

● إلا أن أفكار الأستاذ مالك التي بذرها، وسّعها بعض تلامذته المتأثرين به، فانحرفوا بعيداً عن جادة الصواب في مفهوم الجهاد في سبيل الله[١].

من هؤلاء الشيخ جودت سعيد في كتابه: مذهب ابن آدم الأول، فقد وقع في أخطاء واضطراب في عرضه لمفهوم الجهاد في سبيل الله.

● وممن تعلق بفكرة اللاعنف، وشكك بمبدأ الجهاد، من أتباع هذه المدرسة الطبيب **خالص جلبي**: فقد هاجم خلافة بني أمية مردداً في ذلك أحقاد المستشرقين، وفضل عليها خلافة بني العباس.

إذ أن خلفاء بني أمية حملوا راية الجهاد وفتحوا كثيراً من البلدان، ودخلت كثير من الشعوب الإسلام على أيديهم وأيدي ولاتهم.

يقول خالص جلبي: «وبفعل الانحراف الأموي، فإن الملكية الاستبدادية نقلت وطعمت وألصقت إلى الجسم الغريب»[٢].

أما **الفتوحات العثمانية**: فقد هاجمها الكاتب هجوماً عنيفاً مردداً أقوال المستشرقين من أساتذته، يقول في ذلك: «والعالم الإسلامي، بدأ بالثورة الروحية العقلية، منذ الوحي في غار حراء، وانتهى بالعسكرية التركية، التي أنهت كل دفعة حيوية في العالم الإسلامي.. والعسكرتارية بالبارود والنار دخلت شرق أوروبا، ولكنْ فرق كبير بين دخول الإسلام إلى الشرق الأوسط والهند مثلاً، وبين دخوله على يد الأتراك إلى شرق أوروبا ومَنْ يتأمل يدرك»!![٣].

فالعثمانيون لهم أخطاؤهم ولا شك، ولكن الفتوحات تعتبر من مفاخرهم التي لا ينكرها إلا مَنْ حقد على اجتياح شرق أوروبا وسقوط إستانبول على يد محمد الفاتح رحمه الله.

---

(١) انظر: مجلة البيان، العدد (٢٣) قراءة في فكر مالك بن نبي، للأستاذ محمد العبدة.

(٢)(٣) النقد الذاتي: خالص جلبي / ص ١١٢، ٢٣١/.

لقد شارك الكاتب بقية رجال المدرسة العصرانية، عندما هاجموا الفتوحات العثمانية، متهمين إياها بالهمجية والتوحش(١).

● يقول الأستاذ محمد قطب: «ويكفي العثمانيين ـ في ميزان الله ـ أنهم توغلوا في أوروبا الصليبية، وفتحوا للإسلام ما فتحوا من أراض وقلوب.. ويكفيهم أنهم حموا العالم الإسلامي من غارات الصليبيين خمسة قرون متوالية، ويكفيهم أنهم منعوا قيام الدولة اليهودية على أرض الإسلام..»(٢).

* * *

فالعصرانيون يسعون إلى قتل روح الجهاد، بتأصيل تربية ذليلة خانعة، تريح العدو وتغيظ الصديق.. مع العلم أن للجهاد ضوابطه وشروطه الشرعية، وينبغي عدم تجاوزها.

إلا أن العصرانيين «يحاولون إيجاد مبررات دفاعية للجهاد الإسلامي، بالمعنى الضيّق للمفهوم العصري للحرب الدفاعية، ومحاولة البحث عن أسانيد لإثبات أن وقائع الجهاد الإسلامي كانت لمجرد صد عدوان القوى المجاورة على (الوطن الإسلامي).

فهي محاولة تتم عن قلة إدراك لطبيعة هذا الدين.. كما أنها تشي بالهزيمة أمام ضغط الواقع الحاضر، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي!».

«ترى لو كان أبو بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ قد أمنوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة، أكانوا يقعدون إذن عن دفع المد الإسلامي إلى أطراف الأرض؟! وكيف كانوا يدفعون هذا المد أمام الدعوة،

---

(١) انظر: ما كتبه محمد جابر الأنصاري ومحمد عمارة عن الفتوحات العثمانية/ فصل تزوير التاريخ وتمجيد الشخصيات المنحرفة من هذا الكتاب ص ٢٨٥ وما بعدها.
(٢) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب/ ص ١٥٢، ٣١٦/.

تلك العقبات المادية من أنظمة الدولة السياسية، وأنظمة المجتمع المختلفة، والتي تحميها القوة المادية للدولة كذلك؟! إنها لسذاجة أن يتصور الإنسان دعوة تعلن تحرير «الإنسان».. في الأرض كل الأرض، ثم تقف أمام هذه العقبات، تجاهد باللسان والبيان»!![1].

* * *

إن الذين يتظاهرون بالظرف والوداعة، متعلقين بالسلم الموهوم، يتغافلون عن أيدي الأعداء وقد لطخت بدماء إخوانهم من أبناء المسلمين. كيف يتغافلون عن هذا؟!

«وبالسيف اقتحم الغرب بلاد المسلمين، وبالسيف أخضع ثورات شعوبها، والعنف العسكري كان وما يزال السمة الغالبة في اجتياح بلاد المسلمين، وشرط إخضاع الشعوب الإسلامية والسيطرة على ديارها..

فالعنف وإدامة العنف هو لغة الفرنجة مع الشعوب الإسلامية وخلال حربين عالميتين، والعنف هو مزية القوم في تدمير شعب البوسنة والهرسك، وإحراق القرى والمدن، وفي تقتيل شعب الشيشان بإجماع دولي»[2] وحاضر العالم الإسلامي خير شاهد على ما نقول.

---

(١) معالم في الطريق: سيد قطب/ فصل الجهاد في سبيل الله/ ص ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر: منير شفيق/ الزهراء للإعلام العربي / ص ٧٧ - ٧٩/ بتصرف وإيجاز.

المبحث السابع

ظاهرة اليسار الإسلامي

١ ـ الجذور التاريخية والفكرية لهذا التيار:

٢ ـ الدوافع والأهداف:

ـ دواعي ظهور اليسار عند أصحابه.

ـ أبرز الأهداف:

أ ـ النقد الذاتي للحركة الإسلامية.

ب ـ إحياء الجوانب الثورية في الإسلام.

جـ ـ الوحدة الوطنية.

د ـ إقامة مجتمع إسلامي.

هـ ـ كيف سيحقق اليسار أهدافه.

٣ ـ أهم الخصائص الفكرية لليسار الإسلامي:

أ ـ معاداة منهج النص وتقديم العقل عند التعارض.

ب ـ الموقف من التراث.

جـ ـ الفهم المقاصدي للشريعة.

د ـ رؤية اليسار في السياسة والاقتصاد والاجتماع.

ظاهرة اليسار الإسلامي

هي لون آخر من ألوان العصرانية الجديدة، بل تعتبر إفرازاً معقداً لذلك الخلل في المعادلة بين معطيات الإسلام، والمدنية الغربية.

«إذ أن المثقف العربي المعاصر، جعل المشكلة في الموازنة بين الإسلام ذاته، وبين المدنية الغربية، ثم جعل نفسه هو المرجع والحكم في الترجيح والتوفيق والأخذ والرفض، فنشأ من هنا الضلال الكبير...

وما قصة اليسار الإسلامي إلا نموذج لمثل هذه النتاجات الشائهة، التي صدرت عن هذا الخلل المنهجي، في قضية محاولتهم التوفيق بين الإسلام والماركسية»[1].

«وظاهرة اليسار ظاهرة معقدة حساسة، كثرت حولها التساؤلات، وتعددت بشأنها التأويلات، فمن قائل إنها «حركة تصحيحية» تريد القيام بنقد ذاتي للحركة الإسلامية المعاصرة، إلى قائل بأنها تصور جديد للإسلام يلتقي مع «الجوانب المتقدمة والثورية» في التراث الإسلامي والإنساني عامة، إلى قائل بأنها تلفيق بين الإسلام والماركسية، إلى قائل بأنها «شيوعية مستترة»[2].

ودعاة هذا التيار لم تنضج رؤيتهم حول دعوتهم بعد، ولم يتفقوا على منهج موحد ـ كما سيأتي بيانه ـ وما كتبناه عن التجديد العصراني في

(١) ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي/ دار النشر الدولي الرياض/ ١٤١٤ هـ (ص ٥ ـ ٦)، المقدمة لجمال سلطان.

(٢) السابق: محسن الميلي (ص ١١).

المباحث السابقة، ينطبق معظمه على تيار اليسار الإسلامي، ورجال اليسار هم بعض رجال المدرسة العصرانية، أمثال حسن حنفي، فتحي عثمان، سيف الإسلام محمود، محمد عابد الجابري وغيرهم.

وإن كان تيار اليسار يركز على: الثورة وتبني الاشتراكية والعدل الاجتماعي، وقضايا أخرى.

١" ـ الجذور التاريخية والفكرية لظاهرة اليسار الإسلامي:

اليسار الإسلامي ككل ظاهرة فكرية حضارية، لم ينشأ في فراغ، ولم يولد خارج التاريخ، وهو يقدم نفسه كفكر متأصل تاريخياً، وليس كنتاج مستورد، أو خواطر فردية.

هذا الفكر هو عملية انتقاء قسرية، لما يريد دعاة اليسار قوله حول قصة اليمين واليسار، وتأصيل الثورة ـ وأنها منهج الأنبياء ـ وتلميع الفكر الاشتراكي، مع إعطاء ذلك كله ثوباً شفافاً من الإسلام، بحيث يجذب إليه جمهور المسلمين، الذي رفض الأفكار المستوردة الصريحة، والبحث عن الجذور لهذا التيار يوضح ما نقول.

يقول حسن حنفي: «يتأصل اليسار الإسلامي في الجوانب الثورية في تراثنا القديم».

وهو يشير بذلك إلى أن التصورات المختلفة للعقائد كما مثلتها الفرق الإسلامية فيها: يمين ويسار.

فالمعتزلة يسار، والأشاعرة يمين.. والفلسفة بها يمين ويسار، فالفلسفة العقلانية عند ابن رشد يسار، والفلسفة الإشراقية الفيضية عند الفارابي وابن سينا يمين.

والتشريع به يمين ويسار، فالمالكية التي تقوم على المصالح المرسلة يسار، والفقه الافتراضي عند الحنفية يمين.

وفي التفسير: التفسير بالمعقول يسار، والتفسير بالمأثور يمين..

وفي التاريخ: الفتنة الكبرى، علي يسار ومعاوية يمين[1].

أما في التاريخ الحديث فإن ظهور اليسار الإسلامي يمثل امتداداً لحركة الأفغاني ومحمد عبده الإصلاحية، التي ظهرت في نهايات القرن التاسع عشر، باعتبارها أول مشروع إسلامي في تاريخنا الحديث عبّر عن واقع المسلمين، واحتياجاتهم السياسية والاجتماعية[2].

فجذور اليسار الإسلامي تتلخص في:

فكر المعتزلة، والمدرسة الإصلاحية، وبعض الجوانب من التراث الإنساني عموماً.

يقول حسن حنفي: «يتأصل اليسار الإسلامي في الجوانب الثورية في تراثنا القديم، وبالتالي تكون مهمته إحياء هذه الجوانب وإبرازها وتطويرها، حتى تتأصل ثورة المسلمين وتزول عقبات تقدمهم».

فاليسار يتفق مع أصول المعتزلة الخمسة، إذن هو اتجاه اعتزالي في العقيدة[3]. وهو يعتز بمنهج الأفغاني ومحمد عبده وتلاميذه[4].

وهنالك **التراث الإنساني**: ففي بعض جوانبه جذور لليسار الإسلامي.

ذكرت مجلة (١٥ ـ ٢١) في عددها الأول: «أن الفهم التقدمي للإسلام لا يخفي تفتحه على كل الأفكار التقدمية والثورية في تاريخ الإنسانية».

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: د. حسن حنفي /مجلة اليسار الإسلامي/ العدد الأول (ص ٨) ـ شهر ربيع الأول/ ١٤٠١ هـ.

(٢) ماذا يعني اليسار: حسن حنفي/ العدد الأول.

(٣) ماذا يعني اليسار الإسلامي: (ص ١٣ ـ ١٥).

(٤) قد فصلنا الحديث عن المعتزلة والمدرسة الإصلاحية في الباب الأول من هذا الكتاب.

ويذكر حسن حنفي في نفس المجلة: أن اليسار الإسلامي يجد أصوله في القرآن والتراث العربي الإسلامي، وفي بعض جوانب التراث الغربي، ويقول في الحوار الذي أجرته معه هذه المجلة: «إننا في غياب البديل الإسلامي الثوري، لجأنا بالضرورة إلى الماركسية لحل قضية العدالة الاجتماعية، وإلى الليبرالية (الديمقراطية) لحل القمع المسلط على شعوبنا، وإلى القومية لإنهاء حال التشرذم، وإلى ديكارت لتأكيد العقلانية.. لقد لاحظ اليسار الإسلامي أن في التراث الغربي بعض الجوانب الإنسانية المضيئة لا يمكن إهمالها، ولا يمكن القيام بنهضة فكرية واجتماعية، مالم نستفد من هذه الجوانب التي يلخصونها في العقلانية، والعدالة الاجتماعية، والحرية السياسية والوحدة القومية»[١].

٢"ـ اليسار الإسلامي: الدوافع والأهداف[٢]:

يعرِّف حسن حنفي ظاهرة اليسار الإسلامي بأنها **«مشروع حضاري»** شأنه شأن كل مشروع، له دوافع عملت على ظهوره، وله أهداف سيحققها.

فما هي هذه الدواعي؟ وما هي تلك الأهداف؟!.

دواعي ظهور اليسار الإسلامي:

عندما نقرأ كتابات حسن حنفي يظهر لنا، وكأن اليسار الإسلامي حتمية تاريخية، وإن لم يصرح بهذا.

وأمام فشل الحركات التحديثية ذات المشارب الفكرية والاجتماعية المختلفة «يأتي اليسار الإسلامي، كي يحقق أهداف الثورات الوطنية،

---

(١) مقال عن المنهج: القسم الثاني من مجلة (١٥ ـ ٢١) العدد الأول.
(٢) ينظر: ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي / ص ٣٩ ـ ٥٠/ وماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي / ص ٣٨ ـ ٤٦/.

ومبادىء الثورة الاشتراكية، وذلك من خلال تراث الأمة واعتماداً على وعي الجماهير الإسلامية»[1].

إلا أن حسن حنفي ليس الوحيد، الذي يعتقد بضرورة ظهور اليسار، فقد شهدت مجلة «المسلم المعاصر» في بعض أعدادها حواراً ساخناً حول هذه المسألة، ومن بين الذين أكدوا هذه الفكرة: رضا محرم، وفتحي عثمان، وسيف الإسلام محمود[2].

يقول رضا محرم: «إن جمع المسلم المعاصر صفتي «المسلم» و«اليساري» تصبح ظاهرة طبيعية، بل وتصبح ظاهرة لا بد منها حتى لا تصيبه حالة فصام حضاري، نتيجة عجزه عن التوفيق بين عقيدته الدينية، وبين إدراكه اليومي لسلامة المعطيات اليسارية، ومقدرتها على إخراجه من المأزق الاجتماعي والاقتصادي الذي يتردى فيه»[3].

أما سيف الإسلام محمود فيرى أن اليسار الإسلامي نشأ في ظرف ملائم بصفته «الاتجاه المعارض والمصحح في داخل الحركة الإسلامية... والناظر إلى الحركة الإسلامية المعاصرة، يجد أنها لم تكن يوماً في حاجة إلى هذا اليسار حاجتها إليه الآن»[4].

ويضيف حسن حنفي: «أن اليسار الإسلامي نتيجة حتمية لنجاح الثورة الإسلامية في إيران» كما أنه «تطوير للإصلاح الديني الذي بدأناه في المائتي سنة الأخيرة، كما ينتسب إلى الفكر الإسلامي (علي شريعتي) ومحاولاته لبناء الذات الثورية».

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: (ص ١٠).

(٢) ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي / ص ٤٠.

(٣) المسلم المعاصر: العدد (١٥)، بل المسلمون يسار ويمين ـ رضا محرم.

(٤) المسلم المعاصر: العدد (١٤) اليسار الإسلامي: دعوة إليه وتعريف جديد / سيف الإسلام محمود.

بل يذهب إلى أكثر من ذلك حينما يقول: «وقد يكون من بيننا مجدد القرن الخامس عشر طبقاً لحديث المجددين»[1].

ويلاحظ أن دعاة اليسار لم يتفقوا على تلك العوامل فيما بينهم.

● **أبرز الأهداف والمهام[2]**: نلخصها فيما يأتي:

أ ـ النقد الذاتي للحركة الإسلامية:

حيث أن اليسار الإسلامي بصفته الاتجاه المعارض والمصحح داخل الحركة الإسلامية «سيكون أول من يدرس الحركة الإسلامية دراسة موضوعية واعية، بروح الناقد المخلص، لا روح العدو، وبذلك يكون فرصته لننشر غسيلنا القذر على حبالنا نحن، لا على حبال الجيران أو الأعداء»[3].

ثم يدعو الكاتب إلى وضع استراتيجية للحركة الإسلامية، كخطوة بارزة لهذا اليسار، ذلك أن الحركة الإسلامية ـ كما يرى هؤلاء ـ لا تتملك برامج وبدائل، وهي مكتفية بالعموميات وبالخطاب السياسي والأخلاقي، الذي لا يحلل الواقع ولا يدرسه.

ب ـ إحياء الجوانب الثورية في الإسلام:

من أجل تحويل الإصلاح الديني إلى نهضة حضارية شاملة، لتحريك الشعوب الإسلامية. يقول حسن حنفي: «ومهمة اليسار الإسلامي، الكشف عن العناصر الثورية في الدين، أو تأويل الدين على أنه ثورة، فالدين في ذاته ثورة، وكان الأنبياء ثواراً مصلحين ومجددين، فقد مثل إبراهيم ثورة العقل ضد التقاليد، وثورة التوحيد ضد التجسيم، ومثّل موسى ثورة التحرر ضد الطغيان.. وكان محمد ثورة الفقراء والعبيد والمضطهدين ضد الأغنياء وسادة قريش وطغاتها، من أجل إقامة مجتمع حرية وإخاء ومساواة. ويؤرخ

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي/ العدد الأول.

(٢) ينظر ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي ص (٤٣ ـ ٤٥).

(٣) المسلم المعاصر: عدد (١٤)، سيف الإسلام محمود.

القرآن للنبوة على أنها ثورة ضد المفاسد الاجتماعية والخلقية..»[1]. «وقد زخر التاريخ الإسلامي بالثورات الدينية والاجتماعية والسياسية مثل: ثورة القرامطة وثورة الزنج في تاريخنا القديم، والحركات الإصلاحية كالمهدية والسنوسية وثورة الجزائر وعمر المختار»[2](*).

جـ ـ الوحدة الوطنية:

والمقصود لتحقيقها كما يقول حسن حنفي: «عقد حوار بين الاتجاهات الإسلامية كلها في العالم الإسلامي دون جدل أو مهاترات، أو دون إثارة الأحقاد أو بث الضغائن» ويتسع هذا الحوار ليشمل سائر الاتجاهات الأخرى: الإخوان المسلمون لأنهم يمثلون تياراً أصيلاً، فلهم جهادهم الذي تذكره لهم مصر والعالم الإسلامي كله، في صراعهم ضد الملكية والاستعمار، وجهادهم في فلسطين والقنال...

والماركسيون لأنهم ساهموا في الصراع ضد الاستعمار، ومقاومة أعوانه في الداخل، وتقوية الوعي الطبقي لدى العمال، وتكوين طليعة ثورية من الطلبة...

وقام الناصريون بأكبر إنجاز اجتماعي في تاريخنا الحديث لتحقيق العدالة الاجتماعية، والقضاء على الإقطاع، وعلى رأس المال والاستعمار.

والإخوة في الحرية «الليبراليون» أي الديمقراطيون أمثال لطفي السيد والعقاد وطه حسين. إذ تحدثوا عن المعذبين في الأرض، وعن الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية في الإسلام».

«ولا يرى اليسار الإسلامي أي حرج في أن يعتبر نفسه إسلامياً، أو

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي / ص ٣٨/.

(٢) المرجع السابق / ص ٣٩/.

(*) وبذلك يحاول الكاتب أن يصبغ دعوات النبوة، بالنزعة الثورية، ويخلط بين الثورات المنحرفة الضالة، وثورة الرجال المخلصين في تاريخنا.

عربياً أو عالمياً، أو قومياً دينياً أم علمانياً، فالإسلام دين وقومية، عربي وعالمي، دين ودولة..».

«كل ذلك من أجل تجاوز التناقضات ووحدة الأهداف وتكامل الأبعاد بعيداً عن الصراعات»[1].

د ـ إقامة مجتمع إسلامي:

يعتمد على تعددية نماذجه وأهم خصائصه: استلهام المبادىء العامة للشريعة في صياغة قوانينه، وأنه مجتمع إنساني يؤمن بالإنسان كذات معنوية، واعتماد الفلسفة العامة للتشريع وفيه تقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.

هـ ـ كيف سيحقق اليسار أهدافه[2]:

اليسار الإسلامي لا يزال (مشروعاً)، لم يتميز بهويته المتكاملة، كما لم تحدد منهجية إنجازه بعد، وسنذكر أقوالاً لأصحاب الفهم التقدمي للإسلام، ولأصحاب اليسار.

يذكر أحميدة النيفر في افتتاحية العدد الأول من مجلة (١٥ ـ ٢١) التي يرأس تحريرها، أن عمل التجديد الذي ينادي به ليس عمل شخص أو بضعة أفراد، إنه مشروع مدرسة كاملة.

ويعتقد سيف الإسلام محمود في مقال له في مجلة المسلم المعاصر: «أن اليسار الإسلامي سيكون المحتضن للشباب الجامعي، الذي يتمزق بين سلبيات الحركة والولاء لها، والحرص على عدم رفع صوته».

أما حسن حنفي فيعطي لليسار تعريفاً آخر أكثر شمولاً، حيث يتحول معه اليسار إلى مجموعة كتابات ذات الاتجاهات الفكرية والسياسية المتباينة،

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي (ص ٤٠ ـ ٤٥) ـ حسن حنفي.

(٢) ينظر: ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي (ص ٤٥ ـ ٤٨).

ويعرفه بأنه ليس حزباً سياسياً، ولا يمثل معارضة حزبية، ولا يتوجه ضد أحد.. فالمعارك أساساً في ثقافة الأمة، ولا تمثل كتاباته تياراً واحداً إذ يضم اليسار الإسلامي مجموعة من الكتابات والآراء المتعددة، وكل كاتب مسؤول عن فكره، ولكن تجمعها جميعاً الرغبة في إبراز الجوانب التقدمية في الإسلام، وعناصر الثورة في تاريخنا.

فقد يقترب بعض الكتاب من الأخوة في الله «الإخوان المسلمون»، وقد يقترب البعض الآخر من الأخوة في الوطن «الماركسيون»، وقد يقترب فريق ثالث من الأخوة في الثورة «القوميون»، وقد يقترب فريق رابع من الأخوة في الحرية «الليبراليون». ولكن يجمعهم جميعاً البحث والاجتهاد.. واختلافنا كاختلاف الأئمة واختلاف الصحابة، كلنا يبتغي الحق ويعمل له، ويشهد عليه»[١].

ويرى الدكتور عمارة أن الماركسية تجربة تصلح لأن نتخذ منها مصدراً من مصادر فكرنا الحديث. يقول:

«فيما يتعلق بالماركسية، في تقديري أنه فيما يتعلق بالفكر الاجتماعي أو الاشتراكية العلمية على وجه التحديد، فهي نمط فكري وتجربة في التطبيق صالحة كي نسترشد بها، ونتخذ منها مصدراً من مصادر فكرنا، لا بمعنى النقل الحرفي أو التقليد، وهنا يجدر التنبيه إلى الجانب المادي فيما يتعلق بالماركسية، وهو الجانب الذي يثور حوله الجدل الكثير»[٢].

ويقول أيضاً: «أنا أعتقد بصدق ما قاله «روجيه جارودي» من أنه لو أتيحت لماركس السبل لاستكمال دراسته للحضارة الإسلامية، لكانت هناك قسمة جديدة في الماركسية..»[٣].

وبذلك نرى أن عملية التوفيق بين المتناقضات، أمر مستغرب وبعيد

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي (ص ٤٦ ـ ٤٧).

(٢)(٣) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة (ص ٢٧٠ ـ ٢٧١).

عن الواقع، وأكثر من ذلك يعتقد هؤلاء أن اختلافهم كاختلاف الأئمة والصحابة سواء بسواء!!.

«ولا شك أن العجب سيصيب البعض، ولكن من يدري، فلعل الأمر يتعلق بفهم جديد للإسلام والقومية والماركسية والليبرالية، أي بفهم يضم كل هذا الشتات في تركيب واحد»[1] تحت عباءة اليسار الإسلامي!!.

٣" ـ أهم الخصائص الفكرية لليسار الإسلامي[2]:

تتميز مدرسة اليسار بنفس الخصائص والمزايا التي تميزت بها المدرسة العصرانية عموماً، ومعظم ما تحدثنا عنه في الباب الثالث هذا، ينطبق على ظاهرة اليسار الإسلامي، بل هي جزء من العصرانية، ورجالها هم رجال من أصحاب التجديد العصراني، إلا أننا سنركز على بعض الجوانب فيما يأتي:

أ ـ معاداة منهج النص وتقديم العقل عند التعارض[3]: وأبرز رجال هذا الاتجاه هو الدكتور حسن حنفي، ورأيه واضح في هذه القضية[4].

يقول: «النص يعتمد على سلطة الكتاب، وليس على سلطة العقل، وحجة السلطة ليست حجة، لأن هناك كتباً مقدسة كثيرة، في حين أنه يوجد واقع واحد وعقل واحد..».

«نحن علماء اجتماع واقتصاد وتاريخ.. لا نعتمد على سلطة الكتاب وحدها، فحجة النص شيء وحجة العقل شيء آخر».

«ولذلك ما يهمنا هو روح العصر، وما نهتم به من مشاكل العصر.. لذلك فنحن نهتم بالأمثال العامية، وبسير الأبطال، كما نفعل تماماً مع

---

(١) ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي.
(٢) ينظر: ظاهرة السيار الإسلامي: محسن الميلي ص (٥١ ـ ٧٣).
(٣) انظر: تقديس العقل وتقديمه على النقل، الفصل الأول من هذا الباب.
(٤) ينظر: كتابه التراث والتجديد / نشر مكتبة الجديد تونس، ومجلة اليسار الإسلامي العدد الأول، ماذا يعني اليسار الإسلامي؟.

النصوص الدينية، ونهتم بالأغاني الشعبية»[1].

ويستاء حسن حنفي من الرجوع السلفي إلى النصوص ويقول: «ورجعنا إلى قال الله، وقال الرسول»[2].

ب ـ الموقف من التراث:

يقف اليسار من التراث موقفاً نقدياً تاريخياً «فهو يعني إبراز مواطن التقدم في التراث من عقلانية وطبيعية وديمقراطية، وهو ما نحتاجه في قرننا هذا»[3].

وحتى تعود للإنسان قيمته التي فقدها عندما اعترف بالله، يدعو اليسار الإسلامي الإنسان إلى التحرر من كل سلطة إلا من سلطة العقل والواقع، وهذا العمل يقتضي ضرب كل الأطروحات الرجعية، والانطلاق في التجديد.

ويرى حسن حنفي أن «السبب في فقد الإنسان لقيمته في تراثنا الإسلامي يرجع إلى سيادة الاختيار الأشعري» «وقد تكون هذه السيادة هي إحدى معوقات العصر، لأنها تعطي الأولوية لله في الفعل، وفي العلم والحكم، وفي التقويم، في حين أن وجداننا المعاصر يعاني من أخذ زمام المبادرة هذه، باسم الله مرة، وباسم السلطان مرة أخرى، ومن ثم فالاختيار البديل: هو الخيار الاعتزالي.. الذي قد يكون أكثر تعبيراً عن حاجات العصر، وأكثر تلبية لمطالبه»[4].

يريد الكاتب انتزاع السيادة من الله جل جلاله، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، وما تخفي صدورهم أعظم، ولا شك أن هذه نزعة إلحاد ماركسية لا تحتاج إلى بيان، وإنْ موّهوا وخدعوا.

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي /مجلة اليسار الإسلامي/ العدد الأول.
(٢) التراث والتجديد /ص ٢٨٢/ حسن حنفي.
(٣) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي.
(٤) التراث والتجديد: حسن حنفي (ص ٢١).

● وهنالك **تجديد** على مستوى **اللغة والمصطلحات**[1]:

يرى حسن حنفي أن **اللغة التقليدية في تراثنا قاصرة**، وتتضمن عيوباً كثيرة منها:

ـ أنها لغة إلهية، تدور الألفاظ فيها حول الله.. بل إن لفظ الله لا يعبر عن معنى معين، فهو صرخة وجودية.. إذ أن الله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبد هو الحرية، وعند المظلوم هو العدل، أي أنه في معظم الحالات «صرخة المضطهدين»، ثم ينتهي حنفي إلى أنه «لا يمكن إيصال أي معنى بلفظ «الله» لأن الله حوى كثرة من المعاني لدرجة أنه يدل على معاني متعارضة»[2].

فلا داعي إذن طبقاً لهذا الكلام، إلى استعمال لفظ الجلالة، لتحل محلها كلمات: الخبز والحرية والعدل والحب والإشباع والإنسان الكامل!!.

● إن كل الأقنعة والتمويه باسم الإسلام، قد انقشعت، وها هو منهج المصطلحات الماركسية يبث سمومه بلا وجل ولا تردد..

ـ وانظر إلى قوله كذلك: «إن اللغة القديمة «لغة دينية» تشير إلى موضوعات دينية خالصة مثل: دين، ورسول، ومعجزة، ونبوة.. وهي لغة عاجزة عن إيصال مضمونها في العصر الحاضر!!.

وهي ـ كذلك ـ لغة تاريخية صورية مجردة.. ولذلك فاليسار يروم تأسيس لغة جديدة تستعمل الألفاظ التي يقبلها العصر!!».

يقول حنفي: «إن في العصر ألفاظاً تجري مجرى النار في الهشيم مثل: الأيديولوجيا، والتقدم والحركة والتغير، والتحرر والجماهير،

---

(١) انظر ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي (ص ٦٢ ـ ٦٤).

(٢) التراث والتجديد: (ص ١٢٩) وما بعدها.

والعدالة.. وهي ألفاظ لها رصيد نفسي لدى الجماهير، والتي يمكن أن تعبر عن ثقافة وطنية»[1].

ـ وهذه اللغة مفتوحة وعقلانية، أما ألفاظ «الله والجنة والنار والآخرة والحساب والعقاب، فهي ألفاظ قطعية صرفة، لا يمكن التعامل معها، دون فهم أو تفسير أو تأويل» ويضيف قائلاً: «بأن الألفاظ يجب أن يكون لها مقابل في الواقع الحسي، فألفاظ «الجن والملائكة والشياطين، بل والخلق والبعث والقيامة، ألفاظ تجاوزها الحس والمشاهدة، ولا يمكن استعمالها لأنها لا تشير إلى واقع، ولا يقبلها كل الناس».

ـ وفي نظر اليسار أن ذلك سينقل عصرنا من «مرحلة التمركز حول الله إلى مرحلة التمركز حول الإنسان، وتلك مهمة التراث والتجديد في أول محاولاته من أجل إعادة بناء علم أصول الدين، عل أنه علم الإنسان»[2]. «إننا إذا فعلنا كل ذلك أمكننا التغيير والتجديد ما دمنا قد تخلينا عن «لغة اللاهوت»، وتخلصنا من كل المفاهيم الغيبية المعيقة للتقدم والانطلاق..».

وإنها لجرأة ـ وأي جرأة ـ يعلنها اليسار الإسلامي على الله، والوحي والإسلام، باسم الإنسان والعقل والتجديد[3].

جـ ـ الفهم المقاصدي للشريعة[4]:

الشريعة عند أصحاب اليسار جاءت لتحقيق بعض المقاصد العامة. والمقاصد العليا التي جاءت الشريعة لتحقيقها في نظرهم خمسة هي: الإنسانية، والعدل الاجتماعي، الحرية السياسية، المبدئية، التقدم المستمر نحو الأفضل.

---

(١) السابق: (ص ١٤٠) وما بعدها.

(٢) التراث والتجديد: (ص ١٤٠).

(٣) ظاهرة اليسار الإسلامي: (ص ٦٤) محسن الميلي.

(٤) انظر: ظاهرة اليسار الإسلامي، (ص ٦٤ ـ ٦٨).

لكن ما الوسائل المعتمدة في تحقيق هذه المقاصد؟ هل يحددها الوحي أم يختارها الإنسان؟!.

لدى اليسار أن المصلحة أصل مستقل في التشريع، وأنه لا سلطة إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه، «لقد أصبح الواقع هو المجدد للاختيارات والقوانين، أما دور الشرع فثانوي، لأن اختياراتنا هي التي تحدد طبيعة القوانين، وذلك يعني أن القوانين والأحكام المنزلة في القرآن، والواردة في السنة قابلة للتأويل والتعطيل، ونحن في كل ذلك نستلهم روح الشريعة ومقاصدها.. ولعلنا لا نكون بعيدين عن «المادية التاريخية» إن لم نقل من أكبر ممثليها والداعين إليها»[١].

د ـ رؤية اليسار في السياسة والاقتصاد والاجتماع:

العلمانية:

● إن ما سبق من حصرهم لمقاصد الشريعة ـ حسب رأيهم ـ يفتح الباب مباشرة **للعلمانية**، إذ أن الفهم التقدمي للإسلام يعلن رفضه لفكرة «حاكمية الله»، التي دعا إليها المفكرون الإسلاميون المعاصرون[٢].

ـ فمحمد عمارة يدعو إلى العلمانية الصريحة في كتابه «الإسلام والسلطة الدينية». إذ يقول: «أما إسلامنا فهو علماني ومن ثم فإن مصطلح العلمانية لا يمثل عدواناً على ديننا بل على العكس، يمثل العودة بديننا إلى موقفه الأصيل»[٣].

ـ أما حسن حنفي: فيرى «أن العلمانية هي أساس الوحي، **فالوحي علماني في جوهره**، والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور»[٤].

---

(١) ينظر: مجلة (١٥ ـ ٢١) العدد الأول ـ حوار مع حسن حنفي.

(٢) الإسلام والسلطة الدينية: (ص ١٠٠ ـ ١٠١).

(٣) ينظر: ظاهرة اليسار الإسلامي: (ص ٧٠) وما بعدها.

(٤) التراث والتجديد: (ص ٧٢).

- ويرى الدكتور محمد عابد الجابري: أن الوحي سلطة مرجعية «تضايق الحاضر، وتنافس المستقبل والجديد». فهو ينكر أنْ يكون هنالك وحي، وإن آمن به، فهو يعتبره وليد زمانه، أي هو جزء من التاريخ أو تجربة تاريخية[1].

● **أما الرؤية الاقتصادية:**

فأبرز أهدافهم أن يصلوا إلى إقامة المجتمع الاشتراكي، إقامة مجتمع بلا طبقات، وبعض الملكية الفردية، مع تبني أسلوب الملكية الجماعية، وتشجيع العمل النقابي والإصلاح الزراعي.

وهم يعتمدون **الثورة الاشتراكية**. يقول حسن حنفي:

«بالنسبة لنا: الاشتراكية قضية مبدأ دائم، وليست قضية نظام عابر يتغير بتغير الحكام، وتظل الجماهير الإسلامية في كلتا الحالتين فاترة لا يعنيها الأمر في شيء» «هذا إضافة إلى أن الإسلام ذاته ضد تجميع رأس المال في أيدي القلة **﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾**»[2].

«ويرفض الملكية الخاصة والمجتمع الطبقي، ويقول بالمساواة، ويرفض الاستغلال والاحتكار.. ويعطي الإمام حق التأميم والمصادرة للمال المستغل لصالح المسلمين..». «مهمة اليسار الإسلامي إعادة توزيع ثروة المسلمين بين المسلمين، كما شرع الإسلام، طبقاً للعمل والجهد والعرق»[3].

هكذا؟! لو أردتم شرع الإسلام لتركتم هذا التلفيق المريب، ورفض حكم الله في الاقتصاد وغيره؟!.

---

(١) الخطاب العربي المعاصر: محمد عابد الجابري ص (٥٥ ـ ٥٦) نقلاً عن ظاهرة اليسار الإسلامي ص ١٣٢.
(٢) سورة الحشر: الآية ٧.
(٣) ماذا يعني اليسار الإسلامي (ص ٣٤ ـ ٣٥).

● **الأسرة وحرية المرأة وحقوقها:**

لا تختلف نظرة هؤلاء عن نظرة بقية العصرانيين إلى المرأة، ودعوتهم إلى تحريرها وحريتها كما يزعمون، وقد ناقشنا هذا الموضوع في المبحث الثاني من هذا الباب[1].

● **وهكذا نلاحظ أن اليسار الإسلامي:**

- يتبنى العلمانية وفصل الدين عن الحياة.

- ويتبنى الثورة على طريقة الماركسيين، ولكنه يعرضها بثوب إسلامي شفاف ليخدع الأمة بذلك.

- رفض نصوص الكتاب والسنة إذا تعارضت مع ما يرونه من مصلحة المجتمع، مع التأويل والتعطيل لهذه النصوص.

- تجديد في اللغة والمصطلحات، لتصبح لغة القرآن لغة تقليدية ميتة، لا تفي بالحاجة، على طريقة تعامل النصارى مع اللغة اللاتينية.

إن التلاعب بالشعارات، للخروج عن الإسلام، صار أمراً عادياً في غياب هيمنة الإسلام وحكمه في جميع ميادين الحياة، عند هؤلاء الناس.

---

(١) انظر: شذوذات العصرانيين في ميادين الفقه المختلفة ـ المبحث الثاني من هذا الباب ص ٢٥٧.

الباب الرابع
المدرسة العصرانية في الميزان

الفصل الأول: مفهوم التجديد بين الهدم والبناء.

الفصل الثاني: العصرانية بين الجذور الغربية والصلات المشبوهة.

الفصل الثالث: العصرانية: مخاطر ومتاهات.

الفصل الرابع: العصرانية دعوة إلى العلمانية.



تمهيد:

لقد عرفنا مما سبق مدى تعلق العصرانيين بأذيال الغرب، ومزاعمهم العريضة في التجديد والإصلاح، وأنهم من أجل دفع التعارض رفضوا نصوص الكتاب والسنة كلياً أو جزئياً.. وحقيقة هؤلاء أنهم:

«منهزمون نفسياً، والهزيمة داء وأي داء، الهزيمة النفسية أخطر على الأمم من الهزيمة العسكرية، فالهزائم العسكرية قد يستعيد أصحابها قوتهم، أما المهزوم نفسياً فهو يائس يعتقد أن خصمه أفضل منه، وسيصبح في خطر جسيم»[1].

وهذا ما توصل إليه ابن خلدون: «من أن المغلوب مولعٌ أبداً بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده»، «والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه»[2].

وقد ظن بعض المسلمين أن تغلب الكفار عليهم، إنما حصل بسبب عقائدهم وقوانينهم فبدأوا ينادون بأخذ ذلك كله.

«ولم يكن هؤلاء الذين نادوا بالتجديد والإصلاح صادقين، بل هم كاذبون، وقد قصدوا تفريق جموعنا وإضعاف قوتنا، وقد أدرك السلطان عبد الحميد خطورة هذه الدعوة، وأدرك أنها ستكون المعول الذي تهدم به الخلافة الإسلامية. يقول في مذكراته: «والتجديد الذي يطالبون به تحت اسم الإصلاح سيكون سبباً في اضمحلالنا، ترى لماذا يوصي أعداؤنا الذين عاهدوا الشيطان بهذه الوصية بالذات؟ لا شك أنهم يعلمون علم اليقين أن

---

(١) الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د. عمر سليمان الأشقر ص ٩٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون: (١/ ٢٥٨) مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني - بيروت / ١٩٧٩ م.

الإصلاح هو الداء وليس الدواء، وأنه كفيل بالقضاء على هذه الإمبراطورية»[1].

وينطبق على هؤلاء المجددين الأشرار قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ (البقرة: ١١ ـ ١٢).

والمناداة بأخذ الحضارة الغربية خيرها وشرها، حلوها ومرها، قصور في العقل وضحالة في الفكر، وقد أودى بكثير من هؤلاء المتجددين في المهالك وسوء العواقب في دينهم ودنياهم، إذ كانت سبباً في الانحراف والفسق ورفض ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

والعاقل من أخذ منها النافع بعد إبعاد ما يناقض الإسلام.

يقول العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله، فيمن حكَّموا عقولهم بنصوص الكتاب والسنة: «وليعلم من يريد أن يعلم:

مَنْ رجل قرأ شيئاً من العلم فداخله الغرور، إذ أعجبته نفسه فتجاوز بها حدّها، وظن أن عقله هو العقل الكامل، فذهب يلعب بأحاديث النبي ﷺ، يصحح فيها ما وافق هواه، وإن كان مكذوباً موضوعاً، ويكذب مالم تعجبه وإن كان الثابت الصحيح.

أو من رجل استولى المبشرون على عقله وقلبه، فلا يرى إلا بأعينهم، ولا يسمع إلا بآذانهم.. ثم (هو) سماه أبواه باسم إسلامي، وقد عد من المسلمين، فيأبى إلا أن يدافع عن هذا الإسلام، الذي ألبسه جنسية، ولم يعقده ديناً، فتراه يتأول القرآن ليخضعه لما تعلم من أستاذيه ولا يرضى من الأحاديث حديثاً يخالف آراءهم وقواعدهم..

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية: (ص ١٩٥)، وانظر الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: (ص ٩٣).

أو من رجل مسلم عُلّم في مدارس منسوبة للمسلمين، فعرف من أنواع العلوم كثيراً، ولكنه لم يعرف من دينه إلا نزراً أو قشوراً، ثم خدعته مدنية الإفرنج وعلومهم عن نفسه، فظنهم بلغوا في المدنية الكمال والفضل، ثم استخفه الغرور فزعم لنفسه أنه أعرف بهذا الدين، وأعلم من علمائه وحفظته وخلصائه، فذهب يضرب في الدين يميناً وشمالاً، ويرجو أن ينقذه من جمود رجال الدين!! وأن يصفيه من أوهام رجال الدين!! أو من رجل.. أو من رجل..»[1].

لقد لخّص العلامة المحقق منطلقات التيار العصراني، ووقف على انحرافات رجاله ومزاعمهم الفارغة في التجديد.

وسوف نتحدث في هذا الباب عن هذا التجديد المزعوم، وعن الانحرافات العقدية والفكرية التي وقع فيها أصحاب هذا التيار، مبينين الحكم الشرعي من الكتاب والسنة وآراء الأئمة الثقات، فيما أغفلنا الحديث عنه في ثنايا الكتاب.

---

(١) الجامع الصحيح لسنن الترمذي: تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ج ١ / ص ٧١ ـ ٧٣.

الفصل الأول

مفهوم التجديد بين الهدم والبناء

- مفهوم التجديد عند العصرانيين.
- مفهوم التجديد في الإسلام.
- مجالات التجديد في الإسلام:

١ ـ في العقيدة.

٢ ـ التجديد في مجال النظر والاستدلال.

٣ ـ التجديد في مجال السلوك الفردي والاجتماعي.

٤ ـ فضح المناهج والاتجاهات المخالفة للإسلام.

- الفرقة الناجية: من هم أصحابها؟!
- الفرق بين التجديد والابتداع.

الفصل الأول

مفهوم التجديد بين الهدم والبناء

ظهر العصرانيون وهم يملأون الدنيا ضجيجاً برغبتهم في التجديد، وبضرورة فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، وأنهم هم أصحاب الفكر الديني المستنير، يريدون أن ينتشلوا الأمة من كبوتها وتأخرها..

إلا أن حقيقتهم قد ظهرت لكل عاقل منصف، فهم تستروا برداء التجديد بعد أن سقطت شعارات القومية العلمانية، أو اليسار الإسلامي.. وكانوا من جنودها إلى أمد غير بعيد.

إن مزاعم التجديد التي رفع هؤلاء لواءها، كشفت الحقيقة جلية، وهي أن التجديد لديهم، يعني تطوير الدين على طريقة عصرنة الدين عند اليهود والنصارى.

● **ولذلك فإن التجديد عندهم يعني:**

ـ هدم العلوم المعيارية: أي علوم التفسير المأثور وأصوله، وعلم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث.

ـ ويعني رفض الأحاديث الصحيحة جزئياً أو كلياً، بحجة ضرورة ملاءمتها لعقولهم ولمصلحة الأمة، وظروف العصر الحاضر.

ـ ورفض السنة غير التشريعية، أي فيما يخص شؤون الحكم والسياسة، وأمور الحياة والمجتمع عموماً..

ـ التجديد عندهم يعني الانعتاق من إسار الشريعة إلى بحبوحة القوانين

الوضعية، التي تحقق الحرية والتقدم، ولذلك هاجموا الفقه والفقهاء بلا هوادة[1].

ـ والتجديد عندهم يعني فتح باب الاجتهاد بحيث «يكون فيه لكل مسلم نصيب، وحق الفقه في الإسلام أن يكون فقهاً شعبياً».

ـ التجديد عندهم يعني الدعوة إلى اجتهاد جماعي شعبي، يرد للأمة حقها الذي كان يمارسه عنها الفقهاء، ويمكن أن يصبح إجماع الأمة المسلمة، وتصبح أوامر الحكام، أصلين من أصول الأحكام في الإسلام[2].

ـ والمجتهد عند الدكتور عمارة هو: «من لا علم له بالقرآن والسنة واللغة والأصول، لأن مجال الاجتهاد هو أمور الدنيا، ولا يشترط لها كل هذا من العلوم الشرعية، وإنما يشترط أن يكون المرء «مستنيراً» عقلانياً، تقدمياً، ثورياً وحضارياً، وذلك من أغرب الأقوال في الاجتهاد»[3].

ـ الاجتهاد والتجديد عندهم يعني تحقيق المصلحة وروح العصر، يقول حسن حنفي: «وما يهمنا هو روح العصر، وما نهتم به من مشاكل العصر، لذلك فنحن نهتم بالأمثال العامية وبسير الأبطال، كما نفعل تماماً مع النصوص الدينية، وبالأغاني الشعبية».[4] «والمصلحة أصل مستقل في التشريع عندهم ولا سلطة إلا لضرورة الواقع، لقد أصبح الواقع هو المحدد للاختيارات والقوانين، أما دور الشرع فثانوي، لأن اختياراتنا هي التي تحدد طبيعة القوانين، ونحن نستلهم خلال ذلك روح الشريعة ومقاصدها»[5].

---

(١) ينظر: الباب الثالث، مزاعم التجديد ص ٢١٥ وما بعدها.

(٢) انظر تجديد الفكر الإسلامي: د. حسن الترابي ص ١٢.

(٣) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: سليمان بن صالح الخراشي / ص ٤٧٠.

(٤) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي العدد الأول.

(٥) مجلة (١٥ ـ ٢١) العدد الأول، حوار مع الدكتور حسن حنفي.

ـ فالاجتهاد عند العصرانيين يعني طريقة الاجتهاد حَسْب فهم المستشرقين. يقول المستشرق جيب: «تعود الكلمة الفصل إلى ضمير الشعب بمجموعه، إن صوت الشعب ـ معترف به في الإسلام الحنيف ـ على أنه يأتي بعد صوت الله وصوت النبي ﷺ، والمصدر الثالث لليقين الديني».

هذا هو التجديد لدى العصرانيين، بل يزعم بعضهم إمكانية أن يكون مجدد القرن الخامس عشر منهم...

«والباعث لهذا النوع البدعي الخاطىء، الجهل بالسنة ومنهج السلف من ناحية، والغرور وحب الشهرة، والانهزام النفسي وحب الزعامة، والإعجاب المفرط بالغرب من ناحية أخرى.

ووسائله رفع الشعارات الزائفة وإثارة الشبه، وبلبلة الأفكار والطعن والتشكيك في الأصول والقواعد الشرعية، والاستخفاف والسخرية بعلماء السلف، والإعجاب بكل جديد، والبغض لكل تليد»[1].

● **فما هو التجديد في الإسلام؟!:**

وهل يحق لهؤلاء أن يزعموا لأنفسهم شيئاً من ذلك؟!

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدد لها دينها»[2].

قال العلقمي: معنى التجديد «إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والعمل بمقتضاهما».

وقال المناوي: «يجدد لها دينها، أي يبين السنة من البدعة ويُكثر

---

(١) مناقشة هادئة لبعض أفكار الترابي / ص ٣٣/ الأمين الحاج محمد أحمد/ الطبعة الأولى.
وينظر أيضاً: الفرق بين التجديد السني والتجديد البدعي (ص ٣١ ـ ٤٨) من نفس الكتاب.

(٢) رواه أبو داود في سننه «كتاب الملاحم»، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، جـ ٢ /ص ١٥٠، رقم (٥٩٩)/ المكتب الإسلامي.

العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم... قالوا: ولا يكون إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة»[1].

«فتجديد الدين يعني إعادة نضارته ورونقه وبهائه وإحياء ما اندرس من سننه ومعالمه، ونشره بين الناس».

وجاء في الحديث الشريف: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»[2].

«فهذه الفئة أو الطائفة الموعودة، يستحيل أن يكون المجدد من غيرها استحالة تامة، إذ هي القائمة بأمر الله، المتبعة لشرعه، السائرة على هدي نبيه، ومن ثم فهي المجددة لهذا الدين، الواقفة عند حدود الله، حيث تباعدت الأهواء بأصحابها، فلم يبق لهم من الدين إلا الانتساب..».

«فليس من التجديد هذا الاتجاه العقلاني، الذي يحاول تفسير النصوص الشرعية، وفق مقتضيات الفلسفة البشرية، وليّ عنق النصوص ليّاً ليتفق معها.. وليس من التجديد تلك المناهج التي اختطها بعض الدعاة استجابة للضغوط الواقعية، والمتغيرات الاجتماعية والدولية ـ كما زعموا ـ واقتنعوا بموجبه بضرورة استبعاد بعض القضايا الشرعية والعقدية المسلّم بها لدى الأمة وعلمائها، منذ عصر الصحابة حتى اليوم»[3].

إن الحركة التجديدية بحاجة إلى أعلام مجددين، كعمر بن عبد العزيز رحمه الله في العلم وإقامة العدل، والإمام الشافعي في فقهه وتأصيله، والأئمة: ابن تيمية والإمام أحمد وابن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً.

---

(١) فيض القدير: شرح الجامع الصغير، ٢/ ٢٨١ للمناوي، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(٢) رواه البخاري رقم: (٧٣١١) ـ كتاب الاعتصام، ومسلم كتاب الإيمان /رقم ١٥٦/ ج ١/ ص ١٣٧.

(٣) التجديد في الإسلام: إصدار المنتدى الإسلامي /لندن/ ١٤١٠ هـ/(ص ٣٩ ـ ٤١) بتصرف واختصار.

أين فراخ العقلانيين العصريين المنهزمين أمام مادية الغرب وفجوره وإلحاده؟! من هؤلاء العلماء الأبرار؟! أيجدد في دين الله من هو بحاجة إلى توبة نصوح يقوّم بها سلوكه، وشطحات أفكاره من سموم الأعداء، فلا يهدم باسم البناء، ولا يخرب باسم التجديد والاجتهاد.

«والتجديد المقصود ليس تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين»(١).

«والظاهر أن أساطين الكفر أيقنوا بعد التجارب الطويلة أن هدم الإسلام من الخارج والوقوف أمام تياره طريق غير ناجح، فسلكوا لهدمه طريقاً آخر من الداخل، يدعو لإصلاح الإسلام وتجديد أفكاره وأحكامه، والاستخفاف بتراثه، وبكل قديم فيه، وهي طريق خادعة تجذب بعض الخاوين من الثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية.

ولذلك ظهرت فئة ـ العصرانيين ـ في هذا العصر تدعو إلى تجديد الفكر الإسلامي، وتجديد أصول الفقه، وأصول الحديث، وتجديد العلوم الإسلامية، لا بطريقة عرض تلك العلوم عرضاً سهلاً، أو إيجاد بعض الأحكام الشرعية لمواجهة بعض المستجدات، وإنما انصبت الدعوة على تغيير الأفكار الإسلامية، وتغيير أصول العلوم الإسلامية»(٢).

لقد قامت مجلة المسلم المعاصر، واليسار الإسلامي، من أجل هذا الهدم المتعمد باسم التجديد، وكانت محاولات مستمرة باسم تجديد أصول الفقه وأصول الحديث وأصول الفكر الإسلامي، ولكن دعوتهم هذه لم تلق

---

(١) التجديد في الإسلام: ص ٤٢ /المنتدى الإسلامي/ الجزء الأول.
(٢) مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين د./محمود الطحان / مكتبة التراث ـ الكويت.

رواجاً، ولم يكترث بها أحد من علماء المسلمين ومفكريهم، بل ولا شبابهم الذين ليس لهم رصيد من الثقافة الإسلامية[1].

• مجالات التجديد في الإسلام[2]:

هنالك ميادين كثيرة لمن أراد أن يجدد حقاً سواء في مجالات العقيدة أو السلوك الفردي والاجتماعي، أو في مجال النظر والاستدلال.

١ ـ في العقيدة: لا يعني ذلك إضافة شيء آخر إلى العقيدة الربانية! بل من التجديد تخليص العقيدة من الإضافات البشرية لتصبح نقية صافية، ليس فيها أثر لصنع البشر وآرائهم وفلسفاتهم.

وذلك حتى تفهم بالبساطة والوضوح، التي فهمها سلف هذه الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ـ وأول خطوة في مجال التجديد العقدي، هو تنقية العقيدة الإسلامية من آثار علم الكلام، ومن جميع ما علق بها من آراء دخيلة.

ـ ومن ذلك ربط آثارها الواقعية بها، ولا بد من العمل على إحياء الآثار القلبية النابعة من صدق الإيمان، ومن أعمال القلب: كالحب والبغض والخوف والرجاء والإنابة والخشوع..

وقد غفل كثير من الناس عن هذه المعاني حتى كاد يصبح الحديث عن صحة القلب ومرضه وعلاجه وقفاً على الصوفية الذين أسرفوا وغلوا حتى عبدوا ذواتهم ومشايخهم، بينما كان أئمة السلف نماذج حية في صدق اللجوء إلى الله وعمق الصلة به.

إن من واجب الحركة التجديدية أن تولي هذه القضية عناية كبيرة، فهي الأثر العملي المباشر للتصديق بالعقيدة، وإن معالجة الانحراف الظاهر على كافة المستويات لا يستقيم إلا إذا صاحبه معالجة الانحراف الباطني.

---

(١) السابق: (ص ٥) د. محمود الطحان.

(٢) ينظر: التجديد في الإسلام: المنتدى الإسلامي (ص ٤٣ ـ ٤٩).

ـ ومن التجديد المطلوب في مجال العقيدة عرض الانحرافات الجوهرية التي تعيش اليوم بين المسلمين، مما له تعلق في جوانب الاعتقاد مع بيان خطرها والتحذير منها.

فالحديث عن موالاة الكَافرين وحكم هذه الموالاة، وبيان تأثيرها على النفوس، والخطر الزاحف بسببها.. أصبح مطلباً ملحاً بعد أن لحق كثير من المنسوبين لهذا الدين بمعسكرات الكفر بشكل أو بآخر، مع الانفتاح الرهيب للمسلمين على المجتمعات والشعوب الوثنية والنصرانية.

وكذلك الحديث عن قضية الحكم بغير ما أنزل الله وحكمه، وضرورة رد الأمور كلها إلى شرع الله، لأن هذا هو مقتضى الإسلام والتسليم، وشرط الإيمان الذي لا يكون إلا به.

كل هذا أصبح التركيز عليه ضرورة، وخاصة مع سيطرة القانون الوضعي على كثير من بلاد المسلمين، ومع انتشار الأفكار التي تشكك في الإسلام وصلاحيته للبقاء والحكم[1].

٢ ـ **التجديد في مجال النظر والاستدلال**: وذلك بإحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية كلها دراسة مبنية على الدليل الشرعي الصحيح، بعيداً عن عصبية المذاهب.. ولا بد من صياغة المنهج السليم للتفقه من خلال استقراء طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم[2].

٣ ـ ويشمل التجديد أيضاً: **التجديد في السلوك الفردي والاجتماعي**: وذلك بالعمل على صياغة حياة المسلمين صياغة إسلامية شرعية.

فالانحراف السلوكي بات خطيراً حقاً في حياة المسلمين، وأصبحت طريقة الوعظ والتعليم لا تفي بالغرض، لأنها لا تربط المعاني بقضايا سلوكية واقعية يجب أن تعالج.

---

(١) التجديد في الإسلام: (ص ٤٤ ـ ٤٧) بتصرف وإيجاز.

(٢) السابق: (ص ٤٧ ـ ٤٨).

وكذلك من يعنى بالحلال والحرام تفقهاً مجرداً، لكنه لا يربط هذه الأحكام بأصولها الإيمانية التي تدعو إلى العمل بها وامتثالها، كل هؤلاء بحاجة إلى جهود وبيان من قبل الحركة التجديدية.

٤ ـ ويشتمل التجديد كذلك **فضح المناهج والاتجاهات** والأوضاع والمبادىء والسبل المخالفة للإسلام، ليحيي من حيّ عن بينة، ويهلك منه لك عن بينة.

ولقد كان من مهمة الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ كشف طريق الضلال لئلا يلتبس بطريق الحق[١].

● **فالفرقة الناجية**: هي التي تسير على نهج الرسل في الاعتقاد وغيره، وهي فرقة من ثلاث وسبعين فرقة، ولذلك فليس للفرق التي تشايعت على الباطل، وتآلفت على الهوى من التجديد نصيب، كيف تعتبر مجددة؟ وهي تهدم الدين وتشوّه حقيقته، وتلبسه ثوباً غير ثوبه؟!

إن التجديد لا بد أن ينطلق من وضوح في الاعتقاد: في الإيمان والأسماء والصفات، والولاء والبراء، والعبادة والتشريع، بحيث يكون مذهب أهل السنة والجماعة في كل ذلك، هو المنطلق الأساسي للتجديد.

فالدين ليس تصفيقاً لكل من يهتف باسم الإسلام، ولو كان يرفع راية الإسلام في يد، ثم يسعى للإجهاز عليه باليد الأخرى، الدين عندنا وحي منزل مضبوط، محفوظ يحتكم إليه في تقويم الناس، ومن اضطرب في يده هذا الميزان ضاع في التيه البعيد[٢].

أين من هذا كله العصرانيون الجدد؟ أين هم من التجديد الشرعي القائم على السنة؟!

---

(١) السابق: (ص ٤٨ ـ ٤٩).

(٢) التجديد في الإسلام: (ص ٥٢ ـ ٥٣).

إن العصرانيين بمنطلقاتهم وتشكيكهم وعقائدهم، لفي انحراف خطير، بل لا بد للحركة التجديدية الشرعية من إصلاح هؤلاء، وتبيان وجه الحق لهم، ومن ثم بيان مفاسدهم واضطرابهم.

● «فهناك **فرق كبير بين التجديد والابتداع** ويمكن إجمال هذا الفرق على النحو التالي:

ـ إن تجديد الدين هو السعي لإحيائه وبعثه وإعادته إلى ما كان عليه في عهد السلف.. (والعصرانيون يحاربون كل قديم ولو كان نصوصاً قطعية).

ـ ومن ضرورات التجديد حفظ نصوص الدين الأصلية، صحيحة نقية حسب الضوابط والمعايير التي وضعت لذلك، خلافاً لتيار العصرانية.

ـ ومن مستلزمات التجديد سلوك المناهج السليمة لفهم نصوص الدين وتلقي معانيها من الشروح التي قدمتها لها المدرسة الفكرية السنية.

ـ وغاية التجديد جعل أحكام الدين نافذة تهيمن على أوجه الحياة، والمسارعة لرأب الصدع في العمل بها، وإعادة ما ينقض من عراها، بينما يرى العصرانيون أن العودة للماضي جمود وتخلف..

ـ ومن توابع ذلك الاجتهاد، وضع الحلول الإسلامية لكل طارىء، وتشريع الأحكام لكل حادث، ممن هم أهل للاجتهاد والنظر.

ـ ومن خصائص التجديد تمييز ما هو من الدين، وما يلتبس به، وتنقية الدين من الانحرافات والبدع، سواء كانت هذه الانحرافات ناتجة من عوامل داخلية، أو كانت بتأثيرات خارجية.

ـ فتجديد الدين إذن هو إحياء وبعث لمعالمه العلمية والعملية التي أبانتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف»[1].

---

(١) مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد، (ص ٢٩ ـ ٣٠) بتصرف يسير.

وقد وضع العلماء شروطاً وصفات للمجدد، إذ من الضروري أن يكون حائزاً على مواهب كثيرة وسجايا متعددة، تؤهله لهذه المهمة.

من ذلك أن يكون له قدرات فكرية، وملكات عقلية تمكنه أن يكون ذا قدم راسخة في العلوم وفنونها، وأن يكون ذا نظر ثابت يميز صحيحها من سقيمها. يقول السيوطي: «يشار بالعلم إلى مقامه» «وأن يكون جامعاً لكل فن».

و«لذلك اشترط بعض السلف أن يكون المجدد مجتهداً، وينبغي أن يجمع المجدد كثيراً من صفات الخير»[1].

ولا بد أن يكون المجدد «ناصراً للسنة قامعاً للبدعة»[2]، وأن تكون جهوده الإصلاحية ذات تأثير بيّن في اتجاهات الفكر والعلم، وفي حياة الناس.

شروط المجتهد: عندما ميَّع العصرانيون الاجتهاد، وجعلوه مطية لكل ناعق، فدعا بعضهم إلى اجتهاد شعبي جماعي (كالترابي)، وقال الشيخ محمد عبده «بأنه سهل المنال على الجمهور الأعظم من المتدينين، لا تختص به طبقة من الطبقات»[3].

بينما يشترط بالمجتهد:

- العلم بالعربية بصفتها لغة القرآن، والعلم بالقرآن ناسخه ومنسوخه، والعلم بدقائق آيات الأحكام المعروفة.

- العلم بالسنة القولية والفعلية والتقريرية.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر: جـ ١٣ /ص ٢٩٥/ القاهرة/ مصطفى البابي الحلبي/ ١٩٧٨ م. وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ٥٣ /دمشق/ ١٩٧٤ م.

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود /تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة /١٩٦٩ م/ جـ ١١/ ص ٣٩١.

(٣) رسالة التوحيد: محمد عبده ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ط دار المنار بمصر.

- العلم بمواضع الإجماع ومن أمثلتها: أصول الفرائض والمواريث، والعلم بمواضع اختلاف الفقهاء.

- العلم بالقياس، وبمقاصد الأحكام، كالرحمة ورعاية المصالح.

- إحراز القدرة على الفهم الصحيح والتقدير الحسن.

- هذا مع صحة النية وسلامة العقيدة[1].

أخي القارىء:

لعله تبين لك الفرق الكبير بين مزاعم التجديد (والاستنارة)، وحملات التشويه المقصودة، وبين التجديد القائم على السنة النبوية بالضوابط الشرعية كما يعرفها علماء الإسلام.

---

(١) ينظر: أصول الفقه: الشيخ محمد أبو زهرة / ص ٣٠٢ ـ ٣٠٩/ طبعة دار الفكر العربي/ القاهرة.

الفصل الثاني

العصرانية بين الجذور الغربية والصلات المشبوهة

- المعتزلة فتنوا بفلسفة اليونان، والمدرسة الإصلاحية امتداد لأفكار المعتزلة.
- الصلاة المريبة: لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وبعض تلاميذهما.
- مدرسة السيد أحمد خان: الولاء التام للإنجليز.
- الآثار الخطيرة لحركة التغريب.
- صلات مريبة للدكتور طه حسين: برجال الاستشراق والتنصير.
- العصرانيون الجدد: أنجزوا ما يريده الأعداء تحت مزاعم التجديد والتطوير.

الفصل الثاني

العصرانية بين الجذور الغريبة والصلات المشبوهة[*]

لقد لاحظنا خلال الأبواب السابقة، أن منطلقات العصرانيين غريبة عن ثقافتنا، مجافية لمعتقداتنا وأفكارنا، وجاء هذا نتيجة طبيعية لتأثرهم بجذور هذه المدرسة، والمنطلقات المنحرفة لدى المعتزلة والإصلاحيين، ومعطيات الحضارة المادية الغربية، ونتيجة التبعية الشديدة لآراء المستشرقين ومدارس التنصير المختلفة.

وقد كان القصد من هذا الفصل تسليط الأضواء على الصلات المريبة لقادة هذا الفكر، والانحرافات المريضة لإفرازات هذه المدارس، وقد جاءت متناثرة خلال الكتاب، فأردت تسهيلاً على القارىء أن أضم بعضها إلى بعض لتكتمل الصورة، وتتضح الرؤية.

● فالعصرانيون فتنوا بأفكار المعتزلة ومعتقداتهم، وأعجبوا بعلمائهم ممجدين إياهم.

«والمعتزلة قوم فتنتهم الفلسفة اليونانية، وما نقل من الفلسفة الهندية والأدب الفارسي... فأولوا القرآن لينسجم مع تلك الفلسفات، وكذبوا الأحاديث التي لا تتفق مع هذه العقلية الوثنية»[1].

حاول رجال المعتزلة أن يخضعوا الدين وحقائقه لنظريات الفلسفة، تحت شعار التوفيق بين الدين والفلسفة، وكان الأحرى بهم أن يخضعوا الفلسفة للدين.

(*) معذرة إلى الأخ القارىء من إيراد بعض النصوص (في هذا الفصل) ثانية، بعد أن مرت في ثنايا الكتاب، وذلك من أجل أن تتضح الرؤية، ويظهر الخلل جلياً.

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي.

ومن أجل ذلك حكّموا العقل، وجعلوا الأدلة العقلية مقدمة على الأدلة الشرعية، فكذبوا الأحاديث التي تتعارض مع أدلتهم العقلية، وأولوا ما لا يوافقه من الآيات الكريمة. وبسبب ذلك نالوا من الصحابة الذين لم توافق الأحاديث التي رووها مقولاتهم وأصولهم.

وهذه تصورات غريبة عن تصورات أمتنا وتراثها، من ذلك ما ذكره البغدادي: «كيف دخل الفساد على عقيدة النظّام ـ من رؤوس المعتزلة ـ ممن خالطهم من الزنادقة والفلاسفة وغيرهم»[1].

وقد مجّد المستشرقون المعتزلة، إذ وجدوا فيهم ضالتهم المنشودة، وأطلق (جولدزيهر) عليهم: «المفكرون الأحرار في الإسلام».

* * *

وتعتبر **المدرسة الإصلاحية**[2]: امتداداً طبيعياً لانحرافات المعتزلة في كثير من أصولها مثل: تأويل أو إنكار المعجزات وقضايا الغيب، أو التشكيك بحجية السنة، ومن ثم تقديم العقل على النصوص الشرعية.

وقد كان الغموض والارتباطات المريبة تحيط بمؤسس هذه المدرسة الشيخ محمد عبده، وبتصرفات أستاذه جمال الدين الأفغاني.

أمّا جمال الدين الأفغاني: فقد كان الغموض يحيط بشخصيته من كل جانب: اسمه وأصله ومذهبه.

وكان تلاميذه خليطاً من اليهود والنصارى، فأديب إسحق وسليم نقاش (نصارى وما سون)، وطبيبه الخاص كان يهودياً (هارون).

وقد كشف ابن أخته (ميرزا لطف الله خان) أن خاله كان شيعياً من إيران، ونُشر ذلك في كتاب له تحت عنوان «جمال الدين الأسد بادي».

كما أن الأفغاني أسس عدداً من الجمعيات السرية في البلدان التي

(١) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي / ص ١٢٧، ١٤٣/ مطبعة المدني ـ القاهرة.

(٢) ينظر: المدرسة الإصلاحية: الباب الأول من هذا الكتاب/ ص ٣١ ـ ٧١/.

حل فيها، وكان ينتسب إلى المحفل الماسوني الاسكتلندي ثم اختلف معه، فأنشأ المحفل الماسوني الفرنسي، ولعل عداوته للانجليز كانت مبنية على هذا الصراع بين المحافل الماسونية(١).

ويشير محمد رشيد رضا بأن الأفغاني تولى رئاسة جمعية الماسون العربية، أي نال رئاسة المحافل الماسونية قاطبة عام ١٨٧٨ م، وأنه كان يميل إلى القول بوحدة الوجود(٢).

وكان الأفغاني صديقاً إلى «بلنت» الإنجليزي، ذكر ذلك السلطان عبد الحميد في مذكراته فقال: «وقعت في يدي خطة أعدها في وزارة الخارجية الإنجليزية، كل من مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني، وإنجليزي يدعى «بلنت» قالا فيها بإقصاء الخلافة عن الأتراك، واقترحا على الإنجليز إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين»(٣).

وكان بلنت وزوجته من أصدقاء الأفغاني، ولهما نشاط مريب في بلاد العرب، من ذلك دعوتهما إلى إنشاء دولة عربية، حليفة لإنجلترا، وقد عرفنا المؤامرة الكبرى على تقسيم بلاد المسلمين بعد ذلك.

أخي القارىء: إذا كانت هذه هي حال مؤسس هذه المدرسة والأب الروحي لدعاة التحرر والتجديد، فماذا نرجو من وراء هذه المدرسة وقد أسست على هذا الغموض والعمل المريب؟!.

أما الشيخ محمد عبده: فقد اتصل بالمعتمد البريطاني كرومر بعد عودته من المنفى، وتعاون معه، ومن ثم فقد حماه الحاكم العسكري هذا،

---

(١) انظر: خاطرات جمال الدين الأفغاني، محمد باشا المخزومي، والإسلام والحضارة الغربية: محمد حسين ص ٧٤، ودعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام: مصطفى غزال.

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام: ١/ ٤٦، ٨٠.

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد: ترجمة محمد حرب عبد الحميد / ص ٦٧.

وشجع دعوته في إصلاح التعليم والقضاء والأزهر، تحت مظلة توجيهات المستعمر الإنجليزي.

يقول كرومر مشيداً بتعاون الشيخ: «إن أهمية الشيخ محمد عبده السياسية، ترجع إلى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين، وأنه هو وتلاميذ مدرسته، خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع، فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوروبي «لقد كان محمد عبده يبذل للإنجليز النصيحة خالصة، ويرشدهم إلى ما يوطد احتلالهم، وقد صرح كرومر بأن الشيخ سيظل مفتياً في مصر، ما بقيت بريطانيا العظمى محتلة لها»[(١)].

ويقول كرومر أيضاً «كان لمعرفة الشيخ العميقة بالشريعة الإسلامية، ولآرائه المتحررة المستنيرة، أثرها في جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى»[(٢)].

وكان الشيخ هو الذي صاغ برنامج الحزب الوطني المصري وجاء فيه: «الحزب الوطني حزب سياسي ديني، مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب، وجميع النصارى واليهود، وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم لغتها منضم إليها»[(٣)].

ويقول كرومر بأنه تشجيعاً لهذا الحزب وعلى سبيل التجربة، قد اختار أحد رجاله وهو سعد زغلول وزيراً للمعارف[(٤)]؟!!

ويؤخذ على الشيخ أيضاً: اشتراكه مع أستاذه الأفغاني في المحافل الماسونية، وتعاونه مع أستاذه في نشر مبادئها.

● وكان الشيخ محمد عبده قد تأثر ببعض المستشرقين خلال إقامته

---

(١) ينظر تاريخ الأستاذ الإمام: محمد رشيد رضا، جـ ٩٢٢/١، ٥٠١.

(٢) تقرير كرومر السنوي لعام (١٩٠٥).

(٣) الأعمال الكاملة لمحمد عبده: جـ ١٠٧/١ محمد عمارة.

(٤) الإسلام والحضارة الغربية: محمد محمد حسين /ص ٨٣.

في فرنسا، واستمرت صلته بهم بعد عودته من المنفى، وكان قد أراد أن يثبت لهم أهمية العقل في نظر الإسلام، وإحياء فكرة الاجتهاد، فاصطدم بالواقع ومال إلى الغلو، وكان من ذلك فتاواه في تأويل أحكام الفقه تأويلاً عصرياً، يبرر الواقع أمام الحضارة الغربية، كإباحة بعض أنواع الربا، ومنهجه في التفسير، والحد من تعدد الزوجات، وحظر الطلاق.. إلخ.

«وانسياقاً مع الأثر العصراني الغربي، أنشأ جمعية سياسية دينية سرية، هدفها التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة، كان ذلك في بيروت، واشترك معه في تأسيسها: ميرزا باقر وعارف أبو تراب، والقس إسحق تيلر، وبعض الإنجليز واليهود، وكان الإمام صاحب الرأي الأول فيها»[1].

● وكان لتلامذة الشيخ محمد عبده دور كبير في تطوير آرائه، والجنوح بها بعيداً نحو العلمانية الغربية.

من ذلك دعوة قاسم أمين في تحرير المرأة، وأفكار محمد أحمد خلف الله في القصة القرآنية، وسعد زغلول في اتجاهه الوطني العلماني بدلاً من التيار الإسلامي، وعلي عبد الرازق في كتابه: «الإسلام وأصول الحكم» الذي دعا فيه إلى فصل الدين عن الدولة.

ويلقي الدكتور ضياء الدين الريس الضوء على خلفية هذا الكتاب الهجين.

يقول الدكتور الريس: إن أفراد أسرة عبد الرازق موغلون في أوحال السياسة المساندة للإنجليز، ويؤكد أن كتاب الإسلام وأصول الحكم، ليس من وضع الشيخ علي عبد الرازق، وإنما هو من تأليف المستشرق اليهودي «مرجليوث» المقيم في لندن، وأنه أهداه إلى الشيخ عندما كان في لندن إبان دراسته هناك (١٩١٢ ـ ١٩١٤ م) وبعد عودته بسبب قيام الحرب العالمية، قام الشيخ بعمل المقدمة، وإدخال بعض

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام: السيد رشيد رضا، جـ ٨١٩/١.

الآيات والأشعار، وعدّل لغته بعض الشيء»[1].

وكانت مدرسة الشيخ محل عناية المستعمر البريطاني، يقول أنور الجندي عن تلاميذ مدرسة كرومر الاستعمارية: «كان الاستعمار يعد منسوبي هذا التيار ليحكم هذه البلاد بجلود مصرية وأفكار استعمارية، وكان من أوائل هؤلاء ممن تخطوا الحواجز بتفوق أعجب المستعمر، فنالوا رعايته وعنايته، سعد زغلول، وأحمد لطفي السيد، وعبد العزيز فهمي»[2].

ويتحدث الشيخ مصطفى صبري عن المدرسة الإصلاحية فيقول: «فلعل الشيخ محمد عبده، وشيخه جمال الدين أرادا أن يلعبا في الإسلام دور «لوثر وكالفن» زعيمي البروتستانت، فلم يتسنّ لهما الأمر بذلك، وإنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد»[3].

* * *

وتعتبر **مدرسة السيد أحمد خان**[4]: من أكثر الحركات القائمة على الافتتان بالحضارة الغربية المادية، والسائرة في ركاب المستعمر البريطاني، حيث كان أحمد خان طوال حياته يناصر الإنجليز ويساعد في حمايتهم، رغم احتلالهم لبلاده.

وبعد زيارته لبريطانيا عام (١٨٦٩ م) والتي استمرت سبعة عشر شهراً نزل فيها ضيفاً على الأوساط الإنجليزية، وقابل الملكة وولي العهد والوزراء، ونال الوسام الملكي، ولقب الشرف.

وبعد عودته إلى بلاده أخذ على عاتقه أن يفتح أعين المسلمين على

---

(١) انظر الإسلام والخلافة: د. ضياء الدين الريس /ص ١٦٦ ـ ١٨٥/ وجيل العمالقة: أنور الجندي /ص ٩٦/.

(٢) عقبات في طريق النهضة: أنور الجندي /ص ٦٠.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين /ص ١٠٣ ـ ١٠٤/.

(٤) انظر: الباب الأول من هذا الكتاب ـ السيد أحمد خان وشبهات القرآنيين في شبه القارة الهندية (ص ٧٥ ـ ٩١).

عظمة حضارة الغرب، وأن يشق لهم طريقاً للاقتباس منها، وكانت وسيلته إلى ذلك: التعاون في المجال السياسي، واستيعاب علوم الغرب في المجال الثقافي، وتأويل الإسلام في المجال الفكري. وكانت آراؤه في الغيبيات وميادين الفقه أكثر غلواً من آراء الإصلاحيين المعاصرين له في مصر.

وكان تلامذة أحمد خان أشد تطرفاً منه، فمنهم الشيعي ومنهم القادياني، ومن ثم كان القرآنيون الثمرة الطبيعية، التي بذر بذورها أعضاء حركة السيد أحمد خان.

* * *

الآثار الخطيرة لحركة التغريب: كانت من أشد الأصول الفكرية تأثيراً في جيل التغريب والعصرانيين الجدد، منذ مطلع القرن العشرين وحتى اليوم.

إذ تمكن التنصير خلال فترة حضانة الاستعمار للأوطان الإسلامية أن ينشىء جيلاً قادراً على حمل أمانة المستعمر بعد رحيله، وكان على رأس خلفائه:

جيل من الصحفيين معظمهم من نصارى لبنان، أسسوا في القاهرة الأهرام والمقطم والمقتطف والهلال، وكانت هذه الصحف بوقاً يدعو إلى العلمانية والتحرر الفكري، ومعظمها كان معروفاً بولائه لسياسة المستعمر البريطاني آنذاك.

كان مؤسسوها ممن تخرجوا من الإرساليات التبشيرية، ولهم ولاء شديد لها[١].

وكان من أبرز هؤلاء جورجي زيدان صاحب مجلة الهلال، كان متورطاً في الجمعيات الإنجليزية والفرنسية وهمزة وصل ـ كما وصفه حسين مؤنس ـ بين الحركة العلمية العربية وحركة الاستشراق[٢].

---

(١)(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين ٢/ ٢٢٩.

فالتعليم بمستوياته المختلفة والبعثات إلى أوروبا، خلف لنا جيلاً قاد حملة التغريب، من المعجبين بحضارة القوم المادية، وكان معظم العصرانيين من هؤلاء، أو الامتداد الطبيعي لهم.

* * *

وصارت **كتب المستشرقين** وأبحاثهم مرجعاً للمثقفين منا ثقافة غربية، والملمين بلغات أجنبية، وقد خدع أكثر هؤلاء المثقفين ببحوثهم واعتقدوا بمقدرتهم العلمية، وجروا وراءهم ينقلونها كما هي، ومنهم من يفاخر بأخذها عنهم، ومنهم من يلبسها ثوباً إسلامياً جديداً، كما صنع أحمد أمين في فجر الإسلام، وأبو رية في كتابه «أضواء على السنة المحمدية».

لقد ردد هذان مطاعن المستشرق اليهودي (جولدزيهر) في الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الإمام الزهري رحمه الله. لقد عمل كثير من المستشرقين في شؤون الخارجية لبلادهم، وفي دوائر المخابرات الاستعمارية، وكان كثير من شيوخهم من خريجي كليات اللاهوت، يهوداً أو نصارى[1].

● وقد ردد **الدكتور طه حسين** مطاعن هؤلاء المستشرقين في القرآن وكرر ما قاله (بروكلمان وجولدزيهر) بمصادر القرآن النصرانية أو اليهودية.

وكان يدعو إلى ربط مصر بالحضارة الغربية، وقطع صلاتها بالإسلام وحضارة العرب، بل كان يرى أن العرب قوم مستعمرون كالفرس والرومان. وطريق الخلاص لديه «أن نسير سير الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة: خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يعاب».

«نريد أن نتصل بأوروبا اتصالاً يزيدنا قوة من يوم إلى يوم، حتى

---

(١) انظر: دراسات في السيرة النبوية (ص ١٩٣ ـ ١٩٦) محمد سرور زين العابدين.

(٢) انظر: الاستشراق والاستعمار، الباب الأول من هذا الكتاب ص ١٠٦.

نصبح جزءاً منها، لفظاً ومعنى، حقيقة وشكلاً»[1].

وكان طه حسين قد أنكر قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأنهما بنيا الكعبة ضارباً بعرض الحائط الآيات الواردة فيها. وقد حكم الأزهر على الكتاب بالإلحاد والزندقة، إلا أن المستعمر الإنجليزي، وقوى الماسون، تحركت لحماية الرجل، ثم أعيد إلى عمله، ومن ثم رفع ليصبح مديراً للجامعة، فوزيراً للمعارف ولكل شيء ثمن[2]!!.

لقد كان الرجل بوقاً من أبواق المستشرقين، يردد ما يقولون، ودعامة قوية للاستعمار ينفذ ما يريده منه.

فمرجليوت صديق حميم له، وطه حسين هو الذي استقدم «كازانوفا» للتدريس في الجامعة، وهو يتهم الرسول بتلفيق القرآن كما يتهم الصحابة بالعبث في نصوصه[3].

وعن صلته بالقوى اليهودية العالمية يقول الدكتور سعدي الهاشمي: «إن طه حسين هو الذي تبنى إصدار قرار تعيين الحاخام اليهودي ـ حاييم ناحوم ـ عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وأول دكتوراه منحتها كلية الأداب في جامعة القاهرة كانت بعنوان «القبائل اليهودية في البلاد العربية، تقدم بها إسرائيل ولفنسون»[4].

● وقد كتب «فريد شحاتة» كاتب طه حسين، وموضع أسراره وكان نصرانياً، كتب مقالاً جاء فيه: «أن طه حسين قد تعمّد لاعتناق النصرانية في شبابه عند زواجه من زوجته الفرنسية، «وكان عمها (وهو قسيس كاثوليكي) هو الذي شجعها على الزواج منه، وكان طه حسين يعتبره أحب رجل إلى نفسه».

---

(١) انظر كتابه: مستقبل الثقافة في مصر، ج ١ /ص ٤٥، ص ٣٤/.
(٢)(٣) انظر كتابه في الأدب الجاهلي، وما كتبناه عنه في الباب الثاني ١٦٣.
(٤) طه حسين في ميزان العلماء والأدباء (ص ٢٩٣).

وبذلك كان هذا الجيل هو جيل الهزيمة النفسية، جيل تلامذة المستعمر وأدواته من المبشرين والمستشرقين.. كان منبعاً من منابع العصرانيين الجدد في النصف الثاني من هذا القرن.

* * *

أما العصرانيون الجدد: فمنهم الذين دفعوا بآراء مَنْ سبق (من جذور هذه المدرسة) أشواطاً بعيدة في التحرر والعقلانية والتفلت من ثوابت هذا الدين، لقد حققوا آمال لويس التاسع ـ ملك فرنسا ـ القائد الصليبي العجوز سجين المنصورة، عندما أشار في وثيقته إلى:

«أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب والقوة وذلك بسبب عامل الجهاد في سبيل الله... وأن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولاً من تزييف عقيدتهم التي تحمل طابع الجهاد والمقاومة، ولا بد من التفرقة بين العقيدة والشريعة...

ومن هنا بدأت معركة أُطلق عليها (التبشير والاستشراق)، أو التغريب والغزو الثقافي.

لقد أنجز الأعداء عن طريق الكلمة، ما عجز أجدادهم الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف»[(١)].

وقال زويمر: «إن تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها»[(٢)].

لقد أنجز العصرانيون ما يريد الأعداء، وخاصة أنهم رضعوا لبان السلبيات والانحرافات السابقة كلها، من المعتزلة إلى الاستشراق والمدرسة الإصلاحية، ومن سبقهم من جيل التغريب، لقد رددوا ما قاله أسلافهم،

---

(١) الإسلام في وجه التغريب: أنور الجندي (ص ٥ ـ ١٢).

(٢) الغارة على العالم الإسلامي /ص ٨٠.

تحت مزاعم التجديد ومن ذلك:

ـ محاولاتهم في تطوير الدين، واعتماد العقل حاكماً يقدم على النصوص الشرعية.

ـ واختلاق الفصل بين الفقه والشريعة، وزعم التجديد في العلوم المعيارية: كأصول الفقه والحديث والتفسير، مع متابعة الهجوم على السنة النبوية والأحاديث الشريفة.

ـ العمل على تشويه التاريخ الإسلامي، وتمجيد الفترات المظلمة من هذا التاريخ، مع قصرهم الجهاد على جهاد الدفع فقط...

ـ دعوتهم المبطنة إلى العلمانية وفصل الدين عن الدولة.

إلى كثير من الأمور التي كانت مجال الباب الثالث من هذا الكتاب[1].

ومما سنفصله في الفصلين القادمين إن شاء الله تعالى، مع بيان حكم الإسلام في هذه الانحرافات، سواء في العقيدة أو غيرها.

---

(١) انظر: التجديد العصراني: مزاعم ومنطلقات / الباب الثالث ص ٢١٥.

الفصل الثالث

العصرانية: مخاطر ومتاهات

١ ـ اضطراب مفهوم الولاء والبراء.

٢ ـ التشكيك في القرآن والوحي.

٣ ـ إنكار السنة كلياً أو جزئياً.

٤ ـ موقفهم من عالم الغيب.

٥ ـ التطاول على أصحاب رسول الله ﷺ.

٦ ـ متاهات عصرانية لتشويه تاريخ الأمة وتراثها.

١ ـ اضطراب مفهوم الولاء والبراء لدى العصرانيين(*)

في الأبواب الماضية، لاحظنا مدى افتتان العصرانيين، ـ في القديم والحديث ـ بحضارات دخيلة وثنية أو شركية، إعجاباً وتمجيداً، أو اتباعاً وانصياعاً.

لقد أراد بعضهم أن ينقل إلينا حضارة الغرب، حلوها ومرها، خيرها وشرها، وحاول آخرون تحطيم كل الحواجز بين الإسلام وغيره من الأديان الكافرة أو المشركة، ومن ذلك الأفكار الغريبة والصلات المشبوهة، التي تحدثنا عنها في الفصل السابق.

فمثلاً يرفض الدكتور محمد عمارة تقسيم الناس على ذلك الأساس المتخلف، إلى مؤمنين وكفار، لأن ذلك التقسيم قد ارتبط بالعصور الوسطى، عصور الظلام، كما يزعم.

وينعي الدكتور كمال أبو المجد على الذين يسرفون في القول بتمييز الإسلام عن غيره، كاليهود والنصارى، فذلك مخالف للقرآن ذاته ـ كما يزعم ـ.

ويقول فهمي هويدي: «إنه ليس صحيحاً أن المسلمين صنف متميز

(*) ينظر في كتاب نواقض الإيمان: د. عبد العزيز العبد اللطيف / ص ٣٥٨ ـ ٣٩٠، والولاء والبراء لمحمد سعيد القحطاني.

ومتفوق لكونهم مسلمين، وليس صحيحاً أن الإسلام يعطي أفضلية لهم، ويخص غيرهم بالدونية لأنهم كفار»[1].

وفي ذلك دعوة لمبدأ الإنسانية الماسوني، وهو صورة واضحة من صور الولاء للكفار، لأنه يكسر التميز الذي يبنى عليه الولاء والبراء، والحب والبغض حسب المقياس الإسلامي الصحيح[2].

لقد أراد العصرانيون تحطيم الفوارق بين الأديان باسم «وحدة الأديان» أو «زمالة الأديان» للتوصل إلى (دين عالمي) يتآخى فيه الناس جميعاً، وفي ذلك تسويغ لاتباع غير دين الإسلام، ومن اعتقد أنه يسعد في الخروج على شريعة محمد ﷺ فهو كافر»[3].

يقول ابن تيمية رحمه الله: «ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين، أن من سوّغ اتباع غير دين الإسلام واتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ، فهو كافر، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب»[4].

«إن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية، كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان»[5].

* * *

---

(١) مجلة العربي الكويتية: العدد (٢٦٧) ربيع الأول/ ١٤٠١ هـ/ ص ٤٩ من مقال لفهمي هويدي بعنوان «المسلمون والآخرون».

(٢) الولاء والبراء: د. محمد سعيد القحطاني، ط ١ دار طيبة/ (ص ٤٢١) الهامش. وانظر: دعوة العصرانيين إلى وحدة الأديان ـ الباب الثاث من هذا الكتاب ص ٣٠٣.

(٣) ينظر تفصيلاً لذلك: الدعوة إلى وحدة الأديان، الباب الثالث، ص ٣٠٣.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٨/ ٥٢٤.

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة: (٢/ ٨٥) للبحوث العلمية والإفتاء/ جمع أحمد الدويش، ط ١/ ١٤١١ هـ/ مطبوعات دار الإفتاء.

فالولاء والبراء من قضايا العقيدة الأساسية، إذ أن موالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا.

والولاء والبراء من شروط الإيمان، ويعتبران من أوثق عرى الإيمان، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ (المائدة: ٨٠ ـ ٨١).

وقال ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله»[(١)].

وقد أكد العلماء على هذا المعتقد لأهميته: يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «فهل يتم الدين، أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله، والبغض في الله؟!..»[(٢)].

ويقول الشيخ حمد بن عتيق: «فأما معاداة الكفار والمشركين، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرّم موالاتهم، وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر، ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»[(٣)].

والولاء للمؤمنين، يكون بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم والنصح لهم والدعاء لهم، والسلام عليهم، وزيارة مريضهم..»[(٤)].

«والبراءة من الكفار تكون ببغضهم ديناً، ومفارقتهم وعدم الركون

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني/ حديث رقم (١٧٢٨).

(٢) رسالة أوثق عرى الإيمان: ص ٣٨/ الطبعة الأولى ـ دار طيبة الرياض / ١٤٠٩ هـ.

(٣) مجموعة التوحيد / ص ٢٦٣، المطبعة السلفية ـ القاهرة / ١٣٧٥ هـ.

(٤) انظر تفصيلاً لذلك: أوثق عرى الإيمان / ص ٤٩ ـ ٥١/ والولاء والبراء لمحمد سعيد القحطاني، والموالاة والمعاداة للجلعود.

إليهم، أو الإعجاب بهم، والحذر من التشبه بهم، وتحقيق مخالفتهم شرعاً، وجهادهم بالمال واللسان والسنان، ونحو ذلك من مقتضيات العداوة في الله»[١].

● وجاء النهي عن التشبه بالكفار حرصاً على حماية المجتمع الإسلامي، إذ تجتاحه اليوم موجة من التبعية الجارفة، لأن ضعاف النفوس يرون أن التشبه بالغرب هو سبيل التقدم والرقي. قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[٢].

● فمن الموالاة العملية التي تناقض الإيمان: التشبه المطلق بالكفار، أو التشبه بهم فيما يوجب الكفر والخروج عن الملة، وإن المشاركة للكفار في الهدي الظاهر.. وإن كان مباحاً، تؤول إلى مشاركة ومشابهة في الأخلاق، وموالاة في الباطن[٣].

● وهنالك صور كثيرة لموالاة الكفار من أبرزها[٤]:

- الرضى بكفر الكافرين، أو الشك بكفرهم، أو تصحيح مذهب من مذاهبهم الكافرة، والإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، كالإيمان بالشيوعية أو الاشتراكية، وبالديمقراطية نظاماً، أو العلمانية دستوراً ومنهجاً.

- ومن ذلك فصل الدين عن الدولة، أو اتخاذهم أعواناً وأنصاراً.

- ومن ذلك مناصحتهم والثناء عليهم، ونشر فضائلهم، وهذا ما

---

(١) انظر تفصيلاً لذلك: أوثق عرى الإيمان / ص ٤٩ - ٥١/ والولاء والبراء لمحمد سعيد القحطاني، والموالاة والمعاداة للجلعود.

(٢) أخرجه أبو داود: ٤/ ٣١٤، ح (٤٠٣١)، وأحمد: ٢/ ٥٠ وحسنه الألباني في الجامع الصغير (٦٠٢٥).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ١/ ٧٩ - ٨١/ ت: ناصر العقل، ط/ أولى/ ١٤٠٤ هـ، مكتبة الرشد / الرياض.

(٤) ينظر: نواقض الإيمان، د. عبد العزيز العبد اللطيف، ط دار الوطن (ص ٣٦٠ - ٣٧٠)، والولاء والبراء: محمد بن سعيد القحطاني ص ٢٣٢ - ٢٤٦.

نلاحظه من نشر فضائل المستشرقين، وأنهم أصحاب المنهج العلمي السديد، واتهام الإسلام بالرجعية والجمود والتأخر عن مسايرة الركب الحضاري.

- ومن أطاع الكفار في التشريع والتحليل والتحريم، وأظهر الموافقة في ذلك، فهو كافر وخارج عن الملة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[1].

● إن الذين تشبهوا باليهود والنصارى في هديهم، وحاولوا التمرد على تعاليم شريعتنا، و«زعموا أن البشرية بلغت سن الرشد ولا بد من رفع وصاية السماء عنها، ولها أن تباشر شؤونها بنفسها، وأن الوحي علماني في جوهره، والدينية طارئة عليه»[2]، قد تمردوا على خالقهم جل وعلا.

لقد عرفنا مآل هذه الآراء في ميزان الإسلام، وفي ضوء عقيدة الولاء والبراء، وذلك إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

يظن هؤلاء أنهم يقلدون أساتذتهم من المستشرقين، وأن هذا من التجديد المباح المقبول في الإسلام، إن هؤلاء من البساطة بمكان، ومن التبعية الذليلة بما لا يحسدون عليه.

وفي هذا يقول الأستاذ محمد أسد، بعد إسلامه، ومعرفته العميقة برواسب مدنية الغرب وأوضارها:

«إن السطحيين من الناس، يستطيعون فقط، أن يعتقدوا أنه من الممكن تقليد مدنية ما، في مظاهرها الخارجية من غير أن يتأثروا بروحها..

إن المدنية ليست شكلاً أجوف فقط، ولكنها نشاط حي، وفي اللحظة التي نبدأ بتقبل شكلها، تأخذ مؤثراتها الفعالة تعمل فينا، ثم تخلع على

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.

(٢) مقتطفات من أقوال: محمد عمارة، وحسن حنفي، ومحمد أحمد خلف الله/ ينظر الباب الثالث/ فصل الدين عن الدولة/ من هذا الكتاب ص ٢٧٣.

اتجاهنا العقلي كله شكلاً معيناً، ولكن ببطء، ومن غير أن نلحظ ذلك»[1].

ولقد قدر رسول الله ﷺ هذا حق قدره حين قال: «من تشبّه بقوم فهو منهم»[2].

(١) الإسلام على مفترق الطرق: ص ٨١، الطبعة الثامنة / ١٩٧٤ م/ دار العلم للملايين.

(٢) سبق تخريجه.

٢ ـ التشكيك في كتاب الله والوحي المنزل

قد يفاجأ القارىء بجرأة بعض من ينتسبون إلى الإسلام، على كتاب الله تشكيكاً ونقداً.. ولم يسبقهم إلى ذلك إلا مسيلمة الكذاب في القديم، وترهات المستشرقين من اليهود والنصارى في الحديث.

● فالدكتور **زكي مبارك** في كتابه «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» يرى الدعوة إلى نقد القرآن، وإنكار إعجازه بل يقول: «والقرآن نثر جاهلي، والسجع فيه يجري على طريقة الجاهلية حين يخاطب القلب والوجدان، ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات، ومواقف الخوف والرجاء، سوراً مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنية»[١].

فالكاتب هنا يعتقد أن الرسول هو الذي أنشأ القرآن ورواه.

● **ومحمد أحمد خلف الله** سار في رسالته الدكتوراه، على طريقة أساتذته من ملاحدة المستشرقين في إثبات التناقض في القرآن، وأن أخباره لا يعول عليها في حقائق التاريخ.

يقول في رسالته: «القرآن يتقول على اليهود، ويتقول أموراً لن تحدث، ويقرر أمراً خرافياً أو أسطورياً، ثم يعود فيقرر نقيضه ويزيد وينقص بحكم الحرية الفنية»[٢].

---

(١) مجلة منار الإسلام: من مقال بعنوان «مؤلفات في الميزان» للأستاذ محمد أحمد الغمراوي، (ص ٨٠) وما بعدها.

(٢) مجلة منار الإسلام / عدد شعبان/ ١٤٠٤ هـ/ ص ٧٥/ ورسالته هي: «الفن القصصي في القرآن».

«ويرى أن القصة القرآنية هي من باب التمثيل، وهو ضرب من فنون البيان العربي، يعتمد على الواقع وعلى العرف والخيال.. ويرى فيها اللون الأسطوري، ولا يلزم في الأشخاص أن يكونوا وُجدوا، ولا في الحوار أن يكون قد صدر»[١].

وقد دمغ الشيخ محمود شلتوت هذه الرسالة بالكفر والجهل والفساد، في تقريره حولها، وحُكم على الرسالة بالمنع والرفض.

ولذلك أطلقت صحيفة الفتح، لقب شيخ الملاحدة على أحمد لطفي السيد، مدير الجامعة المصرية الذي كان يحتضن هذه الاعتداءات على كتاب الله جل وعلا[٢].

● أما **الدكتور طه حسين**: فقد كان له قصب السبق في هذه الردة.

ـ قال وهو يملي على طلابه في كلية الآداب: «إن في القرآن أسلوبين مختلفين كل الاختلاف، أحدهما جاف مستمد من البيئة المكية، ففيه تهديد ووعيد وزجر وعنف، وغضب وسباب ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، تغير الأسلوب بحكم البيئة أيضاً، فقد كان هنالك اليهود، وبينهم التوراة، فأصبح الأسلوب ليناً وديعاً، مسالماً تلوح عليه أمارات الثقافة والاستنارة»[٣].

أي أن القرآن من وضع الرسول، يتغير أسلوبه حسب البيئة، وهو في مواطن أخرى كان يشير إلى مصادر للقرآن عند اليهود والنصارى، وشعر أمية بن أبي الصلت[٤].

---

(١) الفن القصصي في القرآن: الطبعة الرابعة المعدلة / ١٩٧٢ م/ ص ١٥٣، ١٧١.
(٢) مجلة الفتح: ج ٢/ ص ٢٦٨/.
(٣) صحيفة الفتح: ج ٦/ ٦٤٦.
(٤) ينظر كتابه: في الأدب الجاهلي / وطه حسين عميد التغريب في الأدب العربي / الباب الثاني من هذا الكتاب ص ١٦٣ وقد أنكر قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام والآيات المتعلقة في بنائهما الكعبة.

● ويرى **الدكتور محمد عابد الجابري**: «أن الوحي سلطة مرجعية، تضايق الحاضر، وتنافس المستقبل والجديد».

فهو ينكر أن يكون هنالك وحي، وإن آمن به، فهو يعتبره وليد زمانه، أي هو جزء من التاريخ أو تجربة تاريخية»[١].

هذه نماذج من أقوال حملة التشكيك العصراني في كتاب الله.. **فما حكم من شك في شيء من القرآن؟!**[٢].

- قال ابن قدامة: «ولا خلاف بين المسلمين أجمعين، أن مَنْ جحد آية، أو كلمة متفقاً عليها، أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر»[٣].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله»[٤].

- وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المراء في القرآن كفر»[٥].

ومما قاله الخطابي في بيان هذا الحديث: «أنه الشك فيه». كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ (هود ١٧)، أي في شك، ويقال: بل المراء هو الجدال المشكك فيه.

- وقال القاضي عياض: «اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف، أو بشيء منه، أو جحده، أو حرفاً منه أو آية، أو كذب به أو بشيء

---

(١) الخطاب العربي المعاصر: (ص ٥٥ - ٥٦) نقلاً عن ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي.

(٢) انظر: نواقض الإيمان: (ص ١٩٨ - ٢٠٧) د. عبد العزيز العبد اللطيف.

(٣) حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة / ص ٣٣، طبعة أولى/ ١٤٠٩ هـ/ - مكتبة الرشد الرياض.

(٤) السابق ص ٣٣.

(٥) أخرجه أبو داود في السنة باب النهي عن الجدال ٥/ ٨، وانظر صحيح الجامع الصغير (٦/ ١٣).

منه. . . . أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر عند أهل العلم بإجماع»[1].

قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (فصلت: ٤٢).

وقال ابن عبد البر: «. . . إن من دفع شيئاً مما في مصحف عثمان كفر»[2].

وكذلك يكفر من طلب تناقض القرآن، أو الاستهانة بحرمته.

«فمن وُجِدَ منه امتهان للقرآن، أو طلب تناقضه، أو دعوى أنه مختلف، أو مقدور على مثله، أو إسقاط لحرمته لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الحشر: ٢١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)[3].

ـ وبذلك يظهر لنا مدى الردة التي وقع فيها بعض هؤلاء الكتاب من دعاة التغريب والتجديد.

---

(١) انظر: نواقض الإيمان / ص ٢٠٣.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لابن عبد البر، ٤/ ٢٧٩، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمغرب.

(٣) نواقض الإيمان / ٢٠٧.

٣ ـ إنكارهم للسنة كلياً أو جزئياً

من أكبر ضلالات هذه المدرسة، محاولة إنكارهم للسنة النبوية، ومن ثم دعوتهم لعدم الاحتجاج بالحديث الشريف، وخاصة في المعاملات، ذلك لأن نصوص السنة والأحاديث الشريفة وقفت حجر عثرة أمام رأيهم لتطوير الشريعة، وتجاوز تراث الأمة في فقه علمائها.

ومن محاولاتهم المشبوهة للتشكيك في السنة.

ـ أنهم قسموها إلى سنة تشريعية وأخرى غير تشريعية، ولا يؤخذ بالسنة غير التشريعية، أي في أحكام المعاملات والسياسة وشؤون المجتمع.

ـ والتشكيك في صحة بعض ما في الصحيحين، ورفض أحكام حديث الآحاد وخاصة في العقيدة.

ـ التشكيك في منهج المحدّثين، ورفض الأحاديث التي لا توافق عقولهم[1].

والآن ما حكم من يرد سنة رسول الله ﷺ؟

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[2].

وروى ابن ماجه بسنده إلى المقدام بن معد يكرب الكندي أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من

(١) ينظر تفصيلاً لذلك: موقفهم من السنة النبوية / الباب الثالث من هذا الكتاب/ ص ٢٢٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٥.

حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله»[١].

فالقرآن والخبر الصحيح شيء واحد، وحكمهما واحد في وجوب الطاعة لهما. قال ابن حزم رحمه الله: «والقرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض، وهما شيء واحد، في باب وجوب الطاعة لهما». قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر: ٩)[٢].

وقال الشيخ ناصر الألباني: «إن القول بأن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقيدة قول مبتدع محدث لا أصل له في الشريعة الإسلامية الغراء، وهو غريب عن هدي الكتاب وتوجيهات السنة.. لقد قال بهذا الكلام جماعة من علماء الكلام... وتلقاه عنهم بعض الكتاب المعاصرين بالتسليم دون مناقشة ولا برهان...

وإذا أخذ بهذا القول، يستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عنه ﷺ لمجرد كونها في العقيدة».

إن التشكيك في بعض الأحاديث الصحيحة، ولو كانت في البخاري ومسلم فرية عظيمة، تولى كبرها بعض الإصلاحيين، ومحمود أبو رية وأحمد أمين، ومن تابعهم على ذلك مثل: حسين أحمد أمين، ومحمد عمارة وكثير من العصرانيين الجدد[٣].

والحقيقة إن إنكار حجية السنة، والادعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده، لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة[٤].

---

(١) سنن ابن ماجه (المقدمة) وأخرج نحوه الترمذي: كتاب العلم وقال هذا حديث صحيح ٥/ ٣٦ ـ ٣٧/ وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني ٦/ ٣٦٥ رقم (٨٠٣٨).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: ١/ ٩٨، تقديم إحسان عباس.

(٣) ينظر: أقوالهم في الباب الثالث/ موقف العصرانيين من السنة النبوية ص ٢٢٠.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي / ص ١٦٥.

وقال ابن تيمية رحمه الله: «فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن»[1].

هذا وإن إنكار حجية السنة، إنكار للركن الثاني من أصول هذا الدين وأركانه، مما فسح المجال أمام العلمانيين وأشباههم لتحكيم القوانين الوضعية بدلاً من الكتاب والسنة. وهي دعوة ضالة يقول ابن حزم في أشباه هؤلاء: «واتفقوا على أن من شك في التوحيد أو النبوة، أو في **حرف مما أتى به عليه السلام، أو في شريعة** أتى بها عليه السلام، مما نقل عنه نقل كافة، فإن من جحد شيئاً مما ذكرناه، أو شكّ في شيء منه، ومات على ذلك فإنه كافر مشرك مخلد في النار أبداً»[2].

وهنالك أمور أخرى في العقيدة، أنكرها هؤلاء العصرانيون، سيأتي بيانها.

---

(١) الفتاوى: ابن تيمية، ١٨/ ٧٤.

(٢) مراتب الإجماع: لابن حزم، ص ١٧٧ / دار الكتب العلمية بيروت.

٤ ـ موقف العصرانيين من عالم الغيب[١]

● الإيمان بالغيب من أهم صفات عباد الله المؤمنين، أثنى الله عليهم بقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ (سورة البقرة: ١ ـ ٣).

والغيب هنا مالا يقع تحت الحواس، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد[١].

ويقول ابن تيمية: «وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب... ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته والجنة والنار»[٢].

هذا الإيمان هو الذي يميز به بين المسلم والكافر لأنه تصديق مجرد لله ورسوله، والمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، وأخبر به رسوله، سواء شاهده أو لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة لم تهتد إليها، فكذبوا بمالم يحيطوا بعلمه، ففسدت عقولهم[٣].

ومن الإيمان بالغيب: الإيمان بالملائكة عليهم السلام، وهو أحد أركان الإيمان، ومن جحد الملائكة كفر لتكذيبه القرآن.

---

(١) ينظر: نواقض الإيمان: (ص ٢٠٨ ـ ٢١١)، د. عبد العزيز العبد اللطيف.
(٢) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني/ طبع القاهرة.
(٣) مجموع الفتاوى: ١٣/ ٢٣٣.
(٤) تفسير السعدي: ١/ ٤١/ ت محمد زهري النجار/ المؤسسة السعيدية الرياض.

ومن الإيمان بالغيب: الإيمان بوجود الجن أيضاً يقول القرطبي: «وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن اجتراء على الله وافتراء، والقرآن والسنة ترد عليهم»[(١)].

* * *

العصرانيون وعالم الغيب:

● وقد اعتبر د. حسن حنفي أنه «يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلماً حقاً في سلوكه»[(٢)].

ويقول: «ألفاظ الجن والملائكة والشياطين، بل والخلق والبعث والقيامة، ألفاظ تتجاوز الحس والمشاهدة، ولا يمكن استعمالها، لأنها لا تشير إلى واقع، ولا يقبلها كل الناس»[(٣)].

ويرى زكي نجيب محمود أن الغيب والإيمان به خرافة...

وقد رد هؤلاء العصرانيون أحاديث كثيرة تتعلق بالغيب والجن وأخبار الآخرة، وأحاديث البرزخ فهي أحاديث آحاد، لا يؤخذ منها عقيدة ـ برأيهم ـ.

● وقد سبقهم إلى ذلك **المعتزلة والإصلاحيون**[(٤)]. فأنكر النظام وجود الجن، ورد المعتزلة كثيراً من العقائد الثابتة عن رسول الله ﷺ، كعذاب القبر والإيمان بالحوض والصراط والميزان والشفاعة، ورؤية الله في الآخرة، وردوا الأحاديث الواردة فيها ولو كانت في الصحيحين.

● وحمل الإصلاحيون النصوص القرآنية الصريحة حول أحوال يوم القيامة على أنها تمثيل وتصوير، لا حقيقة واقعة، فحمل عرش ربك، تمثيل

---

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): ٦/١٩ لمحمد بن أحمد القرطبي/ ط/ أولى ـ ١٣٥٧ هـ ـ دار الكتب المصرية/ القاهرة.

(٢) قضايا معاصرة: حسن حنفي (ص ٩١ ـ ٩٣).

(٣) التراث والتجديد: ص ٦٤.

(٤) ينظر: الباب الأول من هذا الكتاب ص ٥٤.

لكمال عزته، وأخذ الكتب باليمين أو الشمال تعتبر من باب التمثيل والتصوير لا الحقيقة، فالتناول باليمين يراد به الاستبشار والابتهاج، والتناول بالشمال يراد به العبوس[1].

وطبيعي أن يعجب المستشرقون بهذا الاتجاه عند الإصلاحيين. يقول المستشرق جيب مهاجماً الاتجاه السلفي: «لكن حرْفية هذا الاتجاه ولا سيما فيما يتعلق بأوصاف الجنة والنار، وكذلك الإسهاب في الحديث عن العجائب، يشكل مانعاً لدى الروح التحررية الجديدة»[2].

* * *

فالإيمان باليوم الآخر[3] ـ كما هو معلوم ـ أحد أركان الإيمان الستة، ومعنى ذلك هو التصديق الجازم بمجيئه والعمل بموجب ذلك، ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وتفاصيل الحشر ونشر الصحف، ونصب الموازين، وبالصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار[4].

وذلك ما أوله أو أنكره الإصلاحيون، وتلامذتهم من العصرانيين، كما لاحظنا بعض آرائهم آنفاً.

● يقول ابن تيمية رحمه الله: «الأكل والشراب في الجنة ثابت بكتاب الله وسنة رسوله، وإجماع المسلمين.. كما وصف ذلك في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، ولم يخالف في ذلك إلا أحد

---

(١) منهج المدرسة العقلية في التفسير: فهد الرومي /ص ٥٣٢/.

(٢) الاتجاهات الحديثة في الإسلام: جيب /ص ١٠٤/.

(٣) ينظر: نواقض الإيمان: (ص ٢٣٠ ـ ٢٣٥).

(٤) نواقض الإيمان /ص ٢١٩، وينظر: العقيدة الواسطية/ بشرح محمد خليل الهراس / ص ١٣٢ ـ ١٤٣/.

رجلين: إما كافر، وإما منافق»[1].

وإذا تقرر ذلك: «فإن ما يناقض هذا الإيمان له عدة صور منها: إنكار الجنة والنار، والقول بأن الوعد والوعيد تخييل للحقائق.. كما يقول به ملاحدة الفلاسفة..»[2].

وقد أنكر الإصلاحيون وتلامذتهم كثيراً مما سبق باسم التجديد، ومطابقة عالم الغيب لعقولهم القاصرة.

هذا وإن إنكار نصوص الوعد والوعيد وصرفها عن ظاهرها يتضمن طعناً وتكذيباً لما جاء الأنبياء به.

يقول القاضي عياض، موضحاً خطر هذه الدعوة عند الباطنية وغلاة الصوفية ـ ومن شابههم ـ: «إن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع، وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار، ليس شيء منها على مقتضى التصريح لقصور أفهامهم، فمضمون مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به»[3].

---

(١)(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٤/ ٣١٣، ٣١٤/ .

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ت: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي / بيروت ٢/ ١٠٦٨/ .

٥ ـ التطاول على أصحاب رسول الله ﷺ

● قبل البدء في هذا الموضوع، أحب أن أبيِّن **الواجب علينا نحو الصحابة** رضي الله عنهم[١].

«يتوجب علينا أن نحبهم ونجلهم، ونترضى عنهم، وننزلهم المنزلة اللائقة بهم، من غير إفراط ولا تفريط، كما ينبغي أن تسلم ألسنتنا وقلوبنا نحوهم، وأن نمسك عما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين»[٢].

يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (التوبة: ١٠٠).

وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه»[٣].

قال الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بالخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان،

---

(١) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية: ص ٤٠٥ ـ ٤٠٩. د. عبد العزيز العبد اللطيف.

(٢) السابق: (ص ٤٠٥).

(٣) أخرجه البخاري، ك فضائل الصحابة (٧/ ٢١) ح (٣٦٧٣)، ومسلم ك فضائل الصحابة (٤/ ١٩٦٧)، ح (٢٥٤٠).

وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[1].

أمّا ما شجر بينهم فيذكر ابن بطة المسلك الصحيح اتجاههم فقال: «ونكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليهم بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه ﷺ... ولا ننظر في سائر المنازعات التي جرت بينهم، فعلى ذلك اتفاق سادات علماء هذه الأمة»[2].

وقال ابن حبان رحمه الله: «من شهد التنزيل وصحب الرسول، فالثلب لهم غير حلال، والقدح فيهم ضد الإيمان، والتنقص لأحدهم نفس النفاق لأنهم خير الناس قرناً بعد رسول الله ﷺ»[3].

* * *

إلا أن بعض من عميت بصائرهم، تطاولوا وخاضوا في أعراض الصحابة، ولا نقصد الفرق الضالة كالخوارج والرافضة، وإنما نقصد مَنْ أصبحوا لمعاصرينا قدوة ومثلاً، كالمعتزلة وبعض رجال المدرسة الإصلاحية[4].

لقد طعن كبراء المعتزلة بالصحابة وشنعوا عليهم، ورموهم بالكذب ونسبوا إليهم التناقض.

قال عمرو بن عبيد أحد كبرائهم: «والله لو أن علياً وعثمان وطلحة والزبير، شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزته»[5].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ٨٦٩/٢، الإمام الطحاوي، تحقيق عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط، طبعة أولى /١٤٨ هـ مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢) الإبانة الصغرى بإيجاز: (ص ٢٦٨، ٢٦٩) نقلاً عن كتاب نواقض الإيمان / ص ٤٠٧.

(٣) الضعفاء والمتروكين من المحدثين: محمد بن حبان، تحقيق محمد إبراهيم زايد.

(٤) راجع إن شئت لما كتبناه عن هاتين المدرستين/ الباب الأول (ص ١١ - ٧٤).

(٥) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: جـ ١٢ / ١٧٦، ١٧٨.

وقال عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: «ما تصنع بسمرة، قبح الله سمرة»[1]. قبّح الله أصحاب البدع والضالين المنحرفين. وقد رمى إبراهيم النظام أبا بكر رضي الله عنه بالتناقض، وطعن بمثل ذلك في علي وابن مسعود رضي الله عنهما[2].

وشددوا الحملة على الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، واتهموه بالكذب وسوء الحفظ، وتبعهم في ذلك المستشرق اليهودي (جولدزيهر) تشكيكاً وتكذيباً بمكانة الصحابي الجليل، وتبعهم في ذلك بعض الكتاب: مثل أحمد أمين، ومحمود أبي رية، وحسين أحمد أمين، وعدد من الكتاب العصرانيين الجدد[3].

* * *

فما حكم سب الصحابة شرعاً؟![4]

نقل بعض النصوص وهي غنية عن التعليق:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «قال رسول الله ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[5].

فسب الصحابة كبيرة من كبائر الذنوب لما ترتب عليه من الوعيد باللعنة، ومن ثم فهو خروج عن الملة، لما علم تحريمه من الدين بالضرورة.

وقال الإمام مالك رحمه الله: «من شتم أحداً من أصحاب محمد ﷺ، أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن

---

(١) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: جـ ١٢ / ١٧٦، ١٧٨.
(٢) راجع تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة / ص ٦٧ وما بعدها.
(٣) راجع ـ إن شئت ـ موقف هؤلاء من السنة النبوية، فيما كتبناه في الأبواب السابقة.
(٤) ينظر نواقض الإيمان: (ص ٤٠٩ ـ ٤١٥).
(٥) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢٣٤٠).

قال: كانوا على ضلال وكفر قتل»[1].

- «فإن كان مستحلاً لسب الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر»[2].

قال النووي فيهم: «اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين»[3].

وقد فطن الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله إلى ذلك التشويه في سيرة الصحابة، وخطره منذ القديم فقال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول، عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم الزنادقة»[4].

ورغم هذه الحملة المسعورة ضد السنة النبوية، والطعن المتعمد في أصحاب رسول الله ﷺ، وفي جيل الذروة السامقة، يزعم أصحاب هذا الفكر، بأنهم أصحاب الاستنارة والتجديد، وأن العصور الوسطى - أي القرون الثلاثة المفضلة - هي عصور ظلام ورجعية وتخلف.

إنها مؤامرة ضخمة يُجنّد لها العديد من أصحاب الأقلام المشبوهة، ولكن يا ليت قومي يعلمون.. فلا يفسحون لهم المجال في وسائل الإعلام المختلفة، كيلا يسمموا الأفكار باسم الإسلام التقدمي المستنير!!

---

(١) الشفا: ٢/ ١١٠٧.

(٢) انظر الصارم المسلول لابن تيمية: ص ٥٦٩، ٥٧١، ت: محيي الدين عبد الحميد / دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/١٤٩.

(٤) الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي /ص ٩٧/ الطبعة الثانية - مطبعة دار التراث.

٦ ـ متاهات عصرانية لتشويه تاريخ الأمة وتراثها

إضافة إلى المخاطر العقدية التي وقع فيها العصرانيون، وهي تتراوح ما بين الفسق والردة ـ كما عرفنا ـ.

هنالك البلبلة الفكرية، ومحاولة اقتلاع الأمة من جذورها ضمن متاهات في دروب ملتوية في حياة الأمة، فكراً وتاريخاً وفقهاً[١].

● لقد تعالوا على **تراث أمتهم**، وأرادوا ربطها بعلوم الغرب النافع منها والضار..

يقول عبد اللطيف غزالي: «أما علوم السلف فهي شيء متخلف غاية التخلف بالنسبة لما لدينا، ولا أقول لما لدى الأوروبيين من هذه العلوم».

ويعتز زكي نجيب محمود بأن آدابنا ومعارفنا التقليدية، ما هي إلا مادة للتسلية في ساعات الفراغ، وخليق أن يقذف بها في النار.

● ويصور اليسار الإسلامي وبقية العصرانيين الرجوع إلى السلفية في العقيدة والفكر، على أنها ردة إلى الوراء وعقبة أمام التغيير والتجديد، يصورها على أنها قاتمة السواد، ظلامية منفرة، تدعو إلى السخرية والاستهزاء ـ فهم يدعون إلى التحرر من كل سلطة إلا سلطة العقل والواقع.

● وحتى اللغة تعتبر عند حسن حنفي لغة قديمة، لغة دينية أشبه بلغة اللاهوت، تشير إلى موضوعات دينية خالصة مثل: دين ـ رسول ـ نبوة، وإن في العصر ألفاظاً تجري مجرى النار في الهشيم مثل: التقدم والحركة

---

(١) استخلصت هذه الفقرة من مواقف العصرانيين ومن خلال أبواب الكتاب السابقة.

والتحرر والجماهير، وهذه يمكن أن تعبر عن ثقافة وطنية[1].

إن للعصرانية ثورة تريد التخلص من تراث الأمة وفكرها وماضيها، لإعادة بنائه على أسس غربية علمانية يعصف بهوية الأمة، ومقوماتها الأساسية، وتطوير الدين على طريقة اليهود والنصارى.

● وما فتىء البعض من هؤلاء يتهمون العصور الوسطى بالتخلف والرجعية، وهي وإن كانت كذلك في أوروبا، إلا أنها كانت تعني عصر الدعوة الإسلامية والقرون الثلاثة المفضلة وما بعدها.

ويرى بعضهم أن «أفكار السلف الصالح ونظمهم، قد يتجاوزها الزمن من جراء قضائها على الأمراض التي نشأت من أجلها، ولكن المرء لا يعرف اليوم تماماً كيف يعبد الله في التجارة أو السياسة أو يعبد الله في الفن»[2].

يتجاهل الكاتب هنا التراث الفقهي الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا تعرض لها في فقه المعاملات والسياسة الشرعية، حتى الفنون المحرمة، تعرضوا لها بالفتاوى المبنية على النصوص الشرعية.

ويقول الدكتور الترابي كذلك: «إن ما أفتى به الخلفاء الراشدون والمذاهب الأربعة في الفقه، وكل التراث الفكري الذي خلفه السلف الصالح في أمور الدين، هو تراث لا يلتزم به، وإنما يستأنس به في فهم سليم لشريعة تنزلت في الماضي على واقع متحرك، وهي تتنزل اليوم على واقع متحرك»[3].

بينما يقول ابن تيمية: «والمُرسَل إذا عمل به الصحابة حجة اتفاقاً».

● أما العلمانية فقد تبناها العصرانيون بلا مواربة بعد أن ألبسوها ثوباً من إسلامهم.

---

(١) ينظر التراث والتجديد: حسن حنفي / ص ١٢٩، ١٤٠.

(٢) تجديد الفكر الإسلامي / ص ٤٠، ٥٦/ د. حسن الترابي.

(٣) السابق ص (١٠٥).

وقد روجوا كذلك للاشتراكية والديمقراطية، بل والماركسية أحياناً. وذلك بعد أن شنوا حملة شعواء على فقه الأمة وأصولها الفكرية[1].

● **أما التاريخ الإسلامي**[2]: فقد عمل العصرانيون على تشويهه بما فاقوا بذلك، أعداء الأمة من اليهود والنصارى.. وإنه لأمر يدعو إلى الغرابة أن يصل العقوق بأبناء خير أمة أخرجت للناس، إلى هذا المستوى من العقوق!!

لقد فسروا الفتوحات الإسلامية بدوافع مادية، وشوهوا معاني غزوات الرسول وأصحابه، وشوهوا الخلافة محاولة في القضاء عليها إلى غير رجعة، وفسروا التاريخ تفسيراً قومياً مزوراً سواء في القرن الهجري الأول، أو خلال هجومهم على الفتوحات العثمانية، ناهيك عن غمزهم في انتصارات السلطان صلاح الدين، وأنها أتاحت للإقطاع بالظهور.

وقد مجد العصرانيون الفرق المنحرفة الضالة كالقرامطة والخوارج والرافضة وغلاة المعتزلة.. وأشادوا بثورة الزنج وبالدولة العبيدية ذات الأصل المجوسي، فقد ساروا في ذلك على هدي كتّاب المستشرقين أمثال بروكلمان وماسينيون. وقد اهتم الأخير بإحياء شخصيات منحرفة، كالحلاج وإخوان الصفا وابن عربي، وبقية فلاسفة المتصوفة، وردد العصرانيون كالببغاوات ما قاله سادتهم من المستشرقين.

● **وفي السيرة النبوية**: ردد دعاة التغريب آراء المستشرقين، وأنكروا من أجل ذلك المعجزات الصحيحة التي كانت لرسول الله ﷺ، سوى معجزة القرآن الكريم، وردوا من أجل ذلك أحاديث صحيحة في البخاري ومسلم.

ومن هذه الكتب كتاب «حياة محمد» لمحمد حسنين هيكل، يقول في منهجه: «إنه دراسة علمية على الطريقة الغربية خالصة لوجه الحق؟!».

---

(١) ستتحدث عن هذه القضايا في الفصل القادم إن شاء الله.

(٢) انظر: فصل تزوير التاريخ وتمجيد الشخصيات المنحرفة/ الباب الثالث ص ٢٨٥.

ومنها كتب طه حسين: الشيخان، وعلى هامش السيرة[1].

● **وفي الفقه**[2]: كان للعصرانيين شذوذات عجيبة خالفوا فيها الإجماع، وخرجوا على النصوص الشرعية القطعية، فقد أباحوا التعامل بالربا إذا لم يكن أضعافاً مضاعفة، وعطلوا الحدود فقالوا: لا رجم في الإسلام، ولا قطع لليد ولا جَلْدَ إلا بعد معاودة الجريمة وتكرارها.

وقد ظهرت فتاوى تبيح الإفطار في رمضان لأدنى عذر، وظهرت آراء تبيح الزواج المختلط بين المسلمين والكتابيين رجالهم ونسائهم، وآراء تحظر تعدد الزوجات، وتحذّر من الطلاق، وبذلك تحول الاجتهاد في آخر الأمر إلى تطوير للشريعة الإسلامية، يهدف إلى مطابقة الحضارة الغربية، ولو جحدوا نصوصاً من الكتاب والسنة.

● يقول الشيخ محمد الشنقيطي في هذه الفتاوى المنحرفة: «أما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض. كدعوى أن تفضيل الذَكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف».

«وكذلك كل دعوى تزعم بأن تعدد الزوجات ظلم، أو أن الطلاق ظلم، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية، لا يسوغ فعلها بالإنسان...» «فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وأديانهم كفر بخالق السماوات والأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها، وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى، ولن يكون معه مشرّع آخر تعالى علواً كبيراً»[3].

---

(١) ينظر: دراسات في السيرة النبوية: محمد سرور زين العابدين ص ٢٨٣ وبعدها، و(ص ١٥ ـ ٢٤٠).

(٢) انظر: شذوذات العصرانيين في ميادين الفقه المختلفة ـ الباب الثالث ص ٢٥٧.

(٣) أضواء البيان: ٤/ ٨٤، ٨٥، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب / بيروت.

● أليست دعوة هؤلاء هجينة غريبة، وداعية إلى متاهات في الفكر والتصور؟!.

وإلا فهل يبتغي هؤلاء الاستنارة كما يزعمون؟!

● إن العلم الشرعي الصحيح، والعودة إلى دراسة العقيدة السليمة، والتربية القويمة، التي تربط أبناء الأمة بسلفهم الصالح، كل ذلك من خير الوسائل حتى تنهض الأمة المسلمة من كبوتها، على بصيرة من الكتاب والسنة، لا على ما يريده أصحاب مزاعم التجديد التغريبي هؤلاء!.

الفصل الرابع

حقيقة العصرانية: دعوة إلى العلمانية

١ ـ العلمانية عند العصرانيين.

٢ ـ مفهوم العلمانية وحكمها شرعاً.

٣ ـ حكم من نحّى الشريعة، وأحل القوانين الوضعية محلها.

٤ ـ العلمانية والحصاد المرّ.

١ ـ العلمانية عند العصرانيين

من خلال أبواب هذا الكتاب، لاحظنا أن العصرانيين يلحون على تطوير الشريعة، ويسيرون مسرعين نحو تحكيم القوانين الوضعية وخاصة في قضايا المعاملات وسياسة الحكم، وشؤون المجتمع، ويقصرون أثر الدين على شعائر العبادة، ونواحي الروح.. ولقد سلكوا لتحقيق ذلك **سبلاً متعددة من أبرزها:**

● التفريق بين شريعة الله وشريعة الفقهاء، وزعمهم أن القوانين الوضعية لا تخالف الشريعة الإسلامية، وأن أكثر من تسعين في المائة من أحكام القانون الوضعي، لا تخالف أحكام الشريعة[١].

● دعواهم التوفيق بين الشريعة والقوانين الوضعية، وقد عقدت المؤتمرات من أجل تحقيق هذا الأمر[٢].

● تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية، وهو مبدأ يعتمد على التمييز بين ما هو إلهي، وما هو بشري في الدين، على طريقة النصارى[٣].

● مهاجمة نظام الخلافة باستمرار، واعتبروا أنه لا يوجد نظام سياسي في الإسلام، وأن رسول الله ﷺ، ما كان ملكاً ولا مؤسس دولة، ولا داعياً إلى ملك، وكانت الخلافة ولم تزل نكبة على الإسلام والمسلمين وينبوع شر وفساد ـ حسب زعمهم ـ[٤].

---

(١) ينظر كتاب الشريعة الإلهية: الأشقر /ص ١١١ ـ ١١٣/ وفي هذا الكتاب: المبحث الثالث/ ماذا وراء تطوير الفقه وأصوله/ الباب الثالث ص ٢٥٢.

(٢) الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية: د. الأشقر /ص ١١٣ ـ ١١٤/.

(٣) ينظر فصل الدين عن الدولة: الباب الثالث من هذا الكتاب ص ٢٧٣.

(٤) انظر: الإسلام وأصول الحكم، علي عبد الرازق /ص ١٤٩/.

ويرى محمد فتحي عثمان أن الخلافة الإسلامية كانت صورة تاريخية، ولم تعش طويلاً، فعلى المسلمين ألا يفكروا فيها مرة أخرى[(١)].

● ومن وسائلهم الترويج إلى الاشتراكية واليسار، والمطالبة بالديمقراطية الغربية وبالمجالس البرلمانية، بدلاً من الشريعة الإسلامية. «واليسار المسلم يتمسك بالديمقراطية، إذ هي حكم الله في المصالح والعلاقات الإنسانية، حيث لا يكون النص الإلهي الملزم القاطع»[(٢)].

● ومن ذلك زعمهم المستمر، أن الشريعة ثابتة والحياة متطورة، والثابت لا يفي بمتطلبات التطور، ومن ثم لا بد من إيجاد مصدر آخر للتشريع يعتمد على العلم العصري، والتجارب الإنسانية، مع الاحتفاظ للدين بدائرة التوجيه الروحي للأفراد، وهذا هو حال العلمانية[(٣)].

● تصريحات العصرانيين بتبنيهم للعلمانية خلال كتبهم ومقالاتهم، من ذلك ما يقوله حسن حنفي: «إن العلمانية هي أساس الوحي، والوحي علماني في جوهره، والدينية طارئة عليه» وقول محمد عمارة: «أما إسلامنا فهو علماني، ومن ثم فإن مصطلح العلمانية لا يمثل عدواناً على ديننا، بل على العكس يمثل العودة بديننا إلى موقفه الأصيل»، ويقول أيضاً: «فالسياسة والحكم والقضاء وشؤون المجتمع، ليست ديناً وشرعاً يجب فيها التأسي والاهتداء، بما في السنة من وقائع، لأنها عالجت مصالح هي بالضرورة متطورة ومتغيرة»[(٤)].

وكذلك فإن الدكتور محمد النويهي، يدعو إلى علمانية مغلفة بغلاف

---

(١) مجلة العربي: العدد «٢٦٧» ص ١٨، محمد فتحي عثمان.

(٢) مجلة المسلم المعاصر: محمد فتحي عثمان، العدد الافتتاحي، وينظر: ظاهرة اليسار الإسلامي / الباب الثالث من هذا الكتاب/ ص ٣٢٧.

(٣) العلمانية: د. سفر الحوالي / ص ٦٩٣/ ط أولى/ ١٤٠٢ هـ. دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع.

(٤) ينظر: الإسلام والسلطة الدينية، محمد عمارة ص ١٢٠/.

الدين، فيصرّح «بأن نصوص القرآن والسنة الخاصة بمسائل العقيدة والعبادة هي التي تقبل، أما غيرها في أي ناحية من نواحي التشريع، فتخضع للتعديل والتغيير والإضافة والحذف»[1] ـ.

وقد ذكرنا فيما سبق ما يعتقده كل من محمد عمارة ومحمد أحمد خلف الله: «من أن ا لبشرية قد بلغت سن الرشد، وقد آن لها أن تباشر شؤونها بنفسها بعيداً عن وصاية السماء»[2].

إذا لم تكن العلمانية هي ما يقوله العصرانيون. فماذا تكون؟!

والحقيقة: «إن الفاصل بين العلمانيين والعصرانيين إن وجد، رقيق جداً، وكأنهما وجهان لعملة واحدة، وإسمان لمسمى واحد ومصطلحان لمعنى واحد...

وقد استفاد العصرانيون مما واجهه العلمانيون من استنكار، فراحوا يغيرون ويبدلون في المسميات، ويتلاعبون بالألفاظ، ويبحثون عن الشبه والزلات، ليلبسوا العلمانية ثوباً إسلامياً مزوراً ويضفوا عليها صفة الشرعية، ويتمكنوا من التمويه على العوام، والتلبيس على أهل الإسلام ولو إلى حين..»[3].

* * *

٢ ـ مفهوم العلمانية وحكمها شرعاً

العلمانية مصطلح غربي، يعني (إقامة الحياة على غير الدين)، سواء كان ذلك بالنسبة للفرد أو للأمة.

---

(١) مجلة الآداب: عدد مايو / ١٩٧٠ م/.

(٢) الإسلام وقضايا العصر: محمد عمارة / ص ١٥/، والأسس القرآنية للتقدم محمد أحمد خلف الله ص ٤٤، ومقال في الطليعة القاهرية له / ١٩٧٥ م.

(٣) ص /١٠٣/ من كتاب مناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور الترابي: الأمين الحاج محمد أحمد.

وقد ساد هذا المذهب أوروبا كردة فعل على تسلط الكنيسة ومبادئها المحرفة، فكانت هروباً من واقع غربي، إثر صراع دام بين الكنيسة والعلم.

وكانت تطبيقات العلمانية في شؤون الحياة المختلفة:

فهنالك الفصل بين العلم والدين، أي علمانية العلم، وهناك علمانية الاقتصاد، وعلمانية الحكم، وعلمانية الأدب والفن.

وقد انتشرت بعض مظاهر العلمانية هذه، في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، بعد أن تخلت عن شريعتها السماوية[(١)].

فالعلمانية فكرة مستوردة، لا يشك في ذلك أعداؤها، ولا يماري فيه أحد دعاتها، ومعنى ذلك أنها ليست من إنتاج الإسلام، فهي بضاعة مستوردة، وعلينا أن ننظر في مدى حاجتنا إليها، أو عدم حاجتنا[(٢)].

وهي تعني - بداهة - الحكم بغير ما أنزل الله، وهذا هو معنى قيام الحياة على غير الدين، وهي - بداهة - نظام جاهلي، لا مكان لمعتقده في دائرة الإسلام، بل هو كافر بنص القرآن الكريم. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٣)] (المائدة: ٤٤).

وإلا فما الفرق بين قول قريش: يا محمد! اعبد آلهتنا سنة، ونعبد آلهتك سنة، وبين قول العلمانيين - لفظاً أو حالاً - نعبد الله في المسجد ونطيع غيره في المتجر أو البرلمان أو الجامعة؟! أهو شيء آخر، غير أن قسمة أولئك زمنية، وقسمة هؤلاء مكانية أو موضوعية؟![(٤)].

● وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله: «إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين منزلة ما

---

(١) ينظر: العلمانية، نشأتها وتطورها وأثرها: د. سفر الحوالي.
(٢)(٣) المرجع السابق: (ص ٦٤٧، ٦٨١).
(٤) العلمانية: (ص ٦٨٨).

نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ، ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين»[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة: «ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله، فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً، من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر».

● ومن الخطأ أن تنقل تجربة غريبة هجينة في التصور والاعتقاد إلى ديار المسلمين هكذا.

«إن الغلطة من الأصل هي محاولة وضع الإسلام وتطبيقاته على ميزان التجربة الأوروبية، واستخدام المصطلحات الغربية ذات الدلالات المحلية البحتة، كأنها اصطلاحات عالمية تصلح للتطبيق على أي شيء، وفي أي مكان، دون النظر إلى الفروق الجوهرية بين الاصطلاحات التي وضعها البشر في ظروف معينة، والمصطلحات التي أنزلها الله لتحكم الحياة، أو اجتهد المجتهدون بها، وهم ملتزمون بما أنزل الله»[2].

* * *

٣ ـ ما حكم من نحّى الشريعة وحكّم القوانين الوضعية؟ وما حكم من ساوى بين حكم الله تعالى وحكم الطاغوت بكل أشكاله؟!

سوف ننقل النصوص الضرورية لتبيان هذا الأمر، من الكتاب والسنة، وآراء العلماء المعتبرين عند هذه الأمة.

إن تنحية الشريعة عن شؤون الحياة، من أخطر وأبرز مظاهر الانحراف في مجتمعات المسلمين الحديثة[3].

---

(١) تحكيم القوانين / طبعة سنة ١٣٨٠ هـ/ مطابع الثقافة بمكة.

(٢) العلمانيون والإسلام: الأستاذ محمد قطب، ص ٥٩ /ط دار الوطن/ ١٤١٤ هـ.

(٣) ينظر: تفصيلاً لذلك «كتابنا الحياة الدينية في الجاهلية والإسلام» الباب الخامس. وكتاب (نواقض الإيمان) (ص ٢٩٤ ـ ٣٢٢).

فالله سبحانه وتعالى هو المنفرد في الحكم ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (يوسف: ٤٠).

ومن أشرك مع الله في حكمه فهو كالشرك في عبادته، كما قال الشيخ الشنقيطي: «الإشراك بالله في حكمه، والإشراك به في عبادته، كلها بمعنى واحد، فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله، وتشريعاً غير تشريع الله، كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن، كلاهما مشرك بالله»[١].

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ (النساء: ٦٥).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً»[٢].

ولا يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم، حتى ينتفي عنهم الحرج، وهو ضيق الصدر، مع التسليم التام والرضا الكامل.

* * *

فالإيمان اليقيني يوجد الانقياد لحكم الله تعالى، الذي هو أحسن الأحكام على الإطلاق ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠).

وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

«إلا أن طواغيت البشر قديماً وحديثاً، قد نازعوا الله في حق التشريع

---

(١) أضواء البيان: الشيخ الشنقيطي، ٧/ ١٦٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢١١/ دار الريان/ القاهرة/ ١٤٠٨ هـ.

بغير سلطان من الله، ثم جاء العلمانيون فنزعوا الحق من هؤلاء، ونقلوه إلى هيئة تمثل الأمة أو الشعب، أطلق عليها اسم البرلمان أو مجلس النواب»[1].

فشريعة الله تعالى يجب أن تكون وحدها هي المهيمنة، والمصدر الوحيد للتشريع. يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «فمن فضل حكم الطاغوت على حكم الله تعالى.. ومن اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه... فهو كافر»[2].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «من اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ، أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع، إما مطلقاً أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال فلا ريب أنه كفر..»[3].

● أما من ساوى بين **حكم الله تعالى وحكم الطاغوت**: واعتقد التماثل بينهما، فهذا كفر ناقل عن الملة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، وإن دعوى المساواة بين الحكم الإلهي والحكم الوضعي تنقص للرب جل جلاله، وغلو وطغيان في أحكام البشر، وشرك بالله تعالى، لما في هذه المساواة من اتخاذ الأنداد مع الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (النحل: ٧٤)[4].

وقضية المساواة بين الشريعة والقوانين الوضعية، وكذلك الاحتجاج بقضية تطور الزمان، من أكثر ضلالات العلمانيين والعصرانيين.

* * *

(١) انظر: نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية/ د. صلاح الصاوي / ص ١٩ - ٢٠/ نقلاً عن نواقض الإيمان ص/ ١٣٣.

(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٣٨٦/١/ طبع جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض/ طبعة أولى.

(٣) رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم/ ١٣٨٠ هـ/ مطابع الثقافة بمكة.

(٤) نواقض الإيمان / ص ٣٢٢.

٤ ـ العلمانية والحصاد المر

والآن وبعد تحكيم القوانين الوضعية منذ قرن من الزمان في معظم ديار المسلمين، ماذا جنينا؟ وكيف كانت النتيجة؟!

ـ لقد عجزت القوانين الوضعية عن تحقيق التطور والأهداف المرجوة منها.

ـ ومكنت لأعداء الله في ديار المسلمين، فساموهم صنوف العذاب.

ـ وتبين بطلان هذه القوانين، ومخالفتها لشريعتنا، وظهر تناقضها وتضاربها.. وأشاعت الفوضى والاضطراب[١].

● «وفي ظلال المجتمع العلماني يتمزق الإنسان، بناء على تمزق مصيره، وتزدوج شخصيته بسبب الثنائية التي اصطنعها بين المادة والروح.. والجفاء الذي باعد به بين عالمي الحضور والغياب.. كل ذلك يؤدي في حس العلماني وتصوره إلى فوضى، يسودها الانفصال والصدأ والجفاء...

لقد فتح ذلك الإنسان وعيه على حقيقة محزنة، وهي أن ليس ثمة مصير موحد يتحقق وينتمي إليه، ومن ثم غدت حياته مزقاً مبعثرة لا يجمعها رباط ولا يشدها مصير...»[٢].

● «بينما يسير المؤمن الموحد بخطى ثابتة في طريق واضح أبلج، لا زلل فيه ولا عثار، وهو مملوء ثقة ويقيناً بأن اختياره لغير هذا الطريق، أو تردده في الاستمساك به، معناه الكارثة الكبرى والخسارة الفادحة»[٣].

● ويحكي ابن القيم شيئاً عن عواقب تنحية حكم الله تعالى فيقول: «لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة، والمحاكمة إليهما واعتقدوا عدم الاكتفاء

---

(١) انظر: الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية: ص (١٤٧ ـ ١٧٣).

(٢) تهافت العلمانية: د. عماد الدين خليل / ص ٨١ ـ ٨٣ بإيجاز، بيروت/ ١٣٩٥ هـ.

(٣) العلمانية، نشأتها وتطورها وآثارها في المجتمعات الإسلامية المعاصرة. (ص ٧١٢).

بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم، وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور، وغلبت عليهم، حتى رُبي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير[١].

● ونتيجة لكل ذلك يتبين لنا حقيقة العلمانية والعصرانية:

«فالعلمانيون هم نتاج الكيد الصليبي الصهيوني، الذي وجه ضد الإسلام منذ أكثر من قرن من الزمان..

وقد لا يدركون ذلك! قد لا يكونون على وعي بمقدار ما أحدث في نفوسهم من مسخ وتشويه، فقد رُكبوا في مصانع الغزو الصليبي بحيث يرون الإسلام عدواً لهم لا بد من محاربته.. لذلك فقد يعتقدون أنهم في مواقفهم ضد الإسلام، وضد تحكيم الشريعة منطلقون من ذوات أنفسهم، وبدوافعهم الخاصة.

ولكن ألا يستوقفهم ذلك التوافق العجيب بين مواقفهم ومواقف الغرب تجاه الإسلام؟!»[٢].

فالغرب هو الذي نحى الشريعة، وهو الذي يجند طاقته كلها لمنع العودة إلى تطبيقها مرة أخرى في بلاد الإسلام.

والعلمانيون؟! أليسوا يعارضون تحكيم الشريعة في بلاد الإسلام ويقيمون المؤتمرات والندوات ليؤكدوا معارضتهم لذلك الأمر؟! والغرب يقول: «إن الإسلام السياسي» هو الخطر الجديد الذي يهدد العالم.. والعلمانيون ما موقفهم؟! أليسوا هم القائلين بأن الإسلام يجب أن يبعد عن السياسة، ومزجه بالسياسة خطر يهدد العالم؟![٣].

---

(١) الفوائد: لابن القيم، (ص ٤٢ ـ ٤٣)، مطبعة الإمام القاهرة.

(٢) العلمانيون والإسلام: الأستاذ محمد قطب (ص ١٢٣ ـ ١٢٤).

(٣) السابق: بإيجاز وتصرف / ص ١٢٤/.

الخاتمة

من خلال الأبواب السابقة تبيّن لنا أن الاتجاه المسمى «بالعصرانية» قد تبناه عدد من الكتّاب المعاصرين، تستروا بالتجديد وفتح باب الاجتهاد لكل من هب ودب. وتبيّن لدينا أن هذا التجديد لديهم، يعني تطوير الدين على طريقة عصرنته عند الفرق المتحررة من اليهود والنصارى. وأن كتاباتهم جاءت حلقة من سلسلة طويلة في إثارة الشبهات والشكوك، منذ عصر المعتزلة وحتى العصر الحديث.

وأنها صدى لما يدور في الدوائر الغربية المترصدة بالإسلام وأهله، وهم في كثير من الجوانب امتداد «للحركة الإصلاحية» التي ظهرت في تركيا والهند ومصر، على يد جمال الدين الأفغاني، ومدحت باشا، والسيد أحمد خان وأضرابهم.

● وقد وجدنا أن التجديد عندهم يعني:

- هدم العلوم المعيارية، أي علوم التفسير وأصوله، وعلم أصول الفقه، ومصطلح الحديث.

- ويعني رفض الأحاديث الصحيحة جزئياً أو كلياً، بحجة المصلحة وظروف العصر الحاضر، ومن ثم الاستهانة بحملة السنة من الصحابة والتابعين.

- ويعني الانعتاق من إسار الشريعة إلى حمأة القوانين الوضعية التي تحقق الحرية والتقدم كما يزعمون. ولذلك أصروا على أن الإسلام لا يوجد فيه فقه سياسي مجدد، وإنما ترك ذلك لرأي الأمة، ولذلك هاجموا الفقه والفقهاء بلا هوادة.

ـ والتجديد عندهم يعني فتح باب الاجتهاد، بحيث يكون فيه لكل مسلم نصيب، أي أن يكون الفقه لديهم فقهاً شعبياً، فدعوا إلى اجتهاد جماعي شعبي، وليس من شروط المجتهد ـ عندهم ـ أن يكون له علم بالقرآن والسنة واللغة والأصول، لأن مجال الاجتهاد هو أمور الدنيا، وإنما يشترط أن يكون المرء «مستنيراً، عقلانياً تقدمياً ثورياً»، وذلك من أغرب الأقوال في الاجتهاد.

● وقد دعوا إلى التقريب بين الأديان والمذاهب، وهوّنوا من شأن الجهاد، وقصروه على جهاد الدفاع فقط.

● وتميزت العصرانية، بتتبع الآراء الشاذة، والأقوال الضعيفة واتخاذها أصولاً كلية، وروادها رغم اتفاقهم على هذه الأصول في الجملة، فإن آراءهم تختلف عند التطبيق، والهدف عندهم هدم القديم أكثر من بناء أي جديد.

● ولذلك لجأوا إلى تزوير التاريخ الإسلامي، ومجدوا الشخصيات والأفكار المنحرفة.

● ودأبوا على محاولاتهم لتطويع الإسلام بكل وسائل التحريف والتأويل والسفسطة، كي يساير الحضارة الغربية فكراً وتطبيقاً، ومن هنا كان ولاؤهم للغرب وليس للإسلام وأهله وتراثه الأصيل.

●«ومن أكبر ما يمتاز به فكر وكتابات وأحاديث العصرانيين، العمومات والغموض والتمويه المتعمد والتلبيس...

ولا بد لدعاة التجديد العصرانيين، من وضع النقاط على الحروف، ولا بد أن تكون لديهم الشجاعة الكافية، في إبداء ما يريدون تجديده وتغييره من أمر الدين، بدلاً من المراوغة والتلاعب بالألفاظ..»[1].

(١) مناقشة هادئة لأفكار الترابي / ص ١٥/ الأمين الحاج محمد أحمد.

● وما تقدم ليس اتهاماً وإنما تجده مبثوثاً في ثنايا هذا الكتاب، بنقول كثيرة من أقوال العصرانيين أنفسهم.

اللهم ألهمنا الإخلاص والصواب، وجنبنا الزلل والخطأ إنك على كل شيء قدير. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ

١ ـ أباطيل وأسمار: تأليف محمود محمد شاكر/ مطبعة المدني القاهرة ـ الطبعة الأولى/ ١٩٦٥ م.
٢ ـ الابتعاث ومخاطره: تأليف محمد الصباغ ـ المكتب الإسلامي الطبعة الثانية/ ١٤٠٣ هـ.
٣ ـ الاتجاهات الحديثة في الإسلام: تأليف المستشرق جيب ـ ترجمة هاني الحسيني ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت/ ١٩٦٦ م.
٤ ـ اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر: د. حمد بن صادق الجمال. دار عالم الكتب ـ الرياض/ ١٤١٤ هـ.
٥ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين ـ نشر مؤسسة الرسالة / الطبعة السادسة/ ١٤٠٣ هـ.
٦ ـ الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم ـ مطبعة السعادة ـ مصر.
٧ ـ إرشاد الفحول: للشوكاني ـ مطبعة البابي الحلبي/ ١٩٣٧ م.
٨ ـ إسلام آخر زمن: منذر الأسعد ـ دار المعراج ـ عام ١٤١١ هـ.
٩ ـ الإسلام في وجه التغريب: تأليف أنور الجندي ـ دار الاعتصام ـ القاهرة.
١٠ ـ الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة: أبو الأعلى المودودي. تعريب خليل الحامدي دار القلم ـ الكويت ـ ط ٢/ ١٩٧٤ م.
١١ ـ الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر: منير شفيق ـ الزهراء للإعلام العربي.
١٢ ـ الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين. دار الإرشاد ـ بيروت والمكتب الإسلامي ببيروت أيضاً. وكذا دار الرسالة مكة المكرمة الطبعة التاسعة ـ ١٤١٣ هـ.
١٣ ـ الإسلام والمستقبل: د. محمد عمارة. دار الشروق ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى.

١٤ ـ الإسلام والعروبة والعلمانية: محمد عمارة. دار الوحدة ـ بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.
١٥ ـ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده ـ الطبعة السابعة ـ دار المنار/ ١٣٦٧ هـ.
١٦ ـ الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد: الطبعة الثالثة/ ١٩٥١ م، وكذا طبعة دار العلم للملايين الطبعة الثامنة/ ١٩٧٤ م.
١٧ ـ أصول الفقه: محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.
١٨ ـ أضواء البيان: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي. مطبعة المدني ـ المؤسسة السعودية بجدة وكذا عالم الكتب ـ بيروت.
١٩ ـ أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية. الطبعة الأولى عام ١٣٧٧ هـ مطبعة التأليف بمصر.
٢٠ ـ اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية. الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض.
٢١ ـ الاعتصام: الإمام الشاطبي. المكتبة التجارية الكبرى ـ بمصر.
٢٢ ـ الأعمال الكاملة لمحمد عبده: د. محمد عمارة ـ المؤسسة العمومية للدراسات والنشر/ بيروت ـ ١٩٧٦ م.
٢٣ ـ أعلام الموقعين: ابن القيم الجوزية. تحقيق عبد الرحمٰن الوكيل ـ نشر دار الكتب الحديثة ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ م.
٢٤ ـ أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية: د. علي العلياني ـ دار طيبة ـ الرياض/ ١٤٠٥ هـ.
٢٥ ـ أين الخطأ: عبد الله العلايلي. دار العلم للملايين ـ بيروت/ ١٩٧٨.

ب

٢٦ ـ البداية والنهاية: ابن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت/ ودار الفكر بيروت/ ١٩٧٨ م.
٢٧ ـ بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة: محمد الناصر ـ مكتبة السوادي ـ جدة/ ١٤١٦ هـ.

ت

٢٨ ـ تاريخ الأستاذ محمد عبده: محمد رشيد رضا. طبعة المنار بمصر ـ ١٣٥٠ هـ.
٢٩ ـ تاريخ بغداد: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.

٣٠ ـ تاريخ الدولة العثمانية: علي حسون ـ طبع المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق.
٣١ ـ التاريخ السياسي للدولة العربية: عبد المنعم ماجد. مطبعة الأنجلو المصرية/ ١٩٧١ م.
٣٢ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية: الشيخ محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي - القاهرة.
٣٣ ـ تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة ـ تحقيق محمد زهدي النجار.
٣٤ ـ التبشير والاستعمار: د. عمر فروخ ومصطفى الخالدي ـ ط ٣/ ١٩٦٤ - بيروت.
٣٥ ـ تجديد أصول الفقه الإسلامي: د. حسن الترابي. دار الفكر ـ الخرطوم/ ١٤٠٠ هـ.
٣٦ ـ التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين: د. محمود الطحان ـ مكتبة التراث ـ الكويت ـ ١٤٠٥ هـ.
٣٧ ـ التجديد في الإسلام ـ إصدار المنتدى الإسلامي ـ لندن ـ ١٤١٠ هـ.
٣٨ ـ تجديد الفكر الإسلامي: جمال سلطان. نشر دار الوطن ـ ١٤١٢ هـ.
٣٩ ـ تجديد الفكر الإسلامي: د. حسن الترابي. الدار السعودية للنشر الطبعة الثانية/ ١٩٨٧ م.
٤٠ ـ تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة/ ١٩٥٣ م.
٤١ ـ تحكيم القوانين: الشيخ محمد بن إبراهيم ـ مطابع الثقافة بمكة/ ١٣٨٠ هـ.
٤٢ ـ التراث في ضوء العقل: محمد عمارة ـ دار الوحدة ـ بيروت ـ ١٩٨٠ م.
٤٣ ـ التراث والتجديد ـ حسن حنفي ـ طبعة القاهرة ـ ١٩٨٠ م.
٤٤ ـ تذكرة الحفاظ ـ للذهبي ـ بيروت ـ دار إحياء التراث.
٤٥ ـ التشريع الجنائي في الإسلام: عبد القادر عودة ـ الطبعة الخامسة/ ١٣٨٨ هـ.
٤٦ ـ التطور والثبات في حياة البشرية: محمد قطب ـ دار الشروق.
٤٧ ـ تكوين العقل الحديث: جون راندل ـ ترجمة جورج طعمة. دار الثقافة/ بيروت/ ١٩٥٨ م.
٤٨ ـ التفسير والمفسرون: الشيخ محمد حسين الذهبي ـ دار الكتب الحديثة ـ ط ١/ ١٣٨١ هـ.
٤٩ ـ تفسير ابن كثير ـ دار الريان/ القاهرة/ ١٤٠٨ هـ، ومكتبة الرياض.

٥٠ ـ تفسير جزء عم: الشيخ محمد عبده. مكتبة محمد علي صبيح ـ ١٣٨٧ هـ.
٥١ ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): محمد بن أحمد القرطبي ـ دار الكتب المصرية/ الطبعة الأولى/ ١٣٥٧ هـ.
٥٢ ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا ـ الطبعة الرابعة ـ دار المنار بمصر/ ١٣٧٣ هـ.
٥٣ ـ تيارات الفكر الإسلامي: د. محمد عمارة ـ دار الهلال ودار المستقبل ـ القاهرة ط ١/ ١٩٨٢ م.

ث

٥٤ ـ ثقافة الضرار: جمال سلطان ـ دار الوطن للنشر ـ ١٤١٣ هـ.
٥٥ ـ ثورة الإسلام: أحمد زكي أبو شادي ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

ج

٥٦ ـ الجامع الصحيح لسنن الترمذي: تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.
٥٧ ـ جمال الدين الأفغاني: عبد الرحمٰن الرافعي ـ سلسلة أعلام العرب ـ دار الكاتب العربي.

ح

٥٨ ـ حاضر العالم الإسلامي: تعليق شكيب أرسلان.
٥٩ ـ حجة الله البالغة: ولي الله الدهلوي ـ تحقيق السيد سابق ـ دار الكتب الحديثة/ القاهرة ومكتبة المثنى ـ بغداد.
٦٠ ـ الحديث والمحدثون: الشيخ محمد أبو زهو. مطبعة مصر ـ شركة مساهمة مصرية.
٦١ ـ الحركات المناهضة للإسلام: د. محمد يوسف النجرامي ـ دار الفكر ـ ١٤٠٠ هـ.
٦٢ ـ الحياة السياسية عند العرب: محمد الناصر ـ مكتبة السنة/ ١٤١٢ هـ.

خ

٦٣ ـ خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب ـ دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة/ ط ٢/ .
٦٤ ـ الخنجر المسموم: أنور الجندي ـ دار الاعتصام.

د

٦٥ ـ دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية مجموعة من العلماء / طبعة الشعب/ القاهرة.

٦٦ ـ درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية. تحقيق محمد رشاد سالم. مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٦٧ ـ دراسات في السيرة النبوية: محمد سرور زين العابدين ـ دار الأرقم/ ١٤٠٧ هـ.
٦٨ ـ دفاع عن السنة: للدكتور محمد أبي شهبة ـ دار اللواء للنشر ـ الرياض/ ط ٢.
٦٩ ـ دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام: مصطفى نوري غزال/ دار طيبة ـ ط ١/ ١٤٠٣ هـ.
٧٠ ـ دليل المسلم الحزين: حسين أحمد أمين ـ طبعة مدبولي. وطبعة دار الشروق/ الثانية/ ١٤٠٥ هـ.

ر

٧١ ـ الرد على المنطقيين: ابن تيمية ـ طبعة لاهور باكستان/ ط ٢.
٧٢ ـ الرسالة: للإمام الشافعي ـ تحقيق أحمد شاكر، طبعة البابي الحلبي/ بمصر.
٧٣ ـ رسالة التوحيد: محمد عبده ـ دار المنار ـ مصر.

س

٧٤ ـ سبل السلام: للصنعاني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ١.
٧٥ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي ـ المكتب الإسلامي بيروت ـ ط ٣/ ١٤٠٢ هـ.
٧٦ ـ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: محمد الغزالي ـ دار الشروق ـ ط١/ ١٤٠٩ هـ.
٧٧ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: الشيخ ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٧٨ ـ سير أعلام النبلاء: الذهبي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

ش

٧٩ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة ـ اللالكائي ـ دار طيبة ـ الرياض.
٨٠ ـ شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار.
٨١ ـ شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي ـ تخريج الأحاديث للشيخ ناصر الدين الألباني ط ٩/ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٨٢ ـ شرح مسلم: للإمام النووي ـ توزيع إدارات البحوث العلمية والدعوة/ بالسعودية.
٨٣ ـ شرح المجلة: محمد خالد الأتاسي. مطبعة حمص ـ ١٣٤٩ هـ.

٨٤ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٨٥ ـ الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د. عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ـ مكتبة الفلاح ـ ط ٣/ ١٤١٢ هـ.

ص

٨٦ ـ الصارم المسلول: ابن تيمية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٨٧ ـ الصحوة الإسلامية: أنور الجندي ـ دار الاعتصام.
٨٨ ـ صحيح ابن ماجه: للشيخ ناصر الدين الألباني ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج.
٨٩ ـ صحيح الجامع الصغير: للشيخ ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٩٠ ـ صحيح البخاري: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ـ استامبول/ ١٣١٥ هـ.
٩١ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: أبو الحسن الندوي ـ مطبعة التقدم/ القاهرة/ ط ٣/ ١٩٧٧ م.
٩٢ ـ صيد الخاطر: لابن الجوزي.

ض

٩٣ ـ الضعفاء والمتروكين من المحدثين: محمد بن حبان ـ تحقيق محمد إبراهيم زايد ـ توزيع دار الباز للنشر والتوزيع.

ط

٩٤ ـ طه حسين في ميزان العلماء والأدباء: محمود مهدي استامبولي.

ظ

٩٥ ـ ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي ـ دار النشر الدولي ـ الرياض/ ١٤١٤ هـ.
٩٦ ـ ظلام من الغرب: محمد الغزالي ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ ١٣٧٥ هـ.
٩٧ ـ ظهر الإسلام: أحمد أمين ـ مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة/ ط ٤/ ١٩٦٦ م.

ع

٩٨ ـ العصريون معتزلة اليوم: يوسف كمال ـ دار الوفاء ـ المنصورة/ بمصر.
٩٩ ـ عقبات في طريق النهضة: أنور الجندي.
١٠٠ ـ العقيدة والشريعة في الإسلام: جولدزيهر ـ مطابع دار الكتاب العربي ـ مصر/ ١٩٤٦ م.

١٠١ ـ علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف. الطبعة الثامنة/ الكويت/ ١٩٦٨ م.
١٠٢ ـ العلمانية: د. سفر الحوالي: دار مكة للطباعة والنشر/ ط ١/ ١٤٠٢ هـ.
١٠٣ ـ العلمانيون والإسلام: محمد قطب. دار الوطن/ ط ١/ ١٤١٤ هـ.
١٠٤ ـ عون المعبود. تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان. المكتبة السلفية/ المدينة المنورة/ عام ١٩٦٩ م.

غ

١٠٥ ـ الغارة على العام الإسلامي/ ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي/ الدار السعودية للنشر ـ جدة.
١٠٦ ـ غزو من الداخل: جمال سلطان ـ دار الوطن للنشر/ الطبعة الأولى/ ١٩٩١ م.

ف

١٠٧ ـ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: جمع أحمد الدويش ـ مطبوعات دار الإفتاء ـ السعودية ـ ط ١/ ١٤١١ هـ.
١٠٨ ـ الفتاوى: لابن تيمية ـ طبعة المغرب/ إعداد محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم.
١٠٩ ـ فتح الباري: لابن حجر العسقلاني. ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبعة دار الفكر.
١١٠ ـ الفتح المبين في طبقات الأصوليين: عبد الله مصطفى المراغي.
١١١ ـ الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي. مطبعة المدني ـ القاهرة.
١١٢ ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: القاضي عبد الجبار ـ الدار التونسية للنشر.
١١٣ ـ الفكر الإسلامي بين الأمس واليوم: محجوب بن ميلاد ـ الشركة القومية للنشر والتوزيع ـ تونس.
١١٤ ـ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البهي ـ الطبعة التاسعة/ ١٩٨١ م ـ مصر.
١١٥ ـ الفكر الإسلامي والتطور: د. محمد فتحي عثمان. الدار الكويتية/ ط ٢.
١١٦ ـ الفوائد: ابن القيم ـ مطبعة الإمام ـ القاهرة.
١١٧ ـ الفن القصصي في القرآن: محمد أحمد خلف الله ـ الطبعة الرابعة/ ١٩٧٢ م القاهرة.
١١٨ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب ـ دار الشروق.
١١٩ ـ في مهب المعركة: مالك بن نبي ـ دار الفكر ـ ١٩٨١ م.

ق

١٢٠ ـ القرآنيون: خادم حسين إلهي بخش ـ مكتبة الصديق ـ ط ١/ ١٤٠٩ هـ.
١٢١ ـ قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر: حسن حنفي ـ دار التنوير ـ بيروت.
١٢٢ ـ قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها: د. محمد عبد القادر هنادي ـ مكتبة الطالب الجامعي ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٨ هـ.

ك

١٢٣ ـ كفاح المسلمين في تحرير الهند: د. عبد المنعم نمر، نشر مكتبة وهبة/ القاهرة/ الطبعة الأولى عام ١٣٨٤ هـ.
١٢٤ ـ الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي. مطبعة دار التراث/ الطبعة الثانية.

م

١٢٥ ـ المجددون في الإسلام: أمين الخولي ـ دار المعرفة ـ القاهرة ـ ١٩٦٥ م.
١٢٦ ـ محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: سليمان بن صالح الخراشي ـ دار الجواب ـ الرياض.
١٢٧ ـ مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الطبعة الأولى/ طبع جامعة الإمام محمد بن سعود/ الرياض.
١٢٨ ـ مجموعة التوحيد: المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ ١٣٧٥ هـ.
١٢٩ ـ مختصر الصواعق المرسلة: اختصار الشيخ موسى الموصلي ـ دار الندوة الجديدة ـ بيروت ط ١/ ١٤٠٥ هـ.
١٣٠ ـ المخططات الاستعمارية: الشيخ محمد محمود الصواف ـ مكة المكرمة/ ١٣٨٤ هـ.
١٣١ ـ مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب ـ دار الشروق ط ١/ ١٤٠٣ هـ.
١٣٢ ـ مذكرات السلطان عبد الحميد: ترجمة محمد حرب ـ دار الأنصار ـ القاهرة/ ١٩٥٥ م.
١٣٣ ـ مراتب الإجماع: ابن حزم ـ دار الكتب العلمية بيروت.
١٣٤ ـ المرأة بين الجاهلية والإسلام: محمد الناصر ـ خولة درويش. دار الرسالة ـ مكة المكرمة.
١٣٥ ـ المستشرقون: د. عابد السفياني. مكتبة المنارة ـ مكة المكرمة ـ ١٩٨٨ م.
١٣٦ ـ مستقبل الثقافة في مصر: طه حسين ـ مطبعة المعارف ـ ١٩٣٨ م.

١٣٧ ـ مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين: د. محمود الطحان مكتبة التراث ـ الكويت.
١٣٨ ـ مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة: أبو الأعلى المودودي ـ دار القلم ـ الكويت/ ١٩٧٧ م.
١٣٩ ـ مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد ـ دار الدعوة ـ الكويت/ ١٤٠٥ هـ.
١٤٠ ـ مقالات الإسلاميين: للأشعري.
١٤١ ـ مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية/ تحقيق: د. عدنان زرزور ـ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ١٩٧٢ م.
١٤٢ ـ مقدمة ابن خلدون ـ مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ـ بيروت/ ١٩٧٩ م.
١٤٣ ـ المعتزلة وأصول الحكم: محمد عمارة ـ سلسلة الهلال/ العدد ٤٠٠/ عام ١٩٨٤ م.
١٤٤ ـ معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين: د. إبراهيم عوض ـ مطبعة الفجر الجديد ـ مصر ـ ١٩٨٧ م.
١٤٥ ـ المعتزلة بين القديم والحديث: محمد العبده ـ طارق عبد الحليم.
١٤٦ ـ مناقب الشافعي: البيهقي ـ تحقيق أحمد صقر ـ مكتبة دار التراث ـ القاهرة/ ١٩٧١ م.
١٤٧ ـ مناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور الترابي: الأمين الحاج محمد أحمد ـ مركز الصف الإلكتروني/ الطبعة الأولى/ ١٤١٥ هـ.
١٤٨ ـ مناهج المستشرقين: إصدار مكتب التربية لدول الخليج.
١٤٩ ـ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمٰن الرومي. مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة/ ١٤١٤ هـ.
١٥٠ ـ مواطنون لاذميون: فهمي هويدي ـ دار الشروق/ ١٤٠٥ هـ.
١٥١ ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: ابن تيمية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١/ ١٤٠٥ هـ.
١٥٢ ـ الموافقات في أصول الأحكام: الإمام الشاطبي ـ دار الفكر ـ تعليق محمد الخضر حسين.
١٥٣ ـ مؤامرة فصل الدين عن الدولة: محمد كاظم حبيب ـ الطبعة الأولى ١٩٧٤ م.
١٥٤ ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين: الشيخ مصطفى صبري/ المكتبة الإسلامية/ ١٩٥٠ م.
١٥٥ ـ موجز تجديد الدين وإحيائه: أبو الأعلى المودودي. طبع مؤسسة الرسالة عام/ ١٤٠١ هـ.

١٥٦ ـ موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ـ رسالة ماجستير ـ جامعة أم القرى ـ إعداد الطالب: الأمين الصادق الأمين عام ١٤١٤ هـ.

ن

١٥٧ ـ نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور: أبو الأعلى المودودي/ مؤسسة الرسالة بيروت/ ١٩٦٩ م.

١٥٨ ـ نواقض الإيمان: د. عبد العزيز العبد اللطيف ـ دار الوطن ـ الطبعة الأولى.

ل

١٥٩ ـ لوامع الأنوار البهية: محمد أحمد السفاريني. مكتبة أسامة/ الرياض والمكتب الإسلامي بيروت.

١٦٠ ـ لورنس العرب: زهدي الفاتح ـ دار النفائس ـ بيروت.

و

١٦١ ـ وجهة الإسلام: المستشرق جيب ـ المطبعة الإسلامية ـ القاهرة ـ ترجمة محمد عبد الهادي.

١٦٢ ـ واقعنا المعاصر: محمد قطب/ مؤسسة المدينة للصحافة/ الطبعة الأولى.

١٦٣ ـ الولاء والبراء: محمد سعيد القحطاني/ دار طيبة/ الطبعة الأولى.

هـ

١٦٤ ـ هلمَّ نخرج من ظلمات التيه: محمد قطب ـ دار الوطن للنشر/ أولى/ ١٤١٥ هـ.

١٦٥ ـ **الصحف والمجلات:**

- جريدة الأيام ـ مجلة الآداب (بيروت).
- مجلة الأهالي القاهرية ـ مجلة البيان (لندن).
- مجلة الدوحة القطرية ـ مجلة البلاغ ـ مجلة الثقافة.
- مجلة الرسالة ـ مجلة الشرق القطرية ـ مجلة صباح الخير.
- مجلة الطليعة القاهرية ـ مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية.
- مجلة العربي ـ مجلة المنار ـ مجلة الفتح ـ مجلة المسلم المعاصر.
- مجلة اليقظة القطرية ـ جريدة المسلمون.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٢ ـ آراؤهم التشريعية:	٨٦
أ ـ في العبادات: انحرافات في الصلاة وأدائها، وفي الزكاة والصوم	٨٦
ب ـ في المعاملات: إنكار الحدود	٨٩
موقفهم من تعدد الزوجات والطلاق والميراث	٩٠
ـ أثر القرآنيين في حرب السنة النبوية في شبه القارة الهندية	٩١
الفصل الرابع: التغريب: الاستشراق والتنصير	٩٣
المبحث الأول: مفهوم التغريب	٩٥
المبحث الثاني: مخططات التنصير في بلاد المسلمين	٩٨
ـ أهدافهم: تفتيت وحدة المسلمين ـ علمانية الدولة ـ التنفيس عن الصليبية ـ تشكيك المسلمين في عقيدتهم	٩٨
ـ استغلال التعليم عند المنصرين	١٠١
المبحث الثالث: الاستشراق ومخاطره على بلاد المسلمين	١٠٤
١ ـ لمحة عن المستشرقين وأبحاثهم	١٠٤
٢ ـ الاستشراق والاستعمار	١٠٦
٣ ـ أساليبهم في حرب الإسلام	١٠٩
ـ الطعن في القرآن الكريم والسيرة النبوية	١١٠
ـ إحياء الآثار التاريخية القديمة	١١١
ـ الطعن في اللغة العربية والدعوة إلى العالمية، وإصدار الكتب والمجلات	١١٢
* مطاعنهم في السنة النبوية وتدوينها ورواتها من أصحاب رسول الله ﷺ كأبي هريرة رضي الله عنه، ومن التابعين الإمام الزهري	١١٣
ـ المستشرقون وتطوير الشريعة	١٢٠

الباب الثاني
دور دعاة التغريب خلال النصف الأول من القرن العشرين

تمهيد: تيارات التغريب في النصف الأول من هذا القرن	١٢٧
أ ـ تيار مدرسة الاستعمار	١٢٨
ب ـ تيار تطوير الإسلام	١٢٩
جـ ـ نصارى العرب	١٢٩
الفصل الأول: الهجوم على السنة النبوية عند دعاة التغريب	١٣١

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث
العصرانيون الجدد

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع
المدرسة العصرانية في الميزان

الموضوع	الصفحة

صدر للمؤلف الكتب التالية

* **سلسلة الجاهلية في الشعر الجاهلي - دراسة مقارنة:**

١ - الحياة السياسية عند العرب.

٢ - أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام.

٣ - المرأة بين الجاهلية والإسلام، بالاشتراك مع السيدة خولة درويش.

الناشر لهذه السلسلة: دار الرسالة - مكة المكرمة.

٤ - الحياة الدينية عند العرب: بالاشتراك مع السيدة خولة درويش. دار عالم الكتب.

* **تربية الأطفال في رحاب الإسلام: بالاشتراك مع السيدة خولة درويش.**

مكتبة السوادي - جدة.

* **تأملات في رحاب البيت العتيق دروس من السيرة في العهد المكي.**

دار المحمدي للنشر والتوزيع: جدة.

* **بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة -**

مكتبة السوادي للنشر والتوزيع - جدة.

* **تربية المراهق في رحاب الإسلام: بالاشتراك مع السيدة خولة درويش.**

طبعة دار المعالي/ عمّان.

ورمَادي للنشر - الدمام.

* **الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري عهد نور الدين وصلاح الدين.**

دراسة مقارنة مع الواقع المعاصر.

مكتبة الكوثر: الرياض

* **تربية الموهوبين في رحاب الإسلام: بالاشتراك مع السيدة خولة درويش.**